أم الحضارات

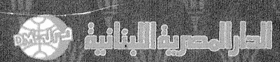
ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان

3

مختار السويفي

تقديم :
الدكتور محمد ابراهيم بكر





أم الحضارات

ملامح عامة
لأول حضارة صنعها الإنسان

الناشــر : **الدار المصرية اللبنانية**
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٧٧٧٧ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى : 8 - 595 - 270 - 977
جمع وفصل ألوان وطبع : **عربية للطباعة والنشر**
العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣

الطبعة الأولى : صفر ١٤٢١ هـ ـ مايو ٢٠٠٠ م

مختار السويفى

أم الحضارات

ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان

الجزء الثالث

تقديم :

الدكتور محمد إبراهيم بكر

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

صدق الله العظيم

إهـــــداء ...

إلى حبيبة الروح ...

زهرة الشباب النقية الطاهرة ..

صاحبة البسمة الوضيئة ..

والطباع النبيلة الطيبة ..

ابنتي هالة ..

رحمها الله وأكرم مثواها ..

تقديـــــم

بقلم : الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم بكر
رئيس هيئة الآثار المصرية سابقا

وقف الخلـق ينظـرون جميعـا   كيف أبنى قواعـد المجـد وحـدى
وبنـاة الأهـرام فـى سالف الدهـر   كفونـى الكـلام عنـد التحـدى

بلهجة الواثق من عظمة المصرى فى تأسيس وبناء الحضارات الإنسانية ، تتحدث مصر عن نفسها على لسان حافظ إبراهيم شاعر النيل ، وبنفس القدر والصفاء والثقة يتناول الأديب والمؤرخ الأستاذ / مختار السويفى بأسلوبه الأدبى دور الشعب المصرى فى إبهار العالم قديمة وحديثه بإنجازاته فى شتى مجالات الحياة الفكرية والمادية ، منذ أن كانت الإنسانية تمشى خطواتها الأولى على أرض وادى النيل الذى أمدّها بمقومات الحضارة ، فأمسكت بها تنسج منها أبدع الأعمال لترد على النيل جميله ، وتبعث الحضارة لتنير فى جنباته على طول واديه ، فى ريادة غير مسبوقة ، وأصالة صادقة .

وتبارت أفكار المصريين وسواعدهم فى تهذيب الطبيعة من حولهم ، فقدموا نماذج رائعة من الفكر الإنسانى ، ممثلا فى إدراكهم لقيمة عمل الخير ومقاومة الشر ، وتوصلوا إلى خلاصة أن أقصى ما يبغيه المرء من حياته الدنيا أن يترك وراءه « الذكر الحسن » وأن يعمل صالحاً يرضاه الإله ، يوم توزن أمامه أعمال الإنسان عندما يبعث ، فيكافأ على خير ما عمل ويجازى على ما اقترف من آثام .

وفى مجال الأدب الراقى أهدت مصر الأدب العالمى نماذج فريدة من أدب الرحلات ،

ومن الأدب التعليمى والأدب السياسى نماذج راقية ، أما الأدب الدينى فحدِّث ولا حرج، إذ أن المصريين لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا أخضعوها لقوة الملاحظة والتأمل ، فجمعوا خلال تاريخهم الطويل المتصل تراثاً زاخراً بالمعارف، وليس آخرها تعرفهم على الأبراج الفلكية ، وهم الذين أطلقوا عليها أسماءها التى مازالت تعرف بها مثل برج الأسد وبرج الثور وبرج الحوت . . إلخ .

وفى متحف اللوفر بباريس صورة مرسومة بوضوح للأبراج السماوية على سقف حجرى لإحدى الغرف العلوية لمعبد دندرة فى محافظة قنا، علاوة على ما عثر عليه من رسوم فى المقبرة الصخرية للمهندس سننموت مهندس الملكة حتشبسوت . وهذا مجرد مثال .

ومنذ قديم الأزل وحتى الآن تغنى المصريون بأفضال النيل على حياتهم وحضارتهم ، ويعتبر ذلك صدى لما كان يتغنى به المحب المصرى منذ آلاف السنين على أنغام الناى وغيره من الآلات الموسيقية كالقيثارة والأرغول والطنبور والدف وآلات الإيقاع الأخرى التى ابتدعها المصريون لإضفاء البهجة والمرح فأعطوا لحياتهم طعماً عذباً ممتعاً .

وما أبدعه المصريون فى مجال الإنجاز المادى لا يمكن أن يقارن ، فهندسة عمارة الأهرام والمعابد وتأسيس المدن وحفر الأنفاق لبناء مقابرهم فى جوف صخور الجبال وبناء القصور ، تقوم كلها شاهداً على مهارة فائقة فى هندسة التصميم النظرى ودقة التنفيذ العملى وحسن الإدارة فى إنجاز تلك الأعمال الجبارة . ووضع المصريون تنظيماً مستقراً لمؤسسات الحكم وإدارة شئون البلاد ، واستطاعت مصر أن تدافع عن حضارتها المتقدمة فى مواجهة تحديات ما نَبُتَ حولها من أخطار العدوان ، وتولت العسكرية المصرية هذا الدور بجدارة ، وأرسيت مبادىء وتقاليد ما زالت تدرس فى العلوم العسكرية .

والأستاذ / مختار السويفى عاصر معى الزمن الثقافى الجميل، زمن طه حسين، والعقاد، وتوفيق الحكيم ، وأم كلثوم ، وعبد الوهاب ، والريحانى ، ويوسف وهبى ، وغيرهم . وعشنا حرارة النضال ضد الاستعمار وسافر كل منا إلى أركان العالم نجمع رحيق الثقافة .

وهكذا استوعب مختار السويفى الثقافة من منابعها الأصيلة حين كان تكوين الشخصية يجرى تسويته على نار هادئة .

ولقد ذاع الرأى حيناً بأن كل ما يكتب عن قدماء المصريين يقدم بطريقة بعيدة عن التشويق ، تفرط فى الحديث عن الموت والدفن والجنازة والمقابر والقرابين والتمائم وعبادة الحيوان .

ولكن مختار السويفى استطاع أن يتخطى تلك الحواجز ، ويتجنب تلك المحاذير ، فهو يقرأ بشغف وحب ، ويستوعب ما يقرأ ، ثم يقوم بتقديمه لكل القراء ، ولم تنقصه البساطة فى عرض الموضوع مع المحافظة على الأسلوب الأدبى الرفيع ، ورأف فعلا بالقوارير فقدم إنتاجه أيضا لغير المتخصصين .

ومعالجات مختار السويفى لجوانب هامة لحضارة قدماء المصريين بطريقته السلسة سوف تكون مادة غنية جاهزة فى متناول كتاب المسرح ، ومخرجى السينما ليقدموا تاريخا مبهرا مستوفيا لكل عناصر الدراما الإنسانية بكل جوانبها . وكانت مصر وستظل دوما هبة أبنائها المصريين وقدرتهم الفائقة على صنع الحضارة .

القاهرة : فبراير ٢٠٠٠

أ . د محمد إبراهيم بكر
رئس هيئة الآثار المصرية سابقا
واستاذ الحضارة والآثار المصرية
وعميد المعهد العالى للحضارات القديمة
بجامعة الزقازيق

العسكرية المصرية



من عزة الاستقلال .. إلى ذل الاحتلال

يقول علماء الاقتصاد إن للاقتصاد « دورة » . . فقد تهيىء الظروف لأى نظام اقتصادى فرص التحسن والنمو حتى يبلغ القمة ، ثم تنشأ ظروف أخرى ـ على المدى الطويل أو المدى القصير ـ من داخل النظام نفسه أو من خارجه تهبط به إلى الحضيض .

* ويقول المؤرخون وعلماء الحضارات أيضا إن للتاريخ « دورة » قد ينهض فيها شعب من الشعوب أو أمة من الأمم من حضيض سببته أسباب أو ظروف معينة ، ثم يخطو هذا الشعب فى طريق التقدم والرقى الحضارى إلى أن يصل إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه من قمم سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية . ثم تدور عجلة التاريخ على مدى سنين طوال أو قصار ، وتبدأ ظروف الانحدار فى عملها المقيت إلى أن يصل هذا الشعب إلى الحضيض الحضارى مرة أخرى لتبدأ دورة جديدة .

* ويقول علماء الفلك إن النظام الكونى مبنى أيضا على هذا الأساس ، حيث تدور الأجرام السماوية فى أفلاكها دورات لا نهائية بين القمة والحضيض . وصدق من قال فى الفولكلور مثلا شعبيًا يؤكد هذه النظرية : « ما طارطير وارتفع إلا كما ارتفع وقع » .

*وبالنظر إلى أن التاريخ المصرى القديم أصبح واضحًا كل الوضوح بعد أن انجلت أسراره وعرفنا مساراته عبر القرون ، فقد أثبت هذا التاريخ نظرية « الدورة بين القمة والحضيض » عدة مرات . ورأينا فيما سبق [فى الجزء الثانى من « أم الحضارات »] كيف نشأت الدولة المصرية على يد الملك «مينا » مؤسس الأسرة الأولى عام ٣٢٠٠ ق م ، وكيف ارتّقت هذه الدولة حتى بلغت أعلى قمة حضارية فى عصر الدولة

القديمة [الأسرات من الثالثة حتى السادسة] . ثم كيف انهارت الدولة القديمة وساد عصر سمى بحق عصر الاضمحلال الأول استمر خلال عصر الأسرات من السابعة حتى الحادية عشرة . ثم دار التاريخ دورته فبلغت مصر ذرى حضارية جديدة تميزت بالقوة والرخاء الاقتصادى فى عصر الأسرة الثانية عشرة ، وهو عصر عامر بالمنشآت العمرانية الكبرى والرخاء الاقتصادى وارتقاء الفن والثقافة والأدب ، بالاضافة إلى ما وصل إليه شعب مصر من التمسك بحقوق الانسان ومبادىء العدالة الاجتماعية .

* ولكن ـ وكما يقال ـ فإن دوام الحال من المحال . . فبعد أن انتهى عهد الملك العظيم « أمنمحعت الثالث » الذى جمع بين القوة وحسن الادارة والحكم بين الناس بالعدل والسيطرة التامة على كافة أمور الدولة من سياسية واقتصادية واجتماعية ، ارتقى العرش بعده ابنه « أمنمحعت الرابع » . ولم يكن الابن فى قوة أبيه . وتدل شواهد التاريخ على أن الحاكم القوى المصلح إذا خلفه حاكم أضعف منه ، فسرعان ما يضرب الضعف أطنابه فى عصب الدولة . وهذا بالضبط ما حدث بالتدريج فى عهد «أمنمحعت الرابع » الذى كان ملكا ضعيفا لم يشن حربًا ولم يتميز عهده إلا بارساله لبعض البعوث لاستخراج المعادن من سيناء والصحراء الشرقية . ومات دون أن ينجب وريثًا ذكراً لعرش مصر . وآل العرش إلى أخته الملكة « سبك نفرو » ومعنى اسمها «جمال التمساح » فحكمت مصر نحو خمس سنوات انتهت بنهاية الأسرة الثانية عشرة وبداية عصر الأسرة الثالة عشرة .

* ولم يكن ملوك هذه الأسرة الجديدة بمثل قوة وعظمة ملوك الأسرة السابقة . ولا تحوى الآثار المصرية إلا النادر من اسمائهم . وأغلب آثارهم عبارة عن تماثيل ومنشآت صغيرة قليلة القيمة . ويقول « برستيد » إن ذلك يرجع إلى عدم وفرة القوة والمال والوقت الكافى لاقامة الآثار الكبرى . ولا غرابة فى ذلك لأن ملوك هذه الأسرة كانوا يتبدلون بسرعة حتى استحال على أحدهم أن يقيم أثرًا ذا شأن . وكانت مدة حكم كل ملك منهم بين سنة وثلاث سنوات . وقد قصرت أحيانا فبلغت يومين أو ثلاثة .

* وتدل الشواهد التاريخية على انه فى حالة ضعف الملوك أو الحكام المركزيين ، تزداد

قوة وسيطرة حكام الأقاليم المحليين ، كما تزداد قوة وسيطرة كبار رجال الدولة وكبار الموظفين . وهذا ما حدث بالفعل فى عصر الأسرة الثالثة عشرة . وفى مثل هذه الحالة تتفكك أوصال الدولة بالتدريج ، ويحدث التنازع بين حكام الأقاليم لمحاولة الأقوياء منهم السيطرة على الأقاليم الأخرى وادعاء حقهم فى الجلوس على العرش إذا استطاعوا إليه سبيلا . وبالتالى تزداد أحوال البلاد سوءاً فيطمع الأجانب فى التسلل إلى البلاد والاستيلاء على خيراتها . وهذا ما حدث بالفعل فى أواخر عصر الاسرة الثالثة عشرة وبداية عصر الأسرة الرابعة عشرة حين وقعت مصر تحت الاحتلال البغيض من قوم من قبائل الرعاة اسمهم « الهكسوس » .



الهكسوس .. أول احتلال أجنبى لمصر

من الشواهد الغريبة فى تاريخ الشعب المصرى ، فى مختلف عصوره وحقبه ، ان هذا الشعب قد تعرض عدة مرات إلى أنواع مختلفة من المصائب الكبرى . ولكن أكبر المصائب التى وقعت فى تاريخ مصر القديم ، هى وقوع البلاد تحت احتلال الهكسوس لأول مرة منذ نشأت الدولة المصرية فى بداية عصر الأسرات . وكان المحتلون قومًا من الرعاة ، وصفتهم الوثائق المصرية القديمة بأنهم « طاعون من البرابرة الأجلاف الهمج القذرين » .

* وقد اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ حدوث هذه الكارثة الاستعمارية ووقوع مصر تحت سيطرة هؤلاء الحكام الأجانب . ولكن أرجح التواريخ التى تجد قبولاً لدى معظم المؤرخين هو حوالى عام ١٧٣٠ ق م . ومعنى هذا أن مصر ظلت محتفظة «بمصرية» الحكم على مدى نحو ألف وخمسمائة سنة منذ توحيدها عام ٣٢٠٠ ق م . وقد حدثت عدة قلاقل واضطرابات فى نظام الحكم خلال تلك السنوات الطويلة ، ودار التاريخ دوراته بين القمة والحضيض ، كما سبق وبيناه من قبل ، إلا أن حكم مصر ظل فى يد المصريين ، حتى فى عصر الاضمحلال الأول حين تفككت أوصال البلاد وحدثت المنازعات بين حكام الأقاليم المصرية ، فقد كان هؤلاء الحكام من المصريين الخلَّص ، ولم يكن بينهم أجنبى أو محتل غاصب .

* وكما اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ احتلال الهكسوس لمصر ، فقد اختلفوا أيضًا واختلفت أبحاثهم وتحليلاتهم فى تحديد جنسية وأعراق هؤلاء الهكسوس وأسلافهم الذين أنجبوا سلالاتهم . كما اختلفوا أيضافى تفسير المعنى الحقيقى لاسم الهكسوس . واختلفوا كذلك فى تحديد مدة احتلالهم لمصر . وهل جاءوا إلى مصر فى شكل غزوة حربية بجيش جرار أم تسللوا إلى مصر بالتدريج .

* أما عن تفسير كلمة « هكسوس » فلا يوجد فى المصادر والكتابات المصرية القديمة ما يدل على وجود هذه الكلمة فى اللغة المصرية القديمة ، وانما وجدت أوصاف أطلقت عليهم مثل وصفهم بـ « الطاعون » أو بكلمة « عامو » أى الآسيويين . وأول من استعمل كلمة « هكسوس » هو المؤرخ المصرى القديم « مانيتون » الذى عاش خلال القرن الثالث قبل الميلاد ، أى بعد مرور نحو ما بين أربعة عشر وخمسة عشر قرنًا على احتلال الهكسوس لمصر وطردهم منها . والكلمة التى استعملها « مانيتون » مكونة من مقطعين هما : « حقا » بمعنى « حاكم » و « شاسو » بمعنى « بدوى » . ومن الجائز أن كلمة « شاسو » تحولت فى اللغة اليونانية ـ التى كتب بها مانيتون ـ إلى كلمة «سوس» كما تحولت فى اللغة القبطية فيما بعد إلى كلمة « شوس » . وعلى ذلك فإن معنى هذا الاسم عند مانيتون هو « حاكم ـ أو حكام ـ البدو أو الرعاة » . إلا أن الرأى الذى اتفق عليه المؤرخون وعلماء اللغة المصرية القديمة هو أن كلمة « هكسوس » جاءت من كلمة مصرية قديمة كانت مركبة من كلمتين هما « حقاو » و « خاسوت » ومعنى هاتين الكلمتين معًا هو « حكام الأقاليم الأجنبية » وهذا هو الرأى الراجح الآن .

* وبالرغم من أن المصريين القدماء أطلقوا على هؤلاء الهكسوس اسما شاملا وهو «عامو » بمعنى انهم من الشعوب الآسيوية ، فمن المؤكد فعلاً أن الغالبية العظمى من الهكسوس كانوا من الآسيويين . وهناك نظريات حديثة قال بها بعض المؤرخين وعلماء الانثروبولوجى ـ أى علم دراسات الانسان ـ وهى أن الساميين هم العنصر الغالب للهكسوس ، وانهم كانوا من سلالات وطوائف لغوية مختلفة . . فكان بينهم جماعات من الجنس « الهندى ـ إيرانى » الذين كانوا يعيشون فى سهول آسيا الوسطى ، ومن «الحيثيين » الذين كانوا يعيشون فى سهول وجبال آسيا الصغرى وشرقها ، ومن «الحوارنيين » الذين كانوا يعيشون فى بعض مناطق الأراضى السورية .

* ومع ذلك فهناك رأى قال به أحد المؤرخين القدماء حاول به أن يثبت أن الهكسوس كانوا من اليهود . . فما هى حقيقة هذا الادعاء . . ؟!

الهكسوس .. هل هم من اليهود ؟

فى القرن الأول الميلادى - أى بعد طرد الهكسوس من مصر بنحو ستة عشر قرنا أو أزيد قليلا - ظهر مؤرخ يهودى اسمه « فلافيوس يوسفوس » حاول أن يبرهن فى كتاباته على أن اليهود والهكسوس من عنصر واحد هو عنصر « العبرانيين » . ويبدو أن هذا المؤرخ اليهودى كان من الرواد الأوائل الذين يلوون الحقائق ويبتدعون الأكاذيب ويلعبون فى ثوابت التاريخ حتى يرفعوا من شأن اليهود ولو كذبًا ، ويدعون بأن لهم أدواراً مارسوها أو حضارة صنعوها ، وذلك لمواجهة كتابات المؤرخين الإغريق القدامى الذين كانوا يحتقرون اليهود ويحطون من شأنهم . ولعل أوضح دليل على كذب هذا المؤرخ اليهودى هو هذا الرأى العشوائى الذى كتبه مؤكداً فيه أن الهكسوس خرجوا من مصر قبل ألف سنة من نشوب حروب « طروادة » التى خلدها الشاعر الإغريقى «هوميروس » فى « الإلياذة » و « الأوديسة » .

* وقد قام علماء التاريخ والآثار المحدثون بتفنيد هذا الكلام الذى ذكره يوسفوس فى كتاباته فلم يجدوا له أية علاقة بالثوابت التاريخية التى ذكرها المصريون القدماء عن فترة احتلال الهكسوس لمصر ، ولا بالشواهد الأثرية التى تم العثور عليها فى مصر وفلسطين والتى يرجع تاريخها إلى تلك الفترة . ويقول جميع المؤرخين المحدثين إن القول بأن اليهود والهكسوس من عنصر العبرانيين هو قول لا يؤيده سند من العلم أو التاريخ ، وهو قول « مغرض » إلى حد كبير ورد فى كتابات مؤرخ يهودى يؤرخ لواقعة تاريخية حدثت بمصر قبل ما يزيد على ألف وستمائة سنة من مولده . ولذلك فقد اعتبر المؤرخون المحدثون ان كتابات يوسفوس فى هذا الشأن تعتبر من الناحية العلمية بعيدة تمامًا عن مجال «المصادر التاريخية » التى يعتد بها أو يوثق فيها .

* أما المؤرخ المصرى القديم « مانيتون » الذى عاش فى مدينة « سمنود » بالوجه البحرى فى القرن الثالث قبل الميلاد ـ أثناء العصر البطلمى ـ فقد كتب عن فترة احتلال الهكسوس لمصر بأسلوب يقطر حزناً وألما ، ويصف فيه تلك الكارثة والمصيبة الكبرى التى تعرضت فيها مصر لأول احتلال أجنبى لأراضيها . وقال بالنص :

« لا أدرى لماذا نزلت بنا صاعقة من غضب الإله . . فقد تجرأ قوم من أصل وضيع من الشرق على غزو بلادنا . . وتسلطوا على البلاد بدون صعوبة وبدون نشوب معركة حربية . . وبعد أن تغلبوا على رؤساء وحكام الأقاليم أحرقوا المدن بوحشية . . وأزالوا معابد الآلهة من أساسها . . وعاملوا الأهالى بكل قسوة . . فقتلوا الكثيرين . . وسبوا نساء وأطفال أناس آخرين . . ونصبوا واحداً منهم اسمه [سالاتيس] وجعلوه ملكا» .

* وبالرغم من الوثائق المصرية القديمة التى كتبها المصريون القدماء فى البرديات وعلى جدران المعابد والمقابر ، خصوصاً فى فترة تحرير البلاد من الهكسوس وفى الفترات التالية على طردهم من مصر بصفة نهائية ، إلا ان فترة احتلال الهكسوس لمصر مازالت تعتبر من الفترات المظلمة فى التاريخ المصرى القديم ، ويكتنفها الضباب الذى يخفى الكثير من المعلومات ، فيما عدا معلومات قليلة يمكن أن نستشف منها بعض الجوانب التاريخية والأثرية التى تساعدنا على تكوين صورة واضحة إلى حد ما عن أحوال البلاد خلال فترة الاحتلال التى استمرت نحو مائة وخمسين سنة طبقا لأرجح الآراء .

* وتدل بعض الشواهد التاريخية والأثرية المصرية القديمة على أن رؤساء الهكسوس بعد أن استقر حكمهم فى مصر تشبهوا بالملوك المصريين القدماء ، واتخذوا الإله المصرى القديم « ست » ـ بما عرف عنه من ميول شريرة ـ إلهًا لهم وأطلقوا عليه اسم « سوتخ » . كما تركوا آثاراً هى فى حقيقة الأمر آثار اغتصبوها وانتحلوها لأنفسهم من الآثار التى شيدها وتركها بعض الملوك المصريين الذين حكموا مصر قبل عصرهم البغيض .

الهكسوس : ورب ضارة نافعة

عندما وقعت مصر تحت احتلال الهكسوس - وهو أول احتلال أجنبى فى تاريخ البلاد - اعتبر المصريون القدماء هذا الاحتلال غضبة إلهية هبطت عليهم كالصاعقة ، شلت تفكيرهم فى بداية الأمر ، وأسلمتهم إلى الخنوع والاستكانة ، فاستسلموا للمظالم الهائلة التى فرضها عليهم الحكام الجدد ، وكانوا يقتطعون - غصبا - من قوتهم وقوت أولادهم ، ومن انتاج حقولهم ومراعيهم وصناعاتهم ، ليدفعوا فروض «الجزية » التى فرضها عليهم حكام أجانب يبغون ملء بطونهم وخزائنهم بخيرات مصر وأموالها دون أن يحققوا للمصريين أى عائد سوى تخريب البلاد وإشاعة الفساد والظلم والاضطهاد .

* ولكن بمرور السنوات الطوال ، تنبه بعض أبناء مصر المخلصين إلى أبعاد تلك المصيبة الكبرى التى حاقت ببلادهم ، فتدارسوا أسبابها ، ووعوا الدرس جيدا ، وأعلنوا بينهم وبين أنفسهم وبكل صراحة ووضوح ، أن الأجانب لا يفكرون فى احتلال مصر إلا إذا شعر هؤلاء الأجانب بأن مصر أصبحت ضعيفة ولقمة سائغة يطمع فى التهامها الطامعون . . وأن مصر لا تصبح ضعيفة إلا بضعف نظام الحكم الذى يحكمها . . وأن السبب الرئيسى لضعف نظام الحكم هو فساد الحكام وانصرافهم إلى تحقيق مصالحهم الخاصة وتجاهل مصالح البلاد وأهل البلاد .

* وسوف نرى فيما بعد أن قادة الانتفاضة المصرية التى اشتعل أوارها ضد الهكسوس، وضعت فى اعتبارها الأول القضاء على الخونة من حكام الأقاليم المصريين الذين تعاونوا مع المحتلين مقابل البقاء فى مناصبهم وبشرط أن يصبحوا سوط عذاب يلهب الشعب المصرى المطحون بالضرائب الباهظة وبمظالم لا أول لها ولا آخر . وهكذا

وضع المصريون القدماء قاعدة وطنية لكل أجيال المصريين فى كل زمان ، وهى أن من الضرورى دائما على كل انتفاضة مصرية ضد قوى أى احتلال أجنبى لبلادهم ، أن يتم القضاء أولاً على تلك الفئات الضالة التى تتعاون مع المحتلين أياً كانت جنسياتهم ، وأياً كان الزمان الذى وقع فيه الاحتلال .

* كذلك فقد تنبه قادة الانتفاضة المصرية ضد الهكسوس إلى أن احتلال الأجانب لبلادهم يمكن استغلاله كمشعل أو شرارة أولى لتزكية الحس الوطنى فى صدور الشباب، وإلهاب مشاعر الكراهية ضد المحتلين ، فيسهل بذلك تنظيم صفوف المقاومة لمجابهتهم والانقضاض عليهم وتحرير البلاد من مظالمهم وشرورهم .

* أما أهم الدروس التى استفاد بها المصريون القدماء من واقعة احتلال الهكسوس ، فهو درس « المركبوت » . . ﴿ والمركبوت كلمة دخلت إلى اللغة المصرية القديمة ومعناها : الخيول والعربات . . ويقول علماء اللغات إن أصلها مأخوذ عن اللغات السامية ﴾ . . وقد اتفق كثير من المؤرخين على أن الهكسوس هم الذين أدخلوا الحصان إلى مصر ، وليس هناك ما يؤيد هذه النظرية بالرغم من قبول الجميع بها . وهناك نظرية أخرى تقول إن الهكسوس وفدوا إلى مصر مشاة ، أما الخيول والمركبات فقد أدخلها « الآريون » إلى مناطق الشرق الأدنى فى بداية القرن السابع عشر قبل الميلاد ، ودخلت الخيول إلى مصر فى أواخر سنوات حكم الهكسوس لمصر قادمة من فلسطين .

* وعلى أية حال وأياً كان مدلول تلك النظريات ، فقد استفاد المصريون القدماء من فكرة « المركبوت » - أى المركبات التى تجرها الخيول - واعتمدوا عليها اعتماداً مطلقا ، بعد أن طوروا شكل وتصميم تلك المركبات وجعلوها ذات عجلتين ، وصنعوا أجزاءها من الخشب والجلد والمعدن ، وتتسع لراكبين هما السائق والمحارب ، وانتجوا منها آلافاً اعتبروها من أهم أسلحة الجيش ، وأطلقوا عليها اسم « سلاح الفرسان » أو « سلاح المركبات الحربية الملكية » . وقد اقتضى هذا الأمر قيام المصريين بتربية آلاف الخيول ، استعداداً لمعركة التحرير ، ومعارك بناء الامبراطورية المصرية فى الشمال والجنوب وفى الشرق والغرب .

الهكسوس : تحرشات ومناوشات متبادلة

كان احتلال الهكسوس لمصر نوعاً من الاستعمار الاستيطانى أشبه باحتلال اليهود لفلسطين أو بسيطرة البيض الأوربيين على بعض الدول والشعوب الأفريقية . ويعتبر هذا النوع من الاستعمار من أسوأ أشكال الاستعمار وأكثرها استغلالاً وإذلالاً للشعوب المستعمرة . ويقول المؤرخون إن سيطرة الهكسوس على حكم مصر اقتصرت بصفة فعلية مباشرة على أقاليم الدلتا وأقاليم مصر الوسطى ، وأنهم كانوا يباشرون أعمال حكومتهم المركزية فى العاصمة التى أقاموها فى مدينة « أواريس » بشرق الدلتا ، وعينوا حكاماً للأقاليم المصرية سواء من الهكسوس أنفسهم أو من بعض المصريين الذين قبلوا التعاون معهم .

* أما حكام أقاليم الصعيد « الجوانى » - بدءاً من جنوب أسيوط - فقد كانوا مستقلين إلى حدما ولا يخضعون للهكسوس بطريقة مباشرة ، وإن كان بعضهم يرسل الجزية إلى ملوك الهكسوس بين حين وآخر ، أو يتلقى بعض الأوامر من هؤلاء الملوك ليقوم بتنفيذها أو عدم تنفيذها حسب الأحوال التى كانت سائدة فى تلك الأقاليم .

* وفى إقليم « طيبة / الأقصر » قام حكامه بتكوين أسرة ملكية هى الأسرة السابعة عشرة . وتدل الشواهد التاريخية ومدونات التاريخ القديم على أن هؤلاء الملوك الذين انتموا إلى تلك الأسرة كانوا يناوشون ملوك الهكسوس كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . وكانوا معروفين بحب الوطنية المصرية أسوة بملوك الأسرة الثانية عشرة الذين خرجوا من نفس الإقليم وقاموا باعادة توحيد مصر بعد القضاء على مشاكل فترة « الاضمحلال الأول » . وهكذا هيأ القدر مرة أخرى فرصة خروج المخلصين لمصر من أبناء هذا الأقليم لقيادة أول انتفاضة مصرية ضد المحتلين الهكسوس .

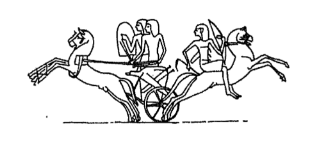
* ومن الطريف أن نذكر هنا أن المخلصين من الوطنيين المصريين كانوا منتشرين أيضا فى أقاليم أخرى . وفى بداية الأمر لم يكن لدى هؤلاء الوطنيين الأوائل ما يكفيهم من سلاح ، كما كانت تنقصهم القيادة الجريئة التى تقودهم إلى محاربة المحتلين وجهاً لوجه . لذلك فقد لجأ هؤلاء الوطنيون إلى أضعف الإيمان ، وهو محاربة الأعداء بالسحر والدعاء عليهم وانزال اللعنة على حكامهم وعلى أولادهم وعلى كل من يتصل بهم ويعاونهم . وقد عثر الأثريون - فى مناطق مختلفة من مصر - على بعض الدمى وكسرات الأوانى الفخارية كتبت عليها أسماء أعداء مصر مقرونة بلعنات يطلق عليها المؤرخون الآن مصطلح « نصوص اللعنة » . والغرض من هذه الطريقة السحرية هو تحطيم وتكسير هذه الدمى والأوانى فى احتفالات خاصة ووسط مراسم وطقوس دينية وسحرية معينة لتحل اللعنة على أصحاب الاسماء المدونة عليها .

* أما الوطنيون المصريون الذين كانوا يفكرون فى الانتفاضة ضد أعداء مصر بطريقة فعلية وواقعية ، فكانوا يتداولون ويتناقشون فيما بينهم فى الخطط العملية التى تمكنهم من مواجهة الأعداء والتخلص من سيطرتهم على البلاد وأهلها . ورأوا أن من الضرورى أولاً وقبل كل شىء نشر الكراهية ضد هؤلاء الأعداء ، وإزكاء الروح الوطنية فى صدور الشباب ، والبدء فى التسلح بأنواع جديدة من الأسلحة مماثلة للأسلحة التى استعملها الهكسوس فى السيطرة على مصر . ومن المعروف أن الهكسوس كانوا يستخدمون أسلحة مصنوعة من البرونز والحديد ويستخدمون العربات الحربية التى تجرها الخيول .

* ولا شك فى أن جواسيس الهكسوس كانوا ينقلون إليهم فى « أواريس » ما كان يدور فى أقليم طيبة من أفكار ومناقشات تتعلق بالتدابير التى يسعى إليها المصريون للتخلص من حكم الهكسوس ووجوب طردهم من مصر .

* وهناك قصة طريفة عثر على نص لها كتب بعد نحو ٤٠٠ سنة من طرد الهكسوس من مصر ، وهى أن أحد ملوك الهكسوس واسمه « أبو فيس » أرسل إلى « سقنن رع - تاعا » الثانى ، وهو أحد أواخر ملوك الأسرة السابعة عشرة رسالة للتحرش به يقول فيها إن أفراس النهر فى طيبة عالية الصوت ومزعجة وتحرمه من النوم فى قصره ﴿ الذى يبعد

عن طيبة بنحو ألف كيلو متر ليلاً أو نهاراً . ولذلك فهو يطلب من « سقن رع - تاعا » أن يسكتها أو يقضى عليها . وبطبيعة الحال فقد كان « أبو فيس » يقصد إسكات الأصوات المناوئة للهكسوس والتى تضمر العداء لهم .. فماذا فعل الملك العظيم « سقنن رع - تاعا » لمواجهة هذا التحدى .. ؟



أول شهيد فى حرب التحرير

تقول القصة التى كتبت بعد نحو أربعمائة سنة من نجاح المصريين فى طرد الهكسوس وتخليص البلاد من شرور هذا الاحتلال الأجنبى ، إن ملك الهكسوس «أبوفيس » إدعى أن أفراس النهر فى « طيبة / الأقصر » عالية الصوت ومزعجة وتمنعه من النوم ليلاً ونهاراً فى عاصمة الهكسوس بشرق الدلتا والتى تبعد بنحو ألف كيلو متر عن طيبة . وعندما تسلم الملك « سقنن رع - تاعا الثانى » هذه الرسالة المهينة تمالك أعصابه أمام رسول ملك الهكسوس ، بل وأمر باكرام هذا الرسول ومنحه بعض الهدايا. وبعد انصراف الرسول ، أمر « سقنن رع » بعقد اجتماع يحضره كبار رجال الدولة ليتشاوروا فى الأمر . وما أن تليت عليهم هذه الرسالة حتى أصابهم الوجوم وعجزوا عن نصيحة الملك بخير أوشر .

* وللأسف الشديد فإن البردية التى كتبت عليها تلك القصة كانت ممزقة ومهترئة عند هذا الفصل من القصة فلم نعرف لهانهاية مكتوبة . غير أن المؤرخين وعلماء الآثار لم يقفوا مكتوفى الأيدى أمام هذا الموقف ، فبحثوا فى الشواهد التاريخية والأثرية عن الأدلة والنتائج التى أدت إليها تلك القصة المبتورة .

* يقول المؤرخون إن الأمر لا يخرج عن أحد احتمالين : الأول منهما هو استجابة «سقنن رع » لمطالب ملك الهكسوس باسكات أفراس النهر ﴿ والمقصود طبعًا إسكات الأصوات الوطنية وأصحاب الدعوة إلى تنمية الحس الوطنى وإشاعة كراهية الهكسوس فى صدور الشباب والعمل بكل طريقة ممكنة استعداداً لتحرير البلاد من مظالم هذا الحكم الأجنبى البغيض ﴾ . . أما الاحتمال الثانى فهو ان الرسالة كانت استفزازاً وتحدياً للملك « سقنن رع » أدت إلى تحريضه على التعجل بمواجهة غطرسة هؤلاء المحتلين الأجانب الذين يذلون الشعب المصرى فى الدلتا ومصر الوسطى .

* وبطبيعة الحال فإن الاحتمال الأول يعتبر مرفوضاً لأنه لو كان صحيحاً لما أصبح للقصة أى معنى ، بل واعتبرت قصة معادية لمصر وللمصريين وما كانت تستحق أن تكتب فى النصوص المصرية القديمة . أما الاحتمال الثانى فتؤيده الشواهد الأثربة الظاهرة فى مومياء الملك « سقن رع » التى عثر عليها ضمن خبيئة الدير البحرى عام ١٨٨٠م ، وهى معروضة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة . فقد وجدت المومياء بداخل تابوت كتب عليه اسم الملك مقروناً بلقب « الشجاع » الأمر الذى يدل بوضوح على شجاعته التى جعلته يتخطى كل النصائح التى وجهت إليه بضرورة الانتظار وعدم إعلان الحرب على الهكسوس إلا بعد الاستعداد الحربى وتجهيز الجيش وتسليحه . ولكن الملك قاد ما استطاع تكوينه من فرق الجنود ، وتوجه إلى الدلتا للاغارة على الهكسوس فى عاصمتهم . ولكن عملاً بالقاعدة الشهيرة التى نقول إن الكثرة تغلب الشجاعة فقد سقط الملك شهيداً فى أرض المعركة .

* ويصف عالم الآثار والمؤرخ « إليوت سميث » كيفية استشهاد « سقنن رع » استناداً إلى مواضع وأوصاف الجروح التى وجدت فى جمجمته والتى يبدو منها إن الأعداء قد طعنوه من الخلف بخنجر تحت أذنه اليسرى طعنه غائرة اخترقت رقبته ، ثم انهالوا عليه بالبلط والسيوف والعصى فهشموا وجهه . وبالرغم من أن المومياء قد حنطت بسرعة وباختصار نظراً لظروف المعركة ، فإن وجه الملك الشهيد يعبر عن الألم الشديد وهو يجز على لسانه باسنانه وقت الاحتضار .

* وتدل المومياء على أن الشهيد « سقنن رع » كان عظيم البنيان مفتول العضلات ويبلغ طول جسمه ١٧٠ سم وشعره أسود كثيف ومجعد ، وكان حليق اللحية ولا يزيد عمره على ثلاثين عاماً .

● ويقول المؤرخون القدماء والمحدثون إن « سقنن رع » يعتبر واحداً من أعظم ملوك مصر وأكثرهم مجداً فى التاريخ المصرى القديم . ويذكرون أن عهده كان الشرارة الأولى لبدء النضال الفعلى المستميت لطرد الهكسوس من مصر ، كما أن كفاحه واستشهاده فى أول معركة حربية نشبت بين المصريين والهكسوس أدى إلى اشتعال الحركة الوطنية بين كل المخلصين من أبناء البلاد فى كافة الأقاليم المصرية .

وطنية المرأة المصرية أثناء حرب التحرير [١]

ليست لدينا حتى الآن أية دلائل أثرية تسجل الدور الذى قامت به النساء المصريات من عامة الشعب فى الحركة الوطنية التى تحولت إلى نزاع مسلح ضد الهكسوس كمحتلين أجانب استوطنوا الغالبية العظمى من أرض مصر ، وعاثوا فيها كل ألوان الظلم ، وأشاعوا فيها الفساد ، وجندوا بعض الخونة من حكام الأقاليم فى الدلتا ومصر الوسطى ليكونوا عونا لهم فى ممارسة أعمال الاحتلال البغيض وأهمها جباية الأموال من جزية وضرائب ورسوم .

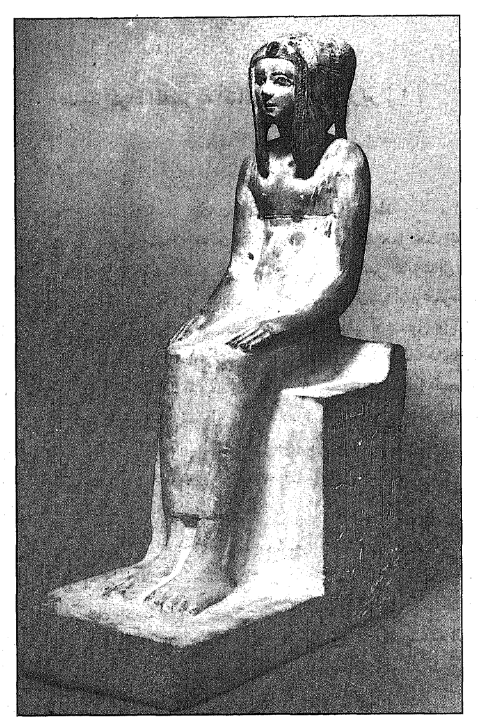
* إلا أن بعض المؤرخين وعلماء الآثار ـ من الفرنسيين والألمان ـ افترضوا بعض «التخمينات » عن مواقف المرأة المصرية من بنات الشعب من مظالم هذا الاحتلال ، فمما لاشك فيه أن المرأة كانت متضررة من تلك المظالم أسوة بالرجال ، احساساً منها بأن جزءاً لا يستهان به من قوتها وقوت أولادها وعوائد عملها المشترك مع الرجل سواء فى الزراعة أو الرعى كان يذهب هدراً إلى محتل أجنبى غاصب مستغل . . فكان من المتصور منطقيا أن تقف المرأة مع الرجل سواء بسواء حينما شاعت بين الشعب المصرى الأفكار الوطنية التى نصبت العداء ضد هؤلاء الهكسوس وضد المتعاونين معهم من حكام الأقاليم . ومن المفترض كذلك ، عندما تحولت تلك الأفكار إلى انتفاضة تتخذ العنف وسيلة للتخلص من الهكسوس ، أن المرأة المصرية من بنات الشعب آزرت الرجال فى مسعاهم الوطنى ، وكانت تشجع هؤلاء الرجال سواء أكانوا من الآباء أو من الأزواج أو من الأبناء على المضى قدماً للتخلص من هذا البلاء الأجنبى الذى يستولى على خيرات البلاد .

* وإذا كانت الآثار لم تترك لنا أية شواهد موثقة عن تلك المواقف النبيلة للمرأة المصرية من بنات الشعب ، إلا أننا لحسن الحظ عثرنا على مجموعة من الشواهد

التاريخية والأثرية تؤكد لنا الدور الوطنى الذى قامت به بعض نساء الطبقة الحاكمة فى أواخر عصر الأسرة السابعة عشرة ، وكانت على رأسهن الملكة « تيتى شرى » زوجة الملك « تاعا الأول » ووالدة الملك الشهيد الشجاع « سقنن رع » .

* لم تكن « تيتى شرى » من سلالة الملوك ، بل كانت فتاة عادية من بنات الشعب تزوجها الملك « تاعا الأول » وأجلسها معه على عرش طيبة وأقاليم جنوب مصر التى لم تكن خاضعة تماماً لسيطرة الهكسوس . وقد ورد اسم هذه الملكة خمس مرات فى الوثائق الأثرية للأسرة الثامنة عشرة . كما عثر لها على تمثالين متماثلين تماماً من كل الوجوه من حيث الحجم والجلسة والملامح والكتابة المدونة عليهما . وتدل هذه الشواهد الأثرية على أن « تيتى شرى » كانت ذات شخصية قوية ، وانها عاشت طويلاً حيث ماتت فى عهد حفيدها العظيم « أحمس الأول » الذى اعتبر أول أبطال حروب التحرير فى تاريخ العالم . كما تدل الشواهد التاريخية على أن الحركة الوطنية المصرية ضد الهكسوس وحلفائهم قد بدأت فى عهد زوجها « تاعا الأول » . ومن المؤكد انها اشتركت فى تلك الحركة بعد موت زوجها وتولى ابنه وابنها « سقنن رع » الشهيد الشجاع عرش طيبة . ومن المؤكد أيضا أنها كانت وراء تشجيع « سقنن رع » على رفض تلك الرسالة المهينة التى وصلته من « أبو فيس » ملك الهكسوس لمطالبته باسكات أصوات أفراس النهر فى طيبة والقضاء عليها لأنها تزعجه وتقض مضجعه وتمنع عنه النوم ليلاً ونهاراً وهو قابع فى قصره فى مدينة أورايس عاصمة الهكسوس بشرق الدلتا والتى تبعد عن طيبة بنحو ألف كيلو متر . وكما ذكرنا من قبل فقد كان « أبو فيس » يقصد بأفراس النهر تلك ، أصوات الوطنيين المصريين الذين أخذوا يدبرون أمورهم لمواجهة الهكسوس عسكرياً ويدعون إلى إشعال الحرب ضدهم وطردهم من البلاد .

* ومن المعروف تاريخياً أن « سقنن رع » كان متزوجاً من اخته الملكة « إياح حتب » وهى الابنة البكر للملكة « تيتى شرى » . . وكانت هى الأخرى واحدة من أعظم الشخصيات النسائية فى تاريخ مصر القديم ، وكانت لها مكانة عظمى لدى المصريين فى عهدها وماتلاه من عهود ، فهى أم الشقيقين « كامس » و « أحمس » اللذين حررا مصر من أول وأسوأ احتلال أجنبى فى تاريخها المجيد .



تمثال من الحجر الجيرى للملكة « تيتى شرى » فى شبابها

وطنية المرأة المَصرية أثناء حرب التحرير [٢]

فى عام ١٨٥٩ م عثرت إحدى بعثات التنقيب عن الآثار فى منطقة ذراع أبو النجا بغرب الأقصر على تابوت الملكة « إياح حتب » . وكانت هذه البعثة تعمل تحت إشراف ماريت باشا الذى كان موجوداً وقتذاك فى القاهرة . ولذلك فقد نقل التابوت إلى مبنى مديرية قنا ، وأمر مدير المديرية بفتح التابوت لمعرفة ما يحتويه ، فإذا به أمام مجموعة من الحلى والمجوهرات الثمينة كانت تزين مومياء الملكة ، فقرر المدير أن يستولى على تلك المجوهرات ويقوم بتهريبها إلى الخارج . ولكن أحد الموظفين كتب خطاباً عاجلاً إلى ماريت أخبره فيه بأمر تلك السرقة وبأن المجوهرات قد حملت فى قارب نيلى أبحر من قنا متجها إلى الشمال توطئة لتهريبها إلى خارج البلاد . وعلى الفور استصدر ماريت قراراً وزاريا بالاستيلاء على أى قارب يحمل آثاراً . . وبالقرب من مدينة سمنود ، عثر ماريت على القارب الذى كان ينوى تهريب التابوت بما كان فيه من مجوهرات . وتم انقاذ هذا الكنز الثمين من أيدى اللصوص .

* وسارع ماريت بعرض هذه المجوهرات على سعيد باشا الذى كان موجوداً آنذاك فى الاسكندرية وحكى له قصة مطاردة اللصوص ، فاستغرق سعيد باشا فى الضحك ، وقام بالاستيلاء على إحدى قطع الحلى وكانت عبارة عن سلسلة سميكة من الذهب يبلغ طولها أكثر من مترين وبها جعران مصنوع من اللازورد . وأهدى هذه التحفة الأثرية إلى أحب زوجاته إلى نفسه ، ولكنه أعادها إلى متحف بولاق خوفاً من لعنة الفراعنة .

* كانت المجوهرات تتضمن قطع الحلى الخاصة بالملكة وهى عبارة عن بعض

الأساور والعقود بالاضافة إلى مجوهرات أخرى أهداها إليها كل من ابنها الملك « كامس» وابنها الملك « أحمس » وهما الملكان اللذان قاما بالحرب ضد الهكسوس واحداً بعد الآخر. ولذلك فلم يكن غريباً أن تكون هذه الهدايا ذات طابع حربى ، فهى تتكون من مجموعة من البلط والخناجر والحراب المصنوعة من الذهب والمزينة بزخارف من الأحجار الكريمة ، بالاضافة إلى عقد من الذهب واللازورد كان يسمى « عقد الذبابة الذهبية » وهو عبارة عن « نوط عسكرى » كان يمنح إلى الجنود والضباط المحاربين الذين يبلون بلاء حسنا فى ميادين القتال والمعارك الحربية .

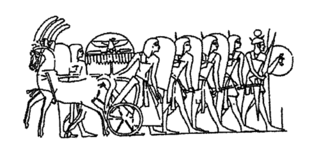
* وقد ذكرنا من قبل ان الملكة « إياح حتب » هى ابنة الملكة الوطنية العظيمة « تيتى شرى » وزوجة الملك الشجاع الشهيد « سقنن رع » وأم الملكين « كامس » و « أحمس » . وتدل الشواهد التاريخية والأثرية على أن هذه الملكة قد ورثت الحماس الوطنى عن أمها وعن زوجها الشجاع . وقد أتاحت لها الظروف بسبب صغر سن ابنيها اللذين توليا العرش واحداً بعد الآخر أن تكون وصية على كل منهما . وبسبب انشغال هذين الابنين فى الحرب المقدسة لتحرير البلاد ، فقد كانت تتولى ادارة شئون البلاد وتسيير أمور الدولة بأعلى قدر من الكفاءة .

* وقد تم العثور فى معابد الكرنك على لوحة تذكارية أقامها الملك « أحمس » لتمجيد أعماله والأعمال العظيمة التى قامت بها والدته « إياح حتب » وقد ترجمت النصوص الهيروجليفية المكتوبة على هذه اللوحة ووجدت بينها فقرة تقول : « اصغوا يا أهل الوجه القبلى ويا رجال الدين ويا أهلى الوجه البحرى ويا أيها الناس جميعاً . . قدموا المديح لسيدة البلاد [وسيدة جزر بحر إيجه] . . فاسمها رفيع الشأن فى مصر وفى كل بلد أجنبى . . فهى التى تضع الخطط للجماهير . . وهى التى جمعت جيوشها . . وجمعت شتات الذين هربوا . . وهدأت روع الوجه القبلى . . وأخضعت عصاته . . وهى زوجة ملك وأخت ملك وأم ملك . . الزوجة الملكية إياح حتب العائشة أبدا » .

* ويقول بعض المؤرخين إن هذا النص يؤكد وجود تحالف سياسى وحربى بين مصر وحكام جزيرة كريت والجزر المحيطة بها فى بحر إيجة لمحاربة فلول الهكسوس الهاربة بعد

فرارها من مصر . ويقولون أيضا إن هذه المرأة العظيمة كانت الروح التى أقالت مصر من عثرتها . وهى التى وضعت الخطط لازكاء الحماس والروح الوطنية بين الجند ، والقضاء على عصيان وثورات بعض حكام الأقاليم المصرية الممالئين للهكسوس.

* وقد عاشت « إياح حتب » عمراً طويلاً تعدى السبعين . وفى أواخر أيامها تنازلت عن مركز سيدة مصر الأولى للملكة « أحمس نفرتارى » زوجة ابنها « أحمس الأول». وكانت هذه المرأة الأخيرة قوية الشخصية وعظيمة الشأن وشاركت زوجها فى كفاحه الحربى حتى انتصر على الهكسوس انتصاراً ساحقاً ، وحرر مصر من شرورهم .



وطنية المرأة المصرية .. أثناء حرب التحرير [٣]

حين كان الملوك العظام « تاعا الأول » والشهيد الشجاع « سقنن رع » وإبناه العظيمان « كامس » و « أحمس الأول » يصعدون الكفاح والنضال ضد احتلال الهكسوس لمصر حتى تمكن بطل التحرير « أحمس الأول » من طردهم وتشتيت فلولهم وتطهير أرض مصر من دنس هذا الاحتلال البغيض . . قامت أمهات هؤلاء الملوك وزوجاتهم وبناتهم بأدوار وطنية سجلها التاريخ .

* وقد عرضنا من قبل النصوص المسجلة تاريخيا وأثرياً والتى تشهد على الروح الوطنية المتحمسة والأدوار السياسية والاقتصادية والإدارية التى قامت بها ابنة الشعب الملكة « تيتى شرى » زوجة تاعا الأول وأم الملك الشهيد سقنن رع . . كما عرضنا الدور الوطنى العظيم الذى قامت به الملكة « إياح حتب » زوجة سقنن رع وأم الملكين «كامس » و « أحمس الأول » حين كانت وصية على عرش كل منهما ، وحين تفرغ كل منهما لقيادة الجيش المصرى فى كفاحه ضد المحتلين .

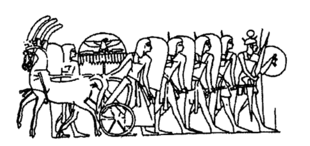
* ونستعرض فيما يلى دوراً عظيماً من الجهود التى قامت بها السيدات المصريات الوطنيات أثناء حرب التحرير ، وهو الدور الذى قامت به الملكة « أحمس نفر تارى » زوجة الملك « أحمس الأول » . وتدل جميع الشواهد التاريخية والأثرية التى تم العثور عليها حتى الآن على ارتباط تاريخ تلك المرأة العظيمة بانجازات زوجها بطل التحرير . وهناك نصوص قاطعة توضح لنا انها كانت تشاركه فى الحكم ، وكان لها دور بارز فى ادارة شئون البلاد أثناء انشغاله بحرب التحرير وإزالة الآثار السياسية البغيضة التى تركها الهكسوس أثناء احتلالهم لمصر ، وتفرغه للقضاء على كل القلاقل التى كان يثيرها بعض الخونة من حكام الأقاليم الذين كانوا متحالفين مع الهكسوس حتى تمكن من

توحيد البلاد وتأسيس أسرة ملكية جديدة هى الأسرة الثامنة عشرة ، التى أدخلت التاريخ المصرى القديم إلى عصر جديد هو عصر « الدولة الحديثة » الذى بلغت فيه مصر أوج عظمتها وشهرتها المجيدة فى العالم القديم كله .

* وقد حازت « أحمس نفرتارى » شهرة واسعة ومكانة رفيعة لدى شعب مصر لعدة مئات من السنين بعد العصر الذى عاشت فيه . فقد أقيم لها معبد جنائزى كان الناس يقصدونه لتقديم القرابين إلى روحها والدعاء لها . وتدل الشواهد الأثرية على أنها ـ فى أثناء حياتها ـ كانت تخرج للناس فى موكب ملكى حافل يلتف الناس حوله لتحيتها . وبعد موتها كانت تعد لها مواكب دينية فى مناسبات الاحتفال بالأعياد الدينية والشعبية . كما تدل الشواهد التاريخية على انها مارست الوصاية على عرش مصر بعد وفاة زوجها وتولى ابنه وابنها « أمنحتب الأول » وكان صغير السن ، فكانت تدير كافة شئون الحكم بكفاءة عالية .

* ومن الغريب أن علماء الآثار المصرية عثروا على عدة تماثيل لها فى حين لم يعثر لزوجهاالعظيم « أحمس الأول » على تمثال واحد حتى الآن ! وقد توفيت بعد أن طال بها العمر حتى عاصرت عهد حفيدها « تحوتمس الأول « إبن إبنها « امنحتب الأول » .

* وبالرغم من المكانة العظيمة التى بلغتها الملكة « أحمس نفرتارى » فلم يتم العثور على قبرها حتى الآن . . ومع ذلك فقد تم العثور على التابوت الذى يحتوى على موميائها ضمن مجموعة التوابيت الملكية التى عثر عليها فى خبيئة الدير البحرى . وتدل مومياؤها على أنها عندما ماتت كانت طاعنة فى السن وهزيلة الجسم وتكاد تكون صلعاء ، وتغطى رأسها باروكة ذات جدائل من الشعر المستعار . وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة .



ظهور المؤسسة العسكرية فى مصر القديمة

لم تكن حرب تحرير مصر من احتلال الهكسوس - وهو أول احتلال أجنبى لأراضيها - حرباً هنية ولا سهلة ، بل كانت حرباً شاقة استغرقت عدة سنوات علمت المصريين - شعباً وحكاماً - دروساً لم يألفوها من قبل . . وغيرت مجرى إحساسهم بالوطنية والقومية المصرية .

* وحين زحف « أحمس » بجيشه الشعبى العظيم الذى خرج من طيبة متجهاً شمالاً نحو شرق الدلتا حيث تقع عاصمة المحتلين ، كانت جموع الشباب وكل من كان قادراً على القتال متحمساً لتحرير الوطن ، ينضمون إلى هذا الجيش الزاحف الذى بلغ تعداده - كما تقول وثائق التاريخ - نحو ٤٨٠ ألف مقاتل من الفرسان والمشاة المسلحين بمختلف أنواع الأسلحة ، بدءاً من الأسلحة التى تصلح للحرب والقتال وانتهاءً بالأسلحة البسيطة مثل العصى والشوم ! . . وكان جيشاً يشتعل حماساً ورغبة صادقة وتصميماً على تخليص الديار المصرية من عار الاحتلال .

* ولم تكن المعركة التى قادها « أحمس » بهذا الجيش الشعبى العظيم ضد الهكسوس وحدهم ، بل امتدت لتشمل القضاء على الخونة من حكام الأقاليم المصرية الذين تحالفوا مع الهكسوس . . وامتدت أيضا إلى جنوب البلاد حيث كان حكام النوبة قد تحالفوا بدورهم مع ملوك الهكسوس لتشتيت جهود الجيش المصرى الوليد بين معارك فى الشمال ومعارك فى الجنوب .

* وحين تم القضاء نهائياً على كل تلك المخاطر ، توحدت البلاد مرة أخرى وبدأ عصر جديد هو عصر « الدولة الحديثة » . . وبدأ المصريون يستظهرون الدروس

المستفادة من هذه التجربة المريرة التى مرت ببلادهم . . وبدأوا يعرفون جيداً أن بلادهم المليئة بالخيرات محاطة من الشرق والغرب بمناطق وبلاد قاحلة يطمع أهلها وسكانها فى الزحف إلى مصر للاستيلاء على تلك الخيرات . كما أصبح من الواضح تماماً أمام المصريين أن هؤلاء الأجانب لا يجسرون على تحقيق أطماعهم مادامت مصر قوية يحكمها حكام أقوياء . . وأن قوة مصر تكمن فى جيش يتكون من شباب مدربين على حمل السلاح لاستعماله وقت اللزوم .

* وهكذا ارتبط عصر الدولة الحديثة بنشأة وظهور الإرهاصات الأولى للمؤسسة العسكرية المصرية منذ بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة . وقد انكب كثيرون من أئمة المؤرخين وعلماء المصريات والمؤرخين العسكريين من أمثال : بريستيد وجاردنر وويلسون وهنلوك وغيرهم ممن درسوا التاريخ المصرى القديم والآثار المصرية القديمة ، وكانت لهم رؤيتهم العلمية التحليلية الخاصة فى تفسير الأحداث واستخلاص النتائج من واقع مئات الآلاف من النصوص المنقوشة على جدران المعابد وسراديب المقابر وعلى واجهات النصب التذكارية والمسلات والنصوص المدونة على صفحات البرديات ، وخلصوا جميعاً إلى استظهار القواعد والخطط التى قامت عليها ومارستها هذه المؤسسة العسكرية المصرية القديمة .٠

* قالوا إن المصريين القدماء منذ بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة [حوالى ١٥٧٠ق م] ، وبعد تجربة طرد المحتلين الهكسوس من بلادهم ، أنشأوا إدارة عسكرية دائمة ، وكونوا جيشاً عاملاً كبيرا ومنظما ومزوداً بالعجلات الحربية التى تجرها الخيول ، ووضعوا برنامجاً مستدياً للتجنيد والتدريب العسكرى ، ونظاماً لمنح الجنود المحنكين أراض زراعية فى نطاق البلاد والأقاليم التى يقيمون فيها ، وكونوا فيالق ووحدات عسكرية مختلفة من الفرسان والمشاة والرماة مستعدة للزحف والقتال فى كل وقت ، ولا يسرح جنودها بعد انتهاء المعارك الحربية ، بل يظل هؤلاء الجنود والضباط فى معسكراتهم يواصلون التدريب طوال فترات السلم .

أعظم جيوش العالم القديم

قال بعض المؤرخين القدامى ، وبعض المؤرخين وعلماء المصريات فى بداية القرن التاسع عشر ، وقبل أن يرسخ علم المصريات وتتضح أبعاده بعد فك رموز الكتابة الهيروجليفية ، إن المصريين القدماء كانوا شعباً مسالماً عزوفاً عن الحرب وغير ميال إليها . . وتدفعه إلى ذلك الموقف عدة أسباب ، منها وفرة الخيرات فى البلاد من ناحية ، وطبيعة موقع مصر الجغرافى من ناحية أخرى حيث تحميها الصحراء من الشرق ومن الغرب .

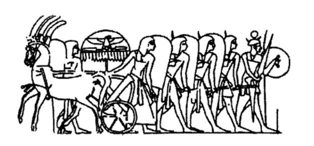
* ولكن هذا الزعم تبدد واتضح بطلانه بعد معرفة قراءة التاريخ الذى دونه المصريون القدماء منقوشا على الجدران أو مكتوباً على صفحات البردى ، وبعد أن تم اكتشاف العشرات ، بل المئات ، من الشواهد الأثرية التى تؤكد أن المصريين القدماء كانوا ينهضون للحرب دفاعاً عن أراضيهم ووحدة دولتهم . . ثم تطور هذا الدفاع تطوراً هائلاً بعد القضاء على الهكسوس وطردهم من البلاد ، وأصبحت الحاجة ملحة لتكوين جيش مستديم مسلح بأحدث ما عرفه العالم القديم من أنواع الأسلحة والعدة والعتاد ، حتى يكون رادعاً لأى شعب أجنبى أو أية جماعة أجنبية تفكر فى غزو مصر أو الاعتداء على حدودها .

* وإذا كان من المسلم به الآن لدى كثير من المؤرخين وعلماء المصريات المحدثين أن فى مصر القديمة بدأ كل معلم من معالم الحضارة الانسانية ، وأن المصريين القدماء هم الذين وضعوا أسس الكتابة وأسس العلوم الطبيعية والطب ، وأسس الفن والأدب والدين ومبادىء الأخلاق والسلوك الانسانى القويم ، وأسس التنظيم الاجتماعى

والسياسى والاقتصادى للدولة ، فإن علماء كثيرين أقروا الآن بأن المصريين القدماء هم أول الذين ابتدعوا مبادىء وقواعد وأسس علم « الاستراتيجية » وعلم « التكتيك » وفنون الحرب وتنظيم الجيوش الكبرى ، ووضعوا خطط المعارك الحربية التى مازالت حتى الآن محل دراسة بأكاديميات الحرب الحديثة فى مختلف أنحاء العالم ، بل والتى أعاد تطبيقها ـ أو استرشد بها واستوحاها ـ عتاة القادة العسكريين المحدثين ، مثل الخطة التى استوحاها الفيلد مارشال لورد اللنبى فى الحرب العالمية الأولى [١٩١٤ ـ ١٩١٨] . . والخطة التى استرشد بها الفيلد مارشال مونتجومرى فى الحرب العالمية الثانية [١٩٣٩ ـ ١٩٤٥] .

* ومنذ بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة [عام ١٥٧٠ ق م] وبالتالى بداية عصر «الدولة الحديثة » فى مصر ، تميز نظام الحكم بقدرة إدارية فذة اكتسبها قطعاً من تراكم خبرات تاريخ طويل فى تنظيم وادارة شئون الحكم فى كل من عصرى الدولتين القديمة والوسطى فى التاريخ المصرى القديم . وكانت هذه القدرة الفائقة على الإدارة وراء فكرة تكوين جيش يعتبره المؤرخون المحدثون من أعظم جيوش العالم القديم وأكثرها قوة وتنظيما .

* وتقول « موسوعة كمبردج فى التاريخ القديم » عن هذا الجيش : « كان جيشاً وطنيا هائل الحجم ، يتألف معظمه من جنود محترفين وجنود احتياطيين ، يقودونهم ضباط محترفون مدربون على أعلى مستوى من التدريب الحربى ، ويؤدون وظائفهم وواجباتهم الحربية فى إدارة الفرق والفيالق والأسلحة المنوطة بهم قيادتها بشكل منظم طبقا لقواعد عسكرية صارمة ، كما لو كانوا حلقات مترابطة فى سلسلة القيادة العامة لهذا الجيش » .



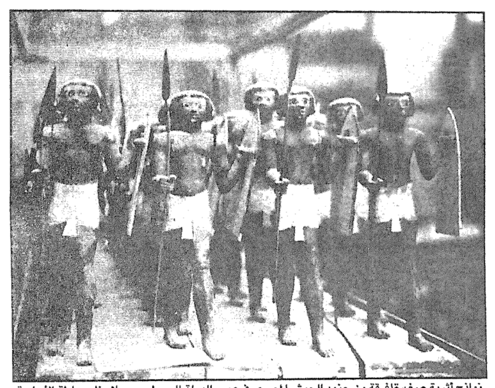
عسكرة مصر والمصريين

فى أعقاب الفرحة العارمة التى سادت فى كل أنحاء الديار المصرية بعد الانتصارات الحاسمة التى حققها الجيش الشعبى المصرى فى طرد الهكسوس وتحرير البلاد من الاحتلال ، هبت على شعب مصر عاصفة فكرية دفعته إلى التفكير فى أهمية الجيش لتحقيق أمن الشعب واستقراره وازدهار أحواله .

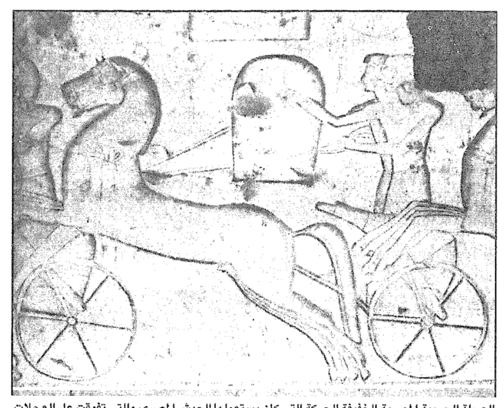
* كذلك فقد اعتنق نظام الحكم الجديد منذ بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة [عام ١٥٧٠ ق م] مبدأ توجيه معظم موارد الدولة لانشاء وتنظيم الجيش ، والتصعيد المستمر فى إضفاء الطابع الحربى والعسكرى على المجتمع المصرى ، باعتبار أن هذا الاتجاه قد أصبح ضرورة حتمية لمواجهة الأخطار التى كانت تهدد مصر من ناحيتى الشرق والشمال بظهور دول ودويلات وإمارات وليدة ذات طموحات عسكرية ومطامع اقتصادية ورغبات فى فرض نفوذها على المناطق المتاخمة لها .

* وقد أغدقت الدولة على كل من كان ينضم إلى الجيش من الجنود والضباط ، فأصبح الانضمام إلى هذا الجيش هدفاً ساميا يسعى إليه الشباب المصريون لكى يحظوا بشرف الجندية ، ويتمتعوا بالمزايا العقارية والعينية التى كانت تمنحها الدولة للجنود المحترفين من أراض زراعية وحصص من الحبوب والخضراوات واللحوم والأسماك التى كانت تكفى احتياجات من يعولونه من أفراد أسراتهم وعائلاتهم حسب الأحوال . كما فتحت الدولة أمام الجنود فرص الترقى لرتب الضباط .

* كما أن شباب الطبقة الوسطى والأسرات الثرية أصبحوا يطمعون أيضا فى الانضامام إلى الخدمة العسكرية والانخراط فى سلك الجندية والاشتراك فى العمليات الحربية تحت قيادة الملك ، وذلك بعد تأهيلهم وتدريبهم فى « المدرسة الحربية » التى



نماذج أثرية صغيرةلفرقة من جنود الجيش المصرى فى عصر الدولة الوسطى .. ويلاحظ بساطة الأسلحة التى كانوا يستعملونها قبل أن تتطور هذه الأسلحة فى عصر الامبراطورية .



العجلة الحربية المصرية الخفيفة الحركة التى كان يستعملها الجيش المصرى والتى تفوقت على العجلات الحربية الثقيلة الحركة التى كان يستعملها جيش الحيثيين [العجلة المصرية يركبها اثنان من المحاربين وعجلات الحيثيين يركبها ثلاثة محاربين] .

انشائها الدولة فى مدينة « منف » [ميت رهينه والبدرشين حاليا] . وكان انضمام هؤلاء الشباب للقوات المسلحة يتيح لهم الحصول على الانعامات الملكية وألقاب التشريف والمراكز الرفيعة فى إدارة الدولة .

* وكان النظام التعليمى فى تلك المدرسة الحربية يؤهل هؤلاء الشباب للقيام بقيادة وإدارة الكتائب والسرايا والفيالق فى أسلحة الجيش المختلفة من مشاة وفرسان ومركبات حربية وانتاج السلاح ومتطلبات المجهود الحربى الأخرى ، بالإضافة إلى إدارة شئون التجنيد والسجلات العسكرية ، كما يتيح لهم التزود بدراسة العلوم المختلفة التى ترفع مستواهم الفكرى وثقافتهم العامة .

* وكان من المفروض على جميع الأمراء من أبناء الملك الانضمام إلى تلك المدرسة للتدريب المشترك مع الشباب الآخرين سواء بسواء لتأهيلهم لقيادة فرق الجيش . وكان الأمير الأكبر - ولى العهد الشرعى - يمنح بعد تخرجه لقب « القائد العام للجيش » بالرغم من أن معظم المعارك الحربية كانت تتم عادة تحت قيادة الملك بنفسه ، والذى كان يعتبر فى جميع الأحوال « القائد الأعلى للجيش » .

* وقد فرضت هذه الاستراتيجية الجديدة على نظام الحكم المصرى أن تستمر الدولة فى إعداد الجيوش وتجهيزها بكل ما يلزمها من عدة وسلاح وتموين ، الأمر الذى كان يتطلب توجيه معظم أنشطة الدولة فى حالة شبه مستمرة من التعبئة والاستنفار العام ، حتى تتحقق حالة التأهب العسكرى والاستعداد الفورى لتنفيذ السياسة الجديدة التى انتهجها نظام الحكم المصرى والقائمة على فلسفة أن « الهجوم هو خير وسيلة للدفاع » وأن السيطرة على تلك الدول والدويلات والإمارات الناشئة فى مناطق الشرق والشمال الشرقى هى التى تضمن لمصر أمنها وسلامتها . وهكذا انطلقت الجيوش المصرية إلى خارج الحدود لتؤسس أول امبراطورية كبرى عرفها تاريخ الانسان على كوكب الأرض .

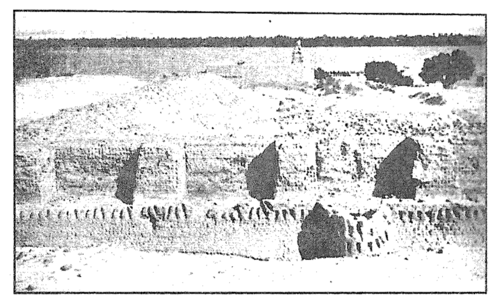


الجيش المصرى .. وتأمين الحدود المصرية

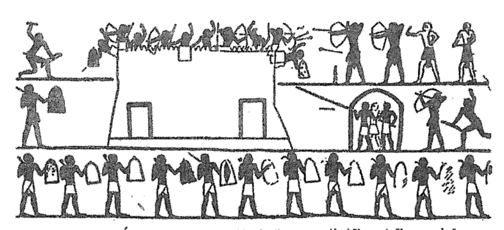
لم تكن الدوافع التى حفزت مصر للخروج بجيوشها إلى خارج الحدود تقصد الغزو والسيطرة وممارسة أعمال السلب والنهب ضد المناطق المتاخمة للحدود المصرية وضد الشعوب التى تسكن تلك المناطق ، بل كانت هناك دوافع منطقية نبعت كلها من تلك التجربة المريرة التى حلت بمصر حين تعرضت للاحتلال الأجنبى لأول مرة منذ بداية تاريخها المجيد . وكان على رأس تلك الدوافع تحقيق الأمن والسلام للشعب المصرى داخل حدوده ، والتكاتف بين الحكومة والشعب لمنع أية دولة أو دويلة أو إمارة خارج الحدود المصرية من التفكير أو الإقدام على تخطى تلك الحدود أو الدخول إلى الأراضى المصرية .

* كذلك فقد كان من الواجب الأول تأديب الدول والشعوب التى تحالفت مع الهكسوس ضد المصالح المصرية ، خصوصاً دولة « كوش » التى تكونت من القبائل النوبية ، بالاضافة إلى قبائل الليبيين بالصحراء الغربية ، لذلك فقد كانت أولى العمليات الحربية للجيش المصرى الحديث الذى تم تكوينه وتجهيزه فى بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة [١٥٧٠ ق م] التوجه مباشرة إلى بلاد النوبة وفرض النفوذ المصرى على تلك القبائل حتى منطقة الشلال الرابع ، ثم التوجه غرباً لإبعاد القبائل الليبية إلى داخل الصحراء ومنعها من الاقتراب من مناطق غرب الدلتا وغرب الفيوم ومناطق مصر الوسطى .

* وما أن انتهت الجيوش المصرية من إخضاع النوبة وليبيا ، حتى اتجهت أنظار قادتها نحو مناطق شرق البحر المتوسط التى كانت المصدر الحقيقى للأخطار التى كانت تهدد مصر ، والتى وفدت عبرها جحافل الهكسوس الذين فرضوا سيطرتهم على مصر



بقايا آثار قلعة مصرية بنيت فى منطقة « بوهن » بالقرب من الجندل الثانى لحماية الحدود الجنوبية لمصر .



رسم توضيحى منقول عن نقش أثرى يصور الجنود المصريين يهاجمون حصناً من حصون الأعداء .

لأكثر من مائة وخمسين عاماً ، والتى كانت تنطلق منها قبائل البدو الساميين الذين كانوا يغيرون على مناطق شرق الدلتا بين حين وآخر لممارسة أعمال السلب والنهب .

* وكانت مصر تدرك تماماً أن مناطق شرق البحر المتوسط كثيرة الجبال والتلال والوديان ، وتدرك أيضا أن هذه الطبيعة الجغرافية لتلك المناطق لم تسمح بجمع كلمة أهلها وسكانها لتكوين وطن موحد يجمع شملهم فى دولة أو وحدة إدارية واحدة ، بل كانت تسكنها مجموعات متفرقة من القبائل لم يكن لديها أدنى قدر من التضافر أو الاتحاد أو التضامن ، بل كانت منقسمة على بعضها فى شكل إمارات صغيرة يحكم كلاً منها أمير يتخذ مقر حكمه فى مدينة تحيط بها المراعى والحقول والقرى الصغيرة . وقد اعتادت هذه الإمارات على أسلوب من الحياة يقوم على التنازع والشقاق والعدوان المستمر لنهب الأمتعة والمواشى وضم أراضى الإمارات الضعيفة . . وقد يؤدى هذا العدوان إلى نشوء مملكة صغيرة تسيطر على عدة إمارات وغالبا ما تؤدى الظروف السائدة فى تلك المناطق إلى تفكك مثل تلك الممالك الصغيرة وزوالها فى فترة وجيزة ، وذلك بسبب الثورات والاضطرابات والقلاقل التى كانت تنشب بين حين وآخر .

* أدركت مصر كل هذه الظروف السياسية التى كانت تعيشها تلك المناطق الشاسعة بشرق البحر المتوسط ، ووضعت فى اعتبارها ضرورة فرض السيطرة المصرية على كل تلك المناطق ، وتأسيس الامبراطورية الممتدة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وهى الحلم الذى حاول تحقيقه من قبل بعض ملوك الدولة الوسطى فى عصر الأسرة الثانية عشرة ، والذى تحقق فعلا فى الدولة الحديثة على أيدى الملوك المحاربين الشجعان المنتمين إلى الأسرة الثامنة عشرة .

تداول السلطة بين حزب المثقفين
وحزب العسكريين

لم تخرج الجيوش المصرية من حدود مصر لتقهر الشعوب الأجنبية وتذلها ، أو لتباشر أعمال السلب والنهب ضد الشعوب المقهورة ، بل كان القصد الأول هو حماية مصر وتوفير الأمن والأمان لشعبها ، ولتحمى هذا الشعب من غارات المغيرين وتهديد الطامعين . وكان القصد الثانى قصداً نبيلاً هو نشر الحضارة المصرية فى البلاد التى يتم فتحها وتحقيق نوع من مزج الحضارة المصرية الراقية بالجوانب الحضارية الجيدة فى حضارات الدول والشعوب المجاورة .

* وتدل الشواهد التاريخية على أن توفير الأمن الذى حققه الملوك الأوائل من الأسرة الثامنة عشرة [١٥٧٠ ق م وما بعدها] قد أدى إلى زيادة الانتاج الزراعى والصناعى فى كافة الأقاليم المصرية ، وأدى ذلك بالتالى إلى تحقيق فائض من الانتاج يمكن تصديره إلى الدول المجاورة فى مقابل استيراد السلع التى تحتاجها مصر من انتاج تلك الدول .

* وهناك العديد من الشواهد الأثرية التى تدل على خروج الجيوش المصرية فى عهد الملوك الأوائل من الأسرة الثامنة عشرة لفرض السيطرة المصرية على النوبة العليا والمناطق الليبية وبعض المناطق الواقعة فى قارة آسيا شرق البحر المتوسط . غير أن التوسعات العسكرية التى أسست الامبراطورية المصرية لم تكتمل فى شكلها النهائى إلا فى عهد الملك المحارب العظيم « تحوتمس الثالث » على ما سوف نرى .

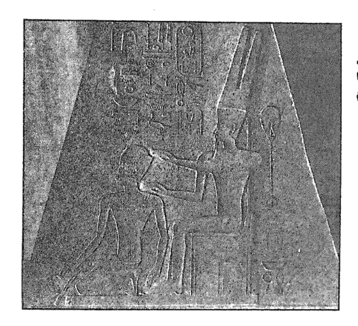
* وقد سجل المؤرخون القدامى والمحدثون كثيراً من أحوال الدولة وأحوال الشعب المصرى فى خلال تلك الفترة التى سبقت قيام تحوتمس الثالث بفتوحاته العسكرية ، حيث قالوا بظهور تيارين حزبيين كانا يتنافسان فى فرض مبادئهما على نظام الحكم فى

مصر . . التيار الأول هو « حزب المثقفين ورجال الدولة ورجال الدين » . . والتيار الثانى هو « حزب العسكريين » الذى كان يتألف من كبار ضباط الجيش وقادة الفيالق العسكرية ومن يساندهم من رجال الدولة فى فرض خططهم بالقيام بحملات حربية لتوسيع مناطق النفوذ المصرى فى كل من آسيا وأفريقيا .

* وكان من الواضح أن التيار الأول قد حقق بعض النجاح فى فرض مبادئه أثناء حكم الملكة « حتشبسوت » حيث كان يدعو إلى تدعيم علاقات مصر بالدول الأخرى على أساس من الصداقة والمبادلات التجارية ، ولعل أكبر دليل على ذلك هو إعداد وتدبير الحملة المصرية إلى بلاد « بونت » لتنقل إلى تلك البلاد المنتجات المصرية ، ولتستحضر منها ما تحتاجه مصر من الأخشاب الثمينة كخشب الأبنوس وأشجار البخور وجلود النمور والحيوانات الحية الغريبة التى لا تتوافر فى البيئة المصرية كالزراف والنسانيس وغير ذلك من المنتجات التى كانت تتميز بها بلاد بونت التى يقول بعض المؤرخين إنها كانت تشمل الصومال وجنوب بلاد اليمن وراء باب المندب بالبحر الأحمر.

* وتدل الشواهد التاريخية والأثرية على أن « حزب المثقفين ورجال الدولة والدين » لم ينفرد بفرض مبادئه على نظام الحكم المصرى فى تلك الفترة ، بل كانت هناك الكثير من الضغوط التى كان يمارسها « حزب العسكريين » والتى كان يسمح بها نظام الحكم لترضيته ، ومنها مثلا إطلاق اسم « مشع » ومعناه « الحملة » على البعثة البحرية التى توجهت إلى بلاد بونت رغم انها لم تكن حملة عسكرية بالمعايير الحربية المعروفة .

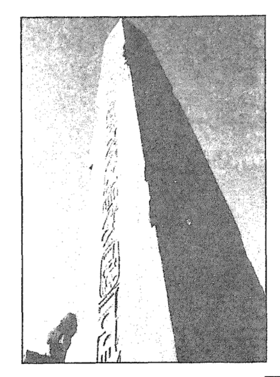
* وقد نجح تيار « حزب المثقفين » فى إقامة العديد من الأعمال المدنية والمنشآت العمرانية العظمى مثل إقامة معبد « حتشبسوت » بالدير البحرى بغرب الأقصر ، والتوسعات الهائلة بمعابد الكرنك ، وإقامة المسلات الشاهقة ، وبناء السفن النهرية والبحرية الضخمة ، والتوسع فى مجال التعليم المدنى والعسكرى ، كما تميز هذا التيار بموقف حضارى رائع وهو قبول ان تكون على رأس الدولة امرأة قوية الشخصية وشديدة المراس ويخضع الجميع لأوامرها ، وهى « الملكة حتشبسوت » . وهذا فى حد ذاته كان أمراً نادر الحدوث فى تاريخ مصر القديم منه والحديث .



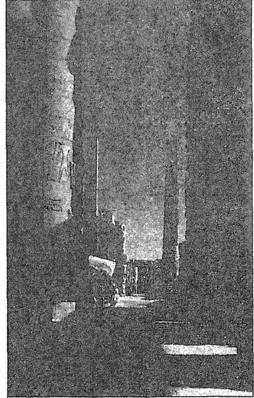
نقش يصور الملكة حتشبسوت بملابس الرجال وعلى رأسها التاج الملكي الحربي راكعة أمام تمثال الإله أمون رع



أفراد من الحملة المصرية إلى بلاد بونت وهم يحملون أغصان الزيتون



إحدى المسلات التى أقامتها
الملكة حتشبسوت



مسلتان أقامتهما الملكة
حتشبسوت بالكرنك تمجيداً
لذكراها ولذكرى أبيها
تحوتمس الأول

الامبراطورية المصرية ..
فى الشرق والغرب والجنوب والشمال

لا يعرف المؤرخون حتى الآن كيف انتهى عهد الملكة حتشبسوت زعيمة حزب المثقفين المصريين . . هل ماتت ميتة طبيعية أم كانت ضحية لثورة أو انقلاب قام به حزب العسكريين الذين كانوا يناصرون « تحوتمس الثالث » ليصبح فرعونا على مصر باعتباره صاحب الحق الشرعى فى الجلوس على العرش .

* وما أن انفرد هذا الملك العظيم بحكم مصر حتى تجلت مواهبه الحربية التى جعلت المؤرخين يصفونه بأنه رائد العبقرية العسكرية فى تاريخ العالم القديم ، وأطلقوا عليه لقب « نابليون الشرق القديم » . وتدل الشواهد التاريخية والأثرية على انه قام فى فترة حكمه بست عشرة حملة عسكرية كان من نتائجها فرض السيادة المصرية على امبراطورية شاسعة الأرجاء تمتد من شرق آسيا الصغرى إلى بلاد ما بين النهرين وجميع مناطق شرق البحر المتوسط التى تشمل حاليا كل سوريا ولبنان والأردن وفلسطين واسرائيل . . وتمتد غرباً داخل الصحراء الليبية ، وجنوباً حتى منطقة الشلال الرابع بالسودان .

* وقد استكانت جميع تلك البلدان إلى حكم هذا الملك العظيم ، واقتنع حكامها وأمراؤها فى النهاية بأنه لا طائل من إثارة الثورات أو إعلان العصيان ضد الحكم المصرى لبلادهم . ويقول المؤرخ « ويجول » ـ وهو أحد المؤرخين الذين توسعوا فى دراسة عصر الامبراطورية المصرية فى التاريخ القديم ـ إن المصريين كانوا أعظم شعوب العالم القديم رحمة وانسانية ، فقد كان « تحوتمس الثالث » يعفو عن أمراء وقادة جيوش العدو ،

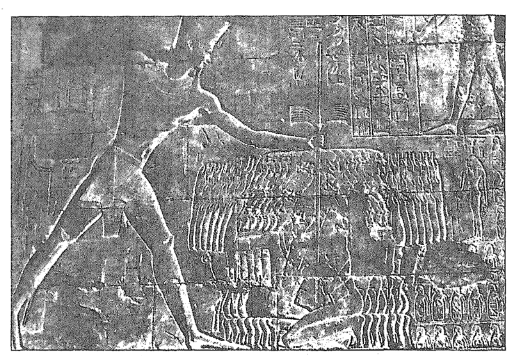


عبقرى العسكرية المصرية الملك تحوتمس الثالث

ويعيد تنصيبهم على الإمارات التى كانوا يحكمونها بشرط أن يرسل كل أمير ابنه الأكبر ـ المتوقع أن يرث منصبه ـ إلى مصر ، ليس كرهينة وإنما لكى يتعلم فى المدارس المصرية وليتشبع بأسس وسبل الحضارة المصرية . [وهذه الطريقة اتبعتها الامبراطورية البريطانية فى القرنين التاسع عشر والعشرين حيث كانت توفد أبناء الحكام وأبناء الطبقات العليا فى كل من الهند ومصر وبقية المستعمرات البريطانية الأخرى لكى يتعلموا فى المدارس والكليات والجامعات البريطانية] .

* ومن المعروف فى التاريخ العسكرى أن عبقرى العسكرية المصرية « تحوتمس الثالث » هو أول من وضع فكرة تقسيم الجيش إلى قلب وجناحين . . وهو أول من ابتكر فكرة تكوين مجلس أركان حرب من كبار ضباط الجيش . . وهو أول من ابتدع فكرة إصدار بيانات حربية يومية تشرح تفاصيل سير المعارك التى خاضها ضد اعدائه . ولحسن الحظ فقد تم العثور على نقوش لتلك البيانات مكتوبة على بعض جدران الكرنك تحكى لنا يوميات موقعة « مجدو » وهى أول موقعة حربية كبرى خاضها تحوتمس الثالث فى أول حملاته العسكرية فى قارة آسيا .

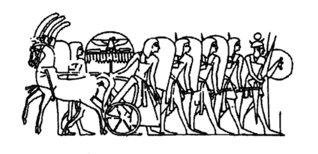
* ويقول المؤرخ « نلسون » الذى درس هذه البيانات دراسة وافية إن الجيش المصرى تحرك من مصر فى يوم يوافق يوم ١٩ ابريل عام ١٤٧٩ ق م . واخترق الصحراء جنوب فلسطين ووصل إلى منطقة غزة بعد ١٠ أيام . وفى بلدة « يحم » بشمال غزة عسكرت القوات المصرية ، وأرسل الملك فرقة استطلاعية لاستطلاع مواقع العدو ، وهو ملك قادش الذى كان يتحكم فى عدة إمارات صغيرة ، وجاءت أخبار هذا الاستطلاع بأن ملك قادش نصب خيام جيشه فى منطقة « مجدو » وضم إليه كل أمراء الأقاليم الذين كانوا يدينون بالولاء والخضوع لمصر ، وكان هذا الجيش مكونا من عدد هائل من المشاة والفرسان . . وعقد « تحوتمس الثالث » مجلس أركان حربه لوضع خطة الهجوم . ورأى تحوتمس أن يمر الجيش عبر ممر « عرونا » وهو ممر ضيق ليفاجىء جيش العدو من حيث لا يحتسب . إلا أن كبار الضباط كانوا يرون صعوبة اختراق هذا الممر ، ولكنهم رضخوا لرأى القائد فى نهاية الأمر ، ونجحت الفكرة العبقرية ، ودخل الجيش المعركة الحاسمة مفاجئاً جيش الاعداء وحقق انتصاراً ساحقا . . واستسلم أمراء وقادة جيش العدو



نقش رمزى للمحارب العظيم « تحوتمس الثالث » وهو يمسك بأسراه من الأعداء الآسيويين

وألقوا سلاحهم « طالبين النفس لأنوفهم » ـ كما يقول النص المصرى ـ وقالوا للفرعون : « هيىء لنا الفرصة لنسلم لجلالتك الغرامة » .

* ويبدو أن الضابط الانجليزى « لورنس » المعروف بلورنس العرب ـ وكان على دراية بالتاريخ المصرى القديم ـ هو الذى أوحى للفيلد مارشال لورد اللنبى بعبور الجيش البريطانى عبر ممر « عرونا » الضيق ليفاجىء الجيش العثمانى من حيث لا يحتسب وذلك فى خلال معارك الحرب العالمية الأولى [١٩١٤ ـ ١٩١٨] وهى نفس الفكرة التى وضعها عبقرى العسكرية المصرية تحوتمس الثالث منذ ما يقرب من ٣٤ قرنا سابقة على هذا التاريخ .



رائد العبقرية العسكرية فى تاريخ العالم

لم تقتصر العبقرية العسكرية التى تميز بها « تحوتمس الثالث » على حد ابتداع فكرة تقسيم الجيش إلى قلب وجناحين ، أو ابتداع فكرة تكوين مجلس أركان حرب من كبار الضباط و أو ابتداع فكرة إصدار بيانات حربية يومية للعمليات التى تتم أثناء المعارك ، أو ابتداع فكرة مرور الجيش عبر الممرات الضيقة لمفاجأة جيش العدو الذى لا يمكن أن يتوقع إمكانية اختراق تلك الممرات الصعبة . . وإنما ابتدع أيضا فكرة عبقرية أخرى تتمثل فى نقل السفن الحربية نقلاً برياً .

* وقد انبثقت تلك الفكرة فى رأس هذا العبقرى العسكرى الفذ عندما قرر فتح المناطق الشمالية الغربية بالعراق [بلاد ما بين النهرين] وضمها إلى الامبراطورية المصرية . . فقد كانت هناك عقبة كأداء تتمثل فى كيفية عبور الجيش المصرى حتى يصل للشاطىء الآخر من نهر الفرات . . وكان من الضرورى وجود عدد كبير من القوارب والسفن لنقل جنود المشاة والفرسان والخيول والعربات الحربية وكافة الأسلحة والمؤن التى يحتاجها الجيش ، من الشاطىء الغربى إلى الشاطىء الشرقى لنهر الفرات . . لذلك فقد أمر « تحوتمس الثالث » بصنع هذه السفن والقوارب كأجزاء مفككة فى مدينة ببلوس [مدينة جبيل حاليا شمال بيروت] مستعينا بأخشاب غابات لبنان ، وبتصميم هندسى يجعل من السهل إعادة تركيب هذه الأجزاء المفككة وتكوين السفن والقوارب المطلوبة .

* وبالنظر إلى أن الطريق بين « ببلوس » بلبنان ومدينة « قرقميش » على الشاطىء الغربى لنهر الفرات طريق شاق وطويل ، وأغلبه « مدقات » غير ممهدة ، فقد ابتدع المهندسون العسكريون المصريون نوعاً من عربات النقل الثقيل تجرها الثيران ، أطلقوا

عليها اسم « ور ـ رت » ومعناه « العظيمة » وتصلح تماماً لحمل أجزاء السفن والقوارب والمعدات الحربية والسير بها فى تلك الطرق الوعرة . . وعندما تصل أجزاء السفن المفككة إلى شاطىء الفرات ، يعكف المهندسون والصناع المصريون المصاحبون للحملة العسكرية على تركيبها وتزويدها بما يلزمها من حبال ودفات ومجاديف حتى تصبح جاهزه للابحار فوق الماء . . وعندما اكتمل عدد السفن والقوارب المطلوبة بدأ هجوم الجيش المصرى على تلك المناطق العراقية وضمها إلى الامبراطورية المصرية التى أصبحت قوة لا تقهر ، ولا يمكن أن تعارضها أية دولة أو إمارة من دول وإمارات العالم القديم .

* وقد كتب بعض المحللين العسكريين المحدثين أن الفيلد مارشال مونتجومرى قد استوحى هذه الفكرة ونفذها فى أثناء معارك الحرب العالمية الثانية ، حيث نقل أجزاء السفن والقوارب الحربية المفككة المصنوعة فى فرنسا وانجلترا نقلاً برياً عبر الطرق البرية فى فرنسا ، وتم تركيبها على شاطىء نهر « الراين » حتى يتمكن من عبور قواته إلى الأراضى الألمانية .

* كذلك فقد تجلت عبقرية « تحوتمس الثالث » كقائد عسكرى فذ لم يعرف تاريخ العالم القديم قائداً مماثلاً قبله ، حين تم استيلاؤه على جميع موانى شرق البحر المتوسط وحولها إلى قواعد حربية بحرية تؤدى دور حلقة الوصل بين مصر وبقية مناطق الامبراطورية فى قارة آسيا ، وتنقل إليها فرق الجنود وكافة أنواع العتاد الحربى اللازمة للمعارك ، كما تنقل منها كافة أنواع الجزية العينية وغنائم الحرب حتى تصل إلى الموانى المصرية على البحر أو بداخل النيل حتى تصل إلى ميناء طيبة « الاقصر » بجنوب البلاد . . وبالاضافة إلى تلك القواعد الحربية البحرية قام تحوتمس بتشيد بعض القلاع الحربية داخل أراضى شرق البحر المتوسط ، أطلق عليها اسم « تحوتمس قاهر الأجانب » .

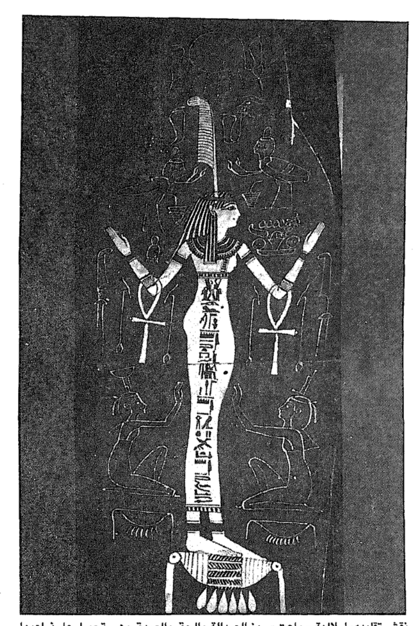


الامبراطورية المصرية وفكرة « الحكومة العالمية » .

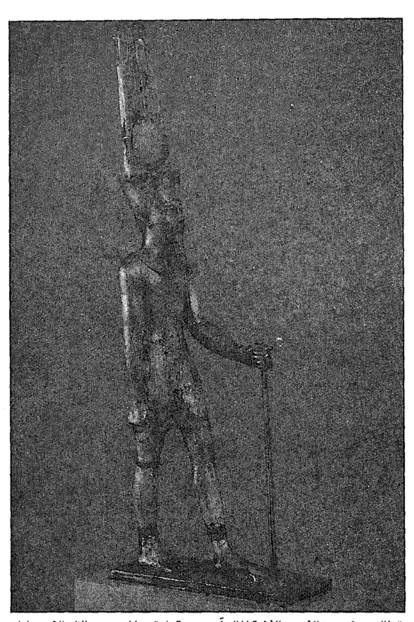
يقول المؤرخ البريطانى الشهير « أرنولد توينبى » : إن الامبراطورية المصرية التى أسسها « تحوتمس الثالث » تعتبر صورة كاملة من أشكال « الحكومة العالمية » التى ظل يحلم بتحقيقها الفلاسفة والقادة العسكريون الكبار على مدى التاريخ الانسانى ، حيث كانت مصر خلال عصرها الامبراطورى تحاول أن تفرض حضارتها ولغتها وتنشر عقائدها ودياناتها وأساليب حياة شعبها فى ربوع الأرجاء الشاسعة التى فتحتها وضمتها الجيوش المصرية . كما حرصت مصر أيضا على عقد أواصر الصداقة والعلاقات السلمية مع الدول الوليدة التى ظهرت تباعاً فى تخوم الامبراطورية وخارج حدودها .

* وتدل الشواهد التاريخية والأثرية على أن أمراء وحكام الإمارات والدويلات التى فتحتها جيوش تحوتمس الثالث فى مناطق شرق البحر المتوسط ، قد آثروا الاحتماء بقوة مصر ووعدها لهم بحمايتهم من هجمات وأطماع تلك الدول الوليدة التى بدأت تنشأ وتتمركز فى المناطق المحيطة بالحدود الشرقية والشمالية للامبراطورية المصرية ، خصوصاً دولة « الحيثيين » التى بدأت تهدد بعض تلك الإمارات والدويلات وتثير الاضطرابات والقلاقل وتحرض بعض حكامها وأمرائها ضد مصر . وقد تم العثور على الكثير من الرسائل والخطابات التى كان يحملها رسل هؤلاء الأمراء والحكام يطلبون فيها من ملوك مصر الوفاء بالالتزام بحمايتهم الذى قرره ووعد به تحوتمس الثالث حين فتح بلادهم .

* وقد عكف مؤرخون كثيرون على ترجمة تلك الخطابات والرسائل ودراسة فحواها والموضوعات التى تضمنتها ، فتبين انها كانت تتكون من مجموعتين . المجموعة الأولى رسائل وخطابات أرسلها أمراء وحكام الإمارات والدويلات التى كانت داخلة فى نطاق



نقش تقليدى للإلهة « ماعت » رمز العدالة والحق والصدق وهى تحمل على ذراعيها علامتى « عنخ » التى ترمز إلى الحياة الأبدية وتضع ريشة النعام فى شعر رأسها ..وقد اتخذها المصريون شعارًا لنشرعدالتهم فى حكم الامبراطورية .



تمثال مصنوع من الذهب والفضة للإله آمون .. وقد اعتبره المصريون الإله الذى يبارك فتوحاتهم ويحقق النصر لجيوشهم

الامبراطورية المصرية وتخضع للحكم المصرى . . والمجموعة الثانية كانت الرسائل والخطابات التى أرسلها الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون الدول المستقلة المجاورة لحدود الامبراطورية المصرية والذين كانوا يحرصون فى أغلب الأحوال على مديد الصداقة إلى مصر وملوكها . وتدل هذه الرسائل بصفة عامة على وجود جو سياسى عام تسوده روح السلام وعلاقات الود والمهادنة . ومن الطريف أن نذكر هنا أن معظم هذه الرسائل التى كان يرسلها الملوك والحكام الأجانب إلى ملوك مصر كانت تستهل بالدعاء للفرعون بطول الحياة وبكل عبارات المحبة والود وأمنيات الخير له شخصيا ولأهل بيته ولعظماء دولته ، بل والدعاء بالخير والمباركة لخيوله وعرباته وكل قطعة من أرض بلاده .

* وهناك الكثير من النقوش الأثرية التى وجدت على جدران المعابد وجدران مقابر الملوك والوزراء وكبار رجال الدولة فى عصر الامبراطورية تؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك تدفق جميع أنواع الجزية وغنائم الحرب والهدايا على مصر ، سواء من الإمارات التى تم فتحها وضمها ، أم من الدول الوليدة الأخرى المجاورة لحدود الامبراطورية المصرية كدولة آشور التى لم تقع بينها وبين مصر فى ذلك العصر أية معارك أو اشتباكات حربية . فقد رأى ملك تلك الدولة أن يخطب ود مصر فأرسل رسله محملين بأنواع الهدايا والمجوهرات . . كذلك فقد تدفق على مصر آلاف من الأسرى وآلاف من العبيد غير المحاربين . . وآلاف من الخيول وآلاف من المواشى . . ومئات من العربات الحربية ، بالإضافة إلى سلع لا حصر لها من المصنوعات والمصوغات والحلى والمجوهرات .

* وهكذا بدأت مصر وبدأ المصريون يعيشون حياة ملؤها الترف والنعيم والانغماس فى الملذات . ويقول بعض المؤرخين ـ ومنهم الدكتور سليم حسن ـ إن هذا الثراء والترف الذى انغمس فيه المصريون كان من الأسباب التى أدت إلى الخطوات الأولى فى انحلال الأخلاق وفساد العناصر الطيبة فى البلاد ، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى انحطاط أخلاقى وانحطاط عسكرى ، خصوصاً بعد أن اختلط الدم المصرى بالدم الأجنبى بسبب وفود آلاف من الأجنبيات الفاتنات إلى مصر ، فتلقفهن ثراة المصريين واتخذوهن كجوارى ومحظيات .



أفراد من القبائل الآسيوية الذين كانوا يحضرون إلى مصر ومعهم الهدايا والجزية





وفود من حكام الإمارات بغرب آسيا يحملون الهدايا راكعين أمام الفرعون

توطيد أركان الامبراطورية المصرية

لا شك فى أن حياة الترف والثراء الواسع الذى حققته مصر فى عصرها الامبراطورى كان نتيجة مباشرة للفتوحات الكبرى التى قام بها عبقرى العسكرية تحوتمس الثالث لتوسيع حدود امبراطوريته المترامية الأرجاء فى الشمال والجنوب وفى الشرق والغرب . وكانت العادة فى التاريخ القديم فرض « الجزية » على ما يتم غزوه من بلاد . . وهكذا تدفقت على مصر ثروات هائلة ، بالإضافة إلى ما كانت ترسله الدول المتاخمة لحدود الامبراطورية المصرية من هدايا طوعية إبتغاءً لعقد أواصر الصداقة مع مصر وحكامها .

* وتدل الشواهد التاريخية على أن بعض الإمارات والدويلات التى فتحها تحوتمس الثالث أعلنت حالة العصيان عندما بلغها خبر موته ، وامتنعت بالتالى عن دفع ما تقرر عليها من مقادير الجزية . وكانت مظاهر هذا العصيان فى أغلبها عبارة عن إثارة القلاقل والاضطرابات ومحاولات التنصل من الالتزامات المتفق عليها بين مصر وتلك الإمارات والدويلات ، وكذلك بسبب تحريض بعض الدول الوليدة المتاخمة لحدود الامبراطورية المصرية فى مناطق شرق البحر المتوسط .

* ولكن لحسن الحظ تولى عرش مصر وامبراطوريتها بعد موت تحوتمس الثالث ملوك عظام آخرون من نسله ، بدأوا بابنه الملك الرياضى امنحوتب الثانى الذى يدل تاريخه وآثاره على انه قد نهج نهج والده العظيم فى قيادة الجيوش واتباع الخطط والقواعد العسكرية الحربية التى ابتدعها . ولذلك فقد قام على الفور بقيادة الجيوش المصرية براً وبحراً واتجه إلى تلك الامارات والدويلات التى أعلنت عصيانها فى المناطق السورية وبلاد النهرين وأوقع بحكامها العصاة أشد العقاب . ومن الغريب ـ كما يذكر التاريخ



المحارب العظيم « أمنحوتب الثانى » ابن المحارب العظيم « تحوتمس الثالث »

ـ أن معظم هذه الامارات والدويلات قد خرجت عن بكرة أبيها بكل رجالها ونسائها وأطفالها لاستقبال الجيش المصرى بالموسيقى والطبول تعبيراً عن الولاء لمصر وحكامها الذين كانوا يتولون حمايتهم من أطماع تلك الدول الوليدة مثل الحيثيين والميتانيين والبابليين ، وهى دول كانت تسعى للسيطرة على الامارات والمناطق التابعة للامبراطورية المصرية فى شرق البحر المتوسط . ولذلك فلم يقم الجيش المصرى بقيادة امنحوتب الثانى بإيقاع أى أذى أو عقاب على شعوب تلك المناطق ، واقتصر الأمر على عزل وتأديب الأمراء والحكام الذين انساقوا وراء التحريض وأعلنوا التمرد والعصيان .

* وبعد أن أتم امنحوتب الثانى عمليات التأديب هذه قاد الجيش المصرى إلى مناطق أعالى نهر الفرات ، وعبر النهر وتوغل فى بلاد النهرين إلى مسافات أبعد مما وصل إليها والده ، وأقام هناك نصباً تذكارياً لتخليد ذكرى وصوله واخضاعه لتلك المناطق الجديدة . وتدل الشواهد الأثرية أيضا على ان أمراء وحكام دولة الميتانيين المتاخمة لتلك المناطق جاءوا إليه حاملين جزيتهم وهداياهم على ظهورهم طالبين أن يسمح لهم جلالته « بالبقاء أحياءً ليستنشقوا نسيم الحياة » كما يقول النص الأثرى .

* وفى مصر أقيمت الاحتفالات بعودة الجيش المصرى المنتصر ، وهلل الشعب تكريماً للملك العظيم الذى حقق لمصر الرخاء والثراء . وتدل الشواهد الأثرية المكتوبة على أن « الجيش العائد كان يتدفق كالسيل ويجر وراءه ما يزيد على خمسمائة أمير سورى أسرى ، ومائتين وأربعين من زوجاتهم ، ومائتين وعشرة من الخيول الجيدة ، وثلاثمائة من العربات الحربية كغنائم حرب ، وما يعادل ألفا وستمائة وستين رطلاً من الذهب ، وما يعادل مائة ألف رطل من النحاس » .

* وبعد أن انتهى امنحوتب الثانى من توطيد أركان الامبراطورية المصرية فى المناطق الآسيوية بشرق البحر المتوسط ، اتجه جنوباً إلى أعماق بلاد النوبة حيث كانت حدود الامبراطورية قد وصلت فى عهد والده إلى منطقة الشلال الرابع ، وذلك كشكل من أشكال استعراض القوة العسكرية للجيش المصرى حتى لا يجسر أحد من أمراء النوبة أو رؤساء القبائل على شق عصا الطاعة أو القيام بأى عصيان . . غير أن امنحوتب

الثانى توغل فى المناطق الأفريقية إلى ما بعد منطقة الشلال الرابع لفرض النفوذ المصرى على الطرق التجارية التى كانت تربط بلاد النوبة بأواسط أفريقيا وبالبلاد المتاخمة لها . وكذلك لمنع القبائل هناك من التمرد أو القيام بأية حركات عدائية ضد مصر ومناطق نفوذها .



نقش جدارى بمعبد الكرنك يصور الملك « أمنحوتب الثانى » فى عربته الحربية

رائد الدبلوماسية فى العالم القديم

استقرت الأحوال تماماً فى جميع أرجاء الامبراطورية المصرية طول حكم « أمنحوتب الثانى » إلى أن مات عام ١٤١٥ ق م . وتولى العرش ابنه «تحوتمس الرابع» فحدثت بعض القلاقل فى بعض إمارات المناطق السورية التابعة للامبراطورية المصرية بتحريض من حكام دولة الحيثيين ، الأمر الذى دفع تحوتمس الرابع إلى القيام بحملتين متتاليتين لإخماد تلك القلاقل فى مهدها ، وذلك بالرغم من انه لم يكن ميالاً بطبعه إلى قيادة الجيوش والقيام بحملات عسكرية ، كما اضطر أيضاً إلى تجهيز حملة اتجهت إلى بلاد النوبة لإخماد ثورة صغيرة قامت بها بعض القبائل .

* وقد اشتهر تحوتمس الرابع فى التاريخ المصرى القديم بانتهاج سياسة عقد المعاهدات الدبلوماسية والتحالفات السياسية . لذلك فقد وصفه المؤرخون بأنه رائد الدبلوماسية فى العالم القديم . ومن أشهر تلك المعاهدات الاتفاقية التى عقدها مع دولة الميتانيين لتنسيق عمليات الدفاع المشترك ضد أطماع دولة الحيثيين فى السيطرة على دولة الميتانيين نفسها والسيطرة على الإمارات والدويلات السورية . وكذلك المعاهدة السياسية التى عقدها مع دولة بابل لتنسيق العلاقات السلمية بينها وبين مصر . ومن الملاحظ أن هاتين الدولتين [الميتانية والبابلية] تقعان على الحدود الشمالية الشرقية للمناطق الآسيوية الداخلة فى نطاق ونفوذ الامبراطورية المصرية .

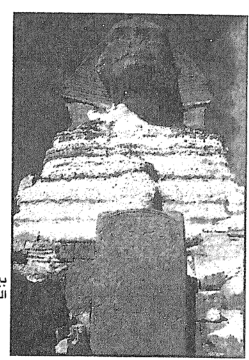
* وقد اشتهر تحوتمس الرابع أيضا بلوحة « الحلم » التى اكتشفها الدكتور سليم حسن عندما كان يقوم بحفائره فى منطقة « أبو الهول » بالجيزة ، فقد عثر على هذه اللوحة بين مخالب التمثال الضخم . وبدراسة النقوش المكتوبة عليها تبين انها تتضمن حكاية ذات طابع شخصى وطابع سياسى فى الوقت نفسه . وتقول الحكاية إن الأمير

«تحوتمس » كان يمارس رياضة الصيد فى الصحراء المجاورة لتمثال أبو الهول . وفى ساعة القيلولة رقد الأمير الصغير فى ظل التمثال ليستريح قليلا ، فأخذته سنة من النوم . . وإذا به يرى فى الحلم الإله « رع » متمثلاً فى تمثال ابو الهول « يتكلم بفمه كما يتكلم الأب مع ابنه قائلا له : تأمل يا بنى تحوتمس . . إنى والدك . . وسأمنحك ملك الأرض لتصبح رئيساً على الأحياء . . وستلبس التاجين الأبيض والأحمر . . وستكون الأرض ملكك فى طولها وعرضها . . انظر يا بنى . . إنى أشعر بألم فى كل أعضائى . . وغمرتنى الرمال وغطت جسمى . . فالتفت إلى لكى ألتفت إليك وأعطيك قلبى . . . . . . »

* وفى تلك الفترة كان قد مر يزيد على على إثنى عشر قرنا على بناء ونحت تمثال أبو الهول فى عهد الملك خفرع [الأسرة الرابعة / الدولة القديمة] وقد تآكلت بعض أجزاء التمثال وطغت الرمال على جسمه وغطت المعابد التى كانت مقامة بجواره . وكان من نتيجة هذا الحلم الذى رآه الأمير تحوتمس فى منامه أن قام بإزالة الرمال عن جسم التمثال ورمم الأجزاء المتآكلة ورمم المعابد المقامة حوله ، وأقام سوراً حول منطقة التمثال لحمايته من زحف الرمال . . وقد كان هناك اعتقاد لدى كثير من المؤرخين وعلماء الآثار المصرية بأن هذا السور قد بنى فى العصر البطلمى [٣٢٣ - ٣١ ق م] ولكن الاكتشافات الحديثة أثبتت أن السور قد بنى فى عهد تحوتمس الرابع [١٤١٥ - ١٤٠٥ ق م] .

* ويقول بعض المؤرخين - ومنهم د . سليم حسن - فى تحليل مغزى تلك الحكاية المنقوشة على تلك اللوحة الأثرية إنها قصة ابتدعها وأذاعها تحوتمس الرابع لتأكيد وتوثيق حقه فى اعتلاء عرش مصر وامبراطوريتها فى ضوء احتمال أن يكون بعض اخوته من أبناء أبيه أمنحوتب الثانى أحق منه فى ولاية العرش ، فادعى هو بأن حقه فى العرش كان بناء على توصية ورعاية الإله « رع » المتمثل فى أبو الهول .

* كما أن لهذه القصة أيضا مغزى دينياً آخر وهو أن ملوك الأسرة الثامنة عشرة - وهى التى قامت تحت رعاية الإله آمون - بدأوا يلاحظون أن كهنة آمون قد أثروا ثراء فاحشاً بسبب الأوقاف والثروات والممتلكات العقارية والمنقولة التى تقع فى حيازة وتصرف



بين ذراعى ابو الهول الأماميتين نرى النصب
التذكـارى الذى سجل عليه تحوتمس الرابع
قصة الحلم الذى رآه



تفاصيل من نقوش وكتابات النصب التذكارى

معابد آمون والقائمين عليها من الكهنة بمختلف درجاتهم ومراتبهم الدينية . وبالتالى فقد أصبح هؤلاء الكهنة من ذوى السلطة الذين يعمل لهم الملوك ألف حساب .

* ويقول المؤرخون إن ملوك هذه الأسرة ـ بدءاً من تحوتمس الرابع ـ قد تنبهوا إلى ضرورة مواجهة كهنة آمون وتقليص سلطاتهم بالتدريج فى عهده وعهد ابنه أمنحوتب الثالث ، حتى تم القضاء عليها نهائياً فى عهد اخناتون العظيم الذى أعلن القضاء على عبادة جميع الآلهة المتعددة فى مصر بما فيهم الإله آمون والسماح بعبادة إله واحد لا شريك له .

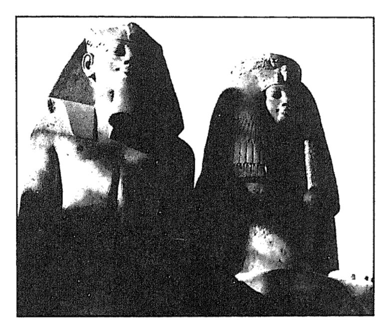


وانهمرت الثروات على مصر كالمطر

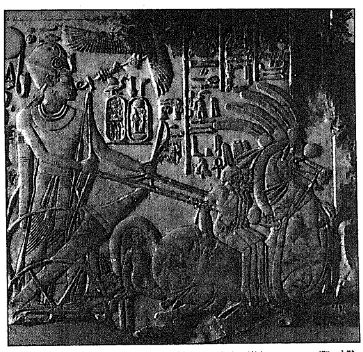
فى عام ١٤٠٥ ق م مات « تحوتمس الرابع » رائد الدبلوماسية فى العالم القديم ، وخلفه على عرش الامبراطورية المصرية « امنحوتب الثالث » الذى استمر حكمه حوالى ٣٦ عاماً بلغت مصر خلالها قمة من قمم الغنى والثراء لم تشهدها فى عصورها وأزمانها السابقة ، ولم تشهدها أية دولة أو امبراطورية من دول وامبراطوريات العالم القديم . . وتميز عهد هذا الملك بسلام ساد ورفرف على كل ربوع الامبراطورية المصرية من أقصاها جنوبا إلى أقصاها شرقاً وشمالاً . . كما تميز بتحالفات سياسية وعلاقات حسنة بين مصر والدول الآسيوية الوليدة المجاورة لحدود الامبراطورية .

* وفى عهده أيضا امتلأت الخزائن والمخازن بمختلف أنواع الجزية التى كانت تفد إلى مصر من الإمارات والدويلات والأقاليم التابعة للامبراطورية المصرية فى ربوع آسيا وأفريقيا . . من حبوب وغلال ومحاصيل زراعية وزيوت وبخور وعبيد وإماء وخيول وثيران ومواشى وأخشاب ثمينة وأخشاب عطرية وذهب وفضة ونحاس وقصدير ﴿ فى شكل قوالب وسبائك وحلقات ﴾ وأنواع من الأسلحة والعربات الموشاة بالذهب والفضة والأباريق والأطباق الفاخرة والأوانى الفينيقية الشهيرة ذات الزخارف الرائعة وأدوات الزينة والعاج الخام والمصنّع وريش النعام وأنواع من الحيوانات الحية كالدببة والأفيال والقردة والفهود والنعام والزراف وكلاب الصيد . . بالاضافة إلى الهدايا «الطوعية » التى كانت ترسلها الدول المتاخمة لحدود الامبراطورية المصرية فى آسيا والدول والامارات الوليدة فى اليونان وكريت وقبرص وجزر بحر إيجه تقرباً إلى مصر باعتبارها الدولة العظمى فى العالم خلال تلك الفترة .

* هذا بالاضافة طبعاً إلى الثروات التقليدية فى مصر والخيرات التى كانت تحصل



التمثالان الضخمان للملك امنحوتب الثالث وزوجته الملكة « تى » ـ من معروضات المتحف المصرى



نقش تقليدى يصور الملك« امنحوتب الثالث » فى عربته الحربية وهو يمسك بمجموعة من الأسرى الزنوج

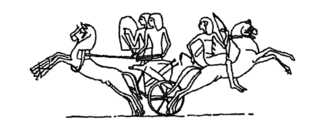
عليها من حقولها ومناجم الذهب فى الصحراء الشرقية ومناجم النحاس فى سيناء والانتشار الواسع للمصانع الجديدة التى تخصصت فى الأعمال الفنية والصناعات الدقيقة والتى أدت بالتالى إلى ازدهار التجارة الدولية بين مصر ومعظم أنحاء العالم القديم . . ولأجل حماية وتنظيم هذه التجارة أنشأت مصر نظاماً جمركياً فى موانى البحر الأحمر والبحر المتوسط والموانى النيلية لتحصيل الضرائب على الواردات والصادرات ، كما تولت السفن المصرية ونقط الحراسة التى أنشأتها مصر على سواحلها فرض الحماية على السفن التجارية المصرية والأجنبية لمنع أعمال القرصنة التى انتشرت فى ذلك العصر خصوصاً فى مناطق البحر المتوسط .

* وكانت من نتيجة هذا التبادل التجارى بين مصر والدول الأجنبية أن انتشرت مظاهر الحضارة المصرية فى العالم القديم ، كما انتشر الذوق المصرى فى الصناعات اليونانية على وجه الخصوص ، وانتشرت العبادات المصرية فى جزيرة كريت ، بل واستعملت بعض الرموز والعلامات الهيروجليفية كوسيلة للكتابة والتسجيل قبل ظهور وانتشار الأبجدية اليونانية . . كما أدى أيضا إلى تطوير الصناعات المصرية بأساليب جديدة استوعبها الصناع المصريون ثم طبعوها بطابع مصرى خالص .

* وبسبب كثرة كميات الذهب الذى كانت تحصل عليها مصر من مناجمها ومن بلاد النوبة فقد انخفضت قيمته أمام قيمة الفضة التى أصبحت نادرة بالنسبة لكميات الذهب المتوفرة فى مصر ، وذلك بسبب عدم وجود مناجم للفضة فى مصر ، كما ازدادت قيمة الأحجار الكريمة التى كانت تحصل عليها مصر من الدول الأجنبية أو من المناطق الآسيوية التابعة لها .

* هذا الرخاء الاقتصادى والثراء الواسع الذى انتشر فى ربوع الديار المصرية كانت له آثار اجتماعية على جميع طبقات الشعب المصرى بدءاً من العائلة المالكة إلى طبقة النبلاء والطبقة الحاكمة ورجال الدين والموظفين كبارهم وصغارهم ، كما عاد أيضاً على الطبقات الدنيا من الشعب من فلاحين وعمال وحرفيين . . فقد انغمس الجميع منعمين فى الترف ومظاهر الحياة الباذخة . غير أن هذه الحياة المترفة الناعمة كانت لها

آثار سياسية سلبية ، فقد أطفأت شعلة الروح الحربية للملوك وقادة الجيوش الشجعان الذين كانوا يقودونها إلى ساحات النصر والفخار ، فحدث استرخاء عسكرى أدى فى نهاية الأمر إلى تفكك أوصال الامبراطوية المصرية ، وإفلات الكثير من الإمارات والمناطق التابعة للامبراطورية من نفوذ الحكم المصرى .



ملك الملذات

فى عهد امنحوتب الثالث ﴿ ١٤٠٥ - ١٣٧٠ ق م ﴾ عاشت الامبراطورية المصرية أزهى وأمجد عصورها بفضل حالة السلام التى سادت فى كل ربوعها ، وبفضل الثروات التى تدفقت على مصر من كافة أنحاء العالم القديم . . فانغمس الجميع فى الملذات وعلى رأسهم الملك نفسه الذى يحلو لبعض المؤرخين أن يطلقوا عليه لقب « ملك الملذات » .

* وتدل مومياؤه التى عثر عليها على أنه قد أصبح فى أواخر أيامه معتل الصحة لكثرة ما أنهك جسمه فى التمتع بالزوجات والسرارى والجوارى اللواتى بلغ عددهن المئات ، كما تدل بقايا أسنانه على الأمراض التى أصيبت بها نتيجة للنهم فى أكل الحلوى .

* وتدل الشواهد الأثرية وأهمها « رسائل العمارنة » التى عثر عليها الأثريون فى بقايا آثار وأطلال تل العمارنة بمحافظة المنيا ، وهى مدينة « آخت آتون » التى بناها ابنه «أخناتون » ليجعلها عاصمة لمصر بدلاً من « طيبة / الأقصر » . وكانت هذه الرسائل التى يزيد عددها على ٣٠٠ رسالة مكدسة فى رفوف حجرة أغلب الظن أنها كانت الأرشيف الملحق بالقصر الحكومى . وتتناول غالبية هذه الرسائل موضوعات سياسية أو موضوعات تتعلق بصلات مصر بإمارات سوريا وبلاد النهرين وفلسطين التابعة للامبراطورية المصرية ، والصلات الدبلوماسية التى كانت قائمة بين مصر وملوك وحكام الدول الأجنبية المتاخمة لحدود الامبراطورية مثل ملوك بابل ونينوى وميتانى وقبرص وكريت وغيرها من الدول الأجنبية الأخرى . .

* كما كانت هذه الرسائل تتضمن أيضا موضوعات تتناول علاقات الصداقة



نقش على نصب تذكارى يصور الملك امنحوتب الثالث مسترخياً بسبب ضعف صحته فى أواخر أيامه [من معروضات المتحف البريطانى بلندن]

الشخصية التى كانت قائمة بين هؤلاء الملوك والحكام والملك المصرى . . ونفهم من بعض تلك الرسائل أن هؤلاء الملوك الأجانب كانوا يرسلون بناتهم للزواج من الفرعون . وتزوج الملك فعلا بالكثيرات منهن ، وأشهرهن إبنة ملك ميتانى الأميرة « جيلوخيبا » التى جاءت إلى مصر وفى صحبتها ٣١٧ وصيفة انضمن إلى الحريم الملكى .

* وبالرغم من أن امنحوتب الثالث قد تزوج بكثيرات من بنات الملوك الأجانب إلا انه لم يجعل أية واحدة منهن « ملكة شرعية » . . بل تزوج من إحدى بنات الشعب المصرى وأعطاها وحدها لقب « الملكة الشرعية للبلاد » وهى الملكة « تى » التى أنجب منها « أخناتون » والتى يعتبرها المؤرخون من أعظم نساء التاريخ المصرى القديم ذكاءً وقوة شخصية وعزيمة . . وكان لها الفضل الأكبر فى ادارة شئون الامبراطورية الداخلية والخارجية . . وذاعت شهرتها بين الملوك والحكام الأجانب الذين كانوا يدركون مكانتها فى حكم مصر والإمارات والأقاليم التابعة للامبراطورية المصرية .

* ولأن امنحوتب الثالث كان ولوعاً بالنساء منذ أوائل أيامه ، فقد ازداد غراماً بهن بعد أن تولى الملك ، وكاد أن يتفرغ تماماً لشئون الحريم والنساء اللواتى كن يملأن قصوره . . بل واعتاد أن يكتب لنوابه فى أنحاء الامبراطورية طالبا منهم أن يرسلوا إليه أجمل الجميلات من النساء والعذارى اللواتى لم يمسسهن بشر ، بل وكان يحرص على أن تكون النساء المطلوبات مجموعة متنوعة من الشقراوات والسمراوات وذوات العيون الخضراء أو الزرقاء أو السوداء .

* ومع ذلك فقد حرص على عادة الفراعنة فى رفض تزويج بناتهم للأجانب . . وحين تجاسر أحد ملوك بابل واسمه « كاداشمان إنليل » وطلب منه أن يرسل إحدى بناته ليتزوجها ويجعلها ملكة على بابل ، كتب له امنحوتب الثالث رداً صريحاً قال فيه : « إن ملوك مصر لا يوافقون على تزويج بناتهم للأجانب ولو كانوا ملوكا » . . وبالرغم من هذا الرفض القاطع فقد ظلت مملكة بابل محافظة على أواصر الصداقة مع مصر وملكها . . واستمر التنافس بينها وبين الممالك الأجنبية الأخرى مثل أشور وميتانى وقبرص وكريت فى إعلان الولاء لمصر لاكتساب محبتها وصداقتها واحترام الجالس على عرشها .

ازدهار التعليم فى الامبراطورية المصرية

أدى الرخاء الاقتصادى والثراء العظيم الذى عاشته مصر فى عصر الامبراطورية إلى حدوث ازدهار فى كل مناحى الحياة الاجتماعية التى كان يحياها الشعب المصرى بجميع فئاته وطبقاته ، كما حدثت تطورات هائلة فى نظم التعليم والاتجاهات المستحدثة فى الأدب والفن والعمارة .

* فقد انتشرت المدارس ، وكانوا يسمونها « بيوت الحياة » فى كافة المدن المصرية . وكانت الغالبية العظمى من تلك المدارس ملحقة بالمعابد الدينية ، أو ملحقة بالمبانى العظيمة الخاصة بالادارات الحكومية . وكان من المعتاد تعيين خريجى المدارس الابتدائية الذين يجيدون الكتابة ككتاب فى الادارات الحكومية ، ثم يستمرون فى تحصيل العلم والخبرات العملية على أيدى كبار الموظفين ورؤسائهم المباشرين ، وذلك استكمالاً للمناهج التعليمية التى كانت سائدة فى تلك المدارس والتى كانت تهتم إلى جانب تعليم اللغة وقواعدها وتجويد خط الكتابة ومبادىء الحساب والعلوم الرياضية والتمرين على تسجيل الأعمال المدنية والتجارية ، بالاضافة إلى الالتزام بنسخ عدة موضوعات إنشائية لتلقين التلاميذ بالميراث الحضارى لحكماء مصر الأقدمين الذى يتضمن إلى جانب الحكمة والأمثال كل المبادىء الأخلاقية القويمة وأصول التربية السليمة .

* ولحسن الحظ فقد تم العثور على ثلاث نسخ من « كتاب تعليمى » يتضمن موضوعات المناهج العلمية التى كانت تدرس فى « بيوت الحياة » وتبين ان هذا الكتاب من وضع معلم اسمه « أمنموبى » . وقد وضع له مؤلفه عنواناً كبيراً هو : « التعاليم التى تجعل الفرد أديباً . . وتعلم الجاهل علم كل كائن . . وكل ما صنعته الآلهة من

السماء ونجومها . . والأرض وما عليها . . وما تخرجه الجبال . . وما تجود به البحار . . وكل ماله علاقة بكل الأشياء التى تضيؤها الشمس . . وكل ما ينمو على الأرض » .

* وقد عكف المؤرخون ـ ومنهم « جاردنر » و « الدكتور سليم حسن » ـ على دراسة متون هذا الكتاب ، وأشاروا إلى أنه منقسم إلى عدة أبواب منها باب يتضمن اسماء ومعلومات عن السماء والنجوم والكواكب والشمس والقمر والسحب والعواصف وظواهر الفجر وضوء النهار وظلام الليل . . وباب متخصص فى أشكال المياه الموجودة فى الطبيعة وأنواع التربة الأرضية . . وباب عن أنواع الكائنات الحية ودرجاتها ومراتبها بدءاً من الآلهة والإلهات والأرواح ، والمخلوقات البشرية حسب مراكزها الاجتماعية من ملوك وملكات وكبار موظفى الدولة ورجال الدين والعلماء والموظفين والحرفيين . . وباب عن أسماء الأجناس البشرية وألقاب ورتب الجنود وأسماء الشعوب الأجنبية وأسماء الأماكن المختلفة فى كافة الجهات . . وباب يتضمن أسماء ٩٦ مدينة مصرية و ٤٢ مصطلحاً علميا وهندسيا عن المبانى وأجزائها وأنواع الحقول والأراضى الزراعية . . وباب عن مأكولات ومشروبات الانسان يتضمن ٤٨ نوعاً من اللحم المطبوخ و ٢٤ نوعاً من الشراب و ٣٣ نوعاً من اللحم النيىء . . وباب أخير يتضمن أسماء وأنواع الطيور والمواشى والحيوانات .

* كذلك فقد انتشر تعليم اللغات الأجنبية كضرورة للتفاهم والتراسل بين مصر والإمارات والدويلات الآسيوية والأفريقية التابعة لها . . وبينها وبين الدول الأجنبية المتاخمة لحدود الامبراطورية المصرية والدول الأخرى التى كان حكامها ينشدون ويحرصون على عقد أواصر الصداقة مع مصر مثل كريت وقبرص وجزر بحر إيجه . . وقد اقتضى الأمر أن يتعلم المصريون هذه اللغات المختلفة قراءة وكتابة وحديثا، حتى أصبح من المعتاد أن يتباهى المثقفون والشباب بحشر الكلمات والمصطلحات والجمل الأجنبية ضمن أحاديثهم كنوع من التميز والتفاخر بالعلم والمعرفة وسعة الأفق .



الامبراطورية .. ووحدة مصر والسودان وسوريا

فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ﴿ ١٥٧٠ - ١٣١٠ ق م ﴾ امتدت الامبراطورية المصرية فى ربوع آسيا وأفريقيا ، بعد أن وصلت الفتوحات المصرية إلى منطقة الشلال الرابع فى شمال السودان ، وفرضت نفوذها وحمايتها على الطرق التجارية التى كانت تربط بين هذه المنطقة ومناطق شرق ووسط أفريقيا ، ثم واصلت الجيوش المصرية فتوحاتها فى عهد عبقرى العسكرية المصرية الفاتح العظيم « تحوتمس الثالث » ﴿١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق م ﴾ حتى فرضت النفوذ المصرى على جميع المناطق السورية التى كانت تشمل المواقع الحالية لدول فلسطين واسرائيل وسوريا ولبنان والأردن والعراق وجنوب شرق تركيا .

* وتدل شواهد تاريخية وأثرية كثيرة على أن مصر كانت تتطلع دائما ومنذ أقدم العصور إلى الربط بينها وبين بلاد النوبة وشمال السودان باعتبارها تمثل العمق الاستراتيجى الجنوبى للديار المصرية ، بل وكانت تعتبر بلاد النوبة بالذات - شمالها وجنوبها - جزءاً لا يتجزأ من مصر نفسها ، كما كانت تعتبر أهالى هذه البلاد مثل المصريين تماماً من حيث الحقوق والواجبات ومن حيث الخدمة العسكرية فى الجيوش المصرية ، خصوصاً فى عصر الدولة الوسطى فى القرن العشرين قبل الميلاد .

* وهناك بحوث ودراسات تركها عتاة المؤرخين ودارسو الحضارة المصرية القديمة عن إثبات وجود علاقة وثيقة خاصة بين جنوب مصر وبلاد النوبة وشمال السودان ترجع إلى عصور مما قبل التاريخ . . وكلما ارتقت مصر فى حضارتها وازدادت قوتها ، كانت تحرص فوراً على حماية بلاد النوبة من هجمات القبائل الطامعة فيها والتى تحاول التسلل إليها من الجنوب . . وهناك قلاع حربية كثيرة شيدتها مصر فى أرض النوبة فى

مختلف حقبات التاريخ المصرى القديم بالاضافة إلى ما شيدته مصر أيضاً من معابد دينية كانت تعبد فيها الآلهة المصرية ، خصوصاً فى عصرى الدولتين الوسطى والحديثة .

* وفى بعض الأحيان كانت بعض القبائل النوبية تعلن العصيان ضد السلطة المصرية ، الأمر الذى كان يؤدى إلى تجهيز الحملات العسكرية للقضاء على تلك الاضطرابات والقلاقل ، وإعادة السلام والاستقرار السياسى لتدعيم العلاقات الخاصة المتميزة التى كانت ترتبط المناطق النوبية بالديار المصرية .

* وكانت النوبة وشمال السودان معروفة فى التاريخ القديم باسم بلاد « كوش » . . أما اسم « النوبة » فهو تحريف لكلمة « نوب » وهى كلمة فى اللغة المصرية القديمة معناها « الذهب » . . وهو معنى يتضمن إشارة واضحة إلى كميات الذهب الهائلة التى كانت ترد إلى مصر من تلك البلاد ، والتى ساعدت مصر مساعدة عظيمة فى بناء مجدها فى المناطق الآسيوية وفى إقامة المعابد والقلاع والمبانى والمنشآت الضخمة التى شيدها ملوك الدولة الحديثة فى داخل مصر وخارجها .

* ونظراً للمكانة الخاصة للنوبة بالنسبة للعرش المصرى ، كان حاكم النوبة عند تعيينه يمنح لقب « ابن الملك » . وهو لقب من ألقاب التشريف ، ولا يدل على أن هذا الحاكم كان بالضرورة من أبناء الملك .

* وتدل الشواهد التاريخية والأثرية على أن جميع المناطق السورية - بالمفهوم الذى أشرنا إلية مسبقا - كانت فى حالة استكانة إلى الحكم المصرى ، بسبب الحماية التى تمتعت بها تلك المناطق التى كانت محلاً لأطماع العديد من الدول الفتية الناشئة التى كانت تحيط بتلك المناطق السورية من الشرق ومن الشمال . . كما تدل رسائل العمارنة على استقرار الأمن والسلام فى جميع أنحاء المناطق السورية التابعة للامبراطورية المصرية فى عهد الملك « امنحوتب الثالث » ﴿ ١٤٠٥ - ١٣٧٠ ق م ﴾ .



الامبراطورية المصرية .. مركز للثقافة العالمية

لم تكن الامبراطورية التى أسستها الأسرة الثامنة عشرة فى ربوع آسيا وأفريقيا على نمط المفهوم السياسى الحديث لمعنى الامبراطوريات التى أسستها الدول الاستعمارية فى العصور الحديثة . فلم تكن هناك قوات احتلال من الجيش المصرى تعسكر بصفة دائمة فى تلك المناطق والأقاليم التى أصبحت تابعة لمصر ، تفرض سيطرتهاوسيادتها وسلطانها . . ولم يكن هناك حكام مصريون يتولون إدارة شئون تلك الأقاليم ويملون إرادتهم على الأهالى ، بل تركت أمور الحكم لأمراء البلاد الأصليين الذين يعلنون ولاءهم لمصر ، أو للأمراء الذين تلقوا علومهم فى المدارس المصرية وتربوا وسط أندادهم من الأمراء المصريين وتشبعوا بالثقافة المصرية .

* ويقول المؤرخون المتعمقون فى تحليل التاريخ المصرى القديم إن الدافع الأساسى الذى قامت عليه الامبراطورية المصرية كان يتمثل فى رغبة المصريين فى عدم تكرار التجربة المريرة التى حلت ببلادهم حين احتل الهكسوس أرض مصر وفرضوا جبروتهم وهمجيتهم على الشعب المصرى . . فبعد أن انبرى المصريون لمحاربة الهكسوس ونجحوا فى طردهم من البلاد ، ظلوا حريصين على مطاردة الفلول الهاربة من هؤلاء الهكسوس الذين فروا وانتشروا فى فلسطين والمناطق السورية ، واضطر المصريون لذلك لغز وتلك المناطق بقصد القضاء على الهكسوس بصفة نهائية .

* وإذا رجعنا إلى تاريخ ذلك العصر لوجدنا أن تلك المناطق السورية كانت محاطة من الشرق ومن الشمال بدول « طامعة » كانت لم تزل فى دور النشأة ، ووضعت ضمن أهدافها السيطرة على المناطق السورية بمفهومها الواسع الذى كان يتضمن فلسطين والأردن وسوريا ولبنان وجنوب شرق تركيا . . لذلك فلم يكن من المستغرب ان أهالى

هذه المناطق السورية وجدوا فى مصر دولة قوية يمكنها أن تحميهم من أطماع تلك الدول الناشئة ، وذلك فى مقابل « الجزية » التى كانت تدفعها تلك المناطق طواعية نظير تلك الحماية .

* وهناك العديد من الشواهد التاريخية والأثرية التى تدل بشكل قاطع على وجود علاقة بين الشعب المصرى القديم وشعوب وسكان جنوب فلسطين والسواحل اللبنانية والسورية . وترجع هذه العلاقة إلى عصور ما قبل التاريخ وعصرى الدولتين القديمة والوسطى . ومن المؤكد أن هذه العلاقات قد توطدت خلال عصر الامبراطورية المصرية حيث لمس سكان وأهالى المناطق السورية دماثة أخلاق الشعب المصرى باعتباره أرقى شعوب المنطقة حضارة ورقياً . ولذلك فقد توافد إلى مصر مئات وآلاف من هؤلاء السكان والأهالى لممارسة التجارة والاحتكاك المباشر بالحضارة المصرية . . الأمر الذى أدى إلى تأثرهم الشديد بالمعالم العامة للفكر المصرى والثقافة المصرية .

* وبالنظر إلى أن الشعب المصرى كان أول شعب من شعوب العالم يعلن فى دياناته وعقائده أن هناك حياة أخرى بعد الموت يحاسب فيها الميت حساباً عسيراً على كل ما فعله فى دنياه من خير وكل ما اقترفه من ذنوب أو شرور ، وأن الميت لكى يفوز بدخول «الجنات » فى حياته الآخرة فإن عليه أن يثبت أنه كان ملتزماً بالتعاليم الأخلاقية الراقية أثناء حياته الدنيا . . وقد شاعت هذه الأفكار المتحضرة بين سكان وأهالى المناطق الآسيوية التى دخلت فى نطاق الامبراطورية المصرية ، بل وشاعت أيضا بين دول وأقاليم أجنبية أخرى لم تكن داخله فى نطاق الامبراطورية مثل قبرص وكريت وجزر بحر إيجه ، بالاضافة إلى الدول الآسيوية المتاخمة لحدود الامبراطورية فى الشرق وفى الشمال .

* وبالاضافة إلى تلك الثقافة الدينية الأخلاقية انتشرت أيضا الثقافة الفنية المصرية مثل المسرح والموسيقى والرقص والغناء بالطريقة المصرية ، كما انتشرت أيضا الآداب والأساطير المصرية التى استوحاها سكان وأهالى الأقاليم الآسيوية وشعوب الدول الأخرى الذين نسجوا آدابهم وأساطيرهم المحلية طبقاً للنسق والنمط المصرى فى الصياغة بل وفى تماثل الأحداث والعبر والأهداف التى تميزت بها الآداب والأساطير

المصرية . وبالاضافة إلى ذلك قد تأثرت هذه الشعوب جميعها بالثقافة المادية المصرية المتمثلة فى صناعة الأوانى وزخرفتها وفى صناعة العطور وأدوات التجميل وصناعة الحلى والمجوهرات . ولذلك فلم يكن من الغريب أن الآثار التى يتم العثور عليها فى كثير من المناطق الآسيوية والدول الأجنبية يظهر فيها بوضوح تأثرها بالطابع المصرى القديم الذى كان سائداً فى عصر الامبراطورية .



الامبراطورية المصرية ..
والمؤثرات الحضارية الأجنبية

من المؤكد أننا إذا وضعنا أحد الأعمال الفنية التى أبدعها فنانو مصر القدماء وسط آلاف من الأعمال الفنية التى ابدعها الفنانون ـ القدماء والمحدثون ـ من غير المصريين على مدى آلاف السنين ، فإن أى مشاهد ـ مصرى أو غير مصرى ـ يستطيع أن يلتقط العمل الفنى المصرى القديم فى لمحة عين ، ويستخرجه من بين جميع الأعمال الفنية الأجنبية القديمة أو الحديثة على حد سواء . . وهنا قد يثور التساؤل : لماذا أمكن تحديد العمل الفنى المصرى القديم بمثل هذه السرعة وبمثل تلك السهولة ؟!

* الإجابة على ذلك يسيرة كل اليسر . . فقد كانت مصر القديمة تتميز بحضارة عريقة راسخة . . وكان الشعب المصرى القديم من أكثر شعوب العالم « محافظة» على التقاليد وتمسكا بأصول الحضارة التى بلغها وتميز بها عن جميع الحضارات الأنسانية الأخرى . وعلى سبيل المثال فقد كانت هناك مجموعة من القواعد والقوانين تتحكم فى إبداعات الفنانين المصريين القدماء . . وكانت هذه القواعد والقوانين نبعاً رائقا وفيضا جارفاً لكل التجارب العملية التى ابتكرها الفنانون المصريون فى كل القرى والمدن والأقاليم المصرية شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، والتى ظلت راسخة وأصبحت كالقوانين الملزمة لجميع الفنانين المصريين على مدى التاريخ المصرى القديم كله . وهذا فى نظرى يمثل عبقرية الفن المصرى القديم التى يتميز بها عن فنون العالم أجمع منذ أقدم عصور التاريخ وحتى الآن .

* وكما كانت مصر « محافظة » على التقاليد والقواعد الفنية ، فقد ساد هذا «التحفظ» أيضاً فى التقاليد والقواعد والقوانين الاجتماعية والدينية والأخلاقية التى تحكم

سلوكيات الشعب المصرى القديم بجميع طبقاته ، سواء فى العلاقات والمعاملات اليومية ، أو فى الجانب المظهرى . . ولذلك فلم يكن غريباً أن نرى فى معظم النقوش الأثرية التى تصور أفراداً ينتمون إلى مختلف فئات وطبقات الشعب ، انهم جميعاً كانوا يرتدون زياً موحداً فى شكله وتصميمه ، وكانوا جميعاً حليقى الذقون ويحلقون شعر رؤوسهم بطريقة موحدة ، كما كانت النساء لهن طرق متماثلة لتصفيف الشعر ولتصميم الأزياء التى كن يرتدينها إلى آخر الأشكال المظهرية التى تميز بها الشعب المصرى القديم عن الشعوب الأجنبية الأخرى التى عاصرتهم فى حقب التاريخ المختلفة .

* ومع ذلك يحلو لبعض المؤرخين القول بوجود مؤثرات حضارية أجنبية أثرت فى الحضارة بعد أن اختلط المصريون فى عصر الامبراطورية بالشعوب غير المصرية ، سواء فى ذلك الشعوب التى دخلت فى نطاق النفوذ الامبراطورى المصرى ، أو الشعوب الأجنبية الأخرى فى المناطق الآسيوية ومناطق جنوب أوربا خصوصاً فى كريت ورودس وجزر بحر إيجه ، والشعوب التى كانت تسكن أرض اليونان وبعض جزر البحر المتوسط التى كانت بينها وبين مصر علاقات صداقة أو علاقات تجارية . ويضرب هؤلاء المؤرخون أمثلة على ذلك بدخول أنماط وأشكال جديدة من الأوانى الكبيرة والصغيرة المصنوعة من الفخار أو المرمر أو الخزف الملون ، وطرق تكنولوجية جديدة فى صناعة الخزف والزجاج الملون ، وأنماط وأشكال جديدة فى خطوط الوحدات الزخرفية ، وأنواع وتصميمات جديدة من قطع الأثاث والآلات الموسيقية .

* ومع ذلك فإن هؤلاء المؤرخين وعلماء الآثار يعترفون بأن الفنانين والصناع المصريين سرعان ما طوروا هذه المستجدات وطبعوها بالطابع المصرى الخالص الذى تميزت به الفنون التطبيقية والصناعات المصرية . . وذلك لأن الحضارة المصرية كانت أضخم وأرقى وأكثر رسوخاً وأصالة ، لدرجة تجعل من الصعب أن تتأثر بمؤثرات خارجية أجنبية دخيلة .

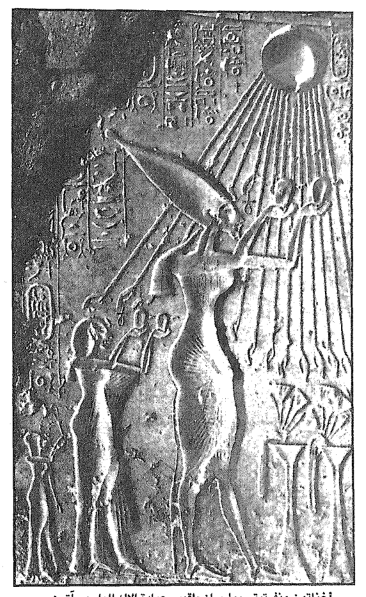


بداية التآمر على الامبراطورية المصرية

مات امنحوتب الثالث فى عام ١٣٧٠ ق م ، ، وكانت الامبراطورية المصرية فى أوج مجدها وعظمتها ، وتتمتع المناطق الداخلة فى نطاقها بالسلام والاستقرار السياسى والاستكانة إلى ما كانت تتيحه لها الجيوش المصرية من حماية ضد الطامعين فى أراضيها والراغبين فى فرض السيطرة على شعوبها .

* وبطبيعة الحال فقد كانت الامبراطورية فى أشد الحاجة إلى أن يتولى عرشها ملك سياسى محنك قادر على إدارة شئونها بقدر كبير من الحنكة السياسية والادارية تضمن استمرار الأحوال على ما كانت عليه ، أو ملك محارب قوى يستطيع أن يجيش الجيوش ويعد العدة للسيطرة على الاضطرابات أو حالات العصيان المحتملة والتى تحدث عادة بعد موت الملوك الأقوياء ، خصوصاً وأن المناطق السورية الداخلة فى نطاق الامبراطورية المصرية كانت محاطة من الشمال والشرق بدول ناشئة ذات أطماع توسعية ، وتنتهز أية فرصة للانقضاض على هذه المناطق السورية ، سواء بالعمليات العسكرية ، أم بتأليب حكام تلك المناطق وتشجيعهم على التآمر واعلان العصيان ضد النفوذ المصرى .

* ولكن عرش مصر انتقل بعد موت امنحوتب الثالث إلى ابنه امنحوتب الرابع الذى غير اسمه وأطلق على نفسه اسم « أخناتون » والذى سرعان ما انغمس فى الأمور الدينية والفلسفية قلبا وقالبا ، وهى أمور كانت تملأ فكره ووجدانه باعتباره أول داع فى التاريخ القديم يعلن « وحدانية الله » وان الله واحد أحد لا شريك له خالق كل شىء فى الوجود . . وانصرفت جهوده كلها إلى إغلاق كل معابد الآلهة المتعددة المتناثرة فى كافة مناطق وأقاليم البلاد طولاً وعرضاً ، وعدم السماح إلا بعبادة الإله الواحد الذى



أخناتون ونفرتيتى يمارسان طقوس عبادة الإله الواحد « آتون »

يدعو إليه ، ليس فى مصر وحدها ، بل ويدعو إلى عبادته أيضا فى كافة أنحاء الامبراطورية، بل وفى جميع أنحاء العالم باعتباره الإله الذى خلق جميع الموجودات فى هذا العالم . . وكانت هذه الثورة الدينية التى أعلنها وقادها أخناتون ، بما صاحبها من ثورة فنية وانقلاب فى المعايير والمفاهيم الاجتماعية سببا فى نشوب عداوة شديدة من جانب كهنة الإله « آمون » وكهنة الآلهة الآخرين وكل من كانت لهم مصالح فى تعدد العبادات وما يصاحبها من الثروات الهائلة المخصصة للمعابد ، ضد أخناتون وأفكاره الثورية .

* ويقول برستيد : إن اخناتون ـ بالرغم من كل المشاكل التى سببتها ثورته ـ قد أصبح أبرز شخصية بين ملوك العالم على توالى الأجيال ، كما أن أسبقيته فى إعلان ديانة التوحيد جعلته يتبوأ مكانة فكرية رفيعة فأصبح أعظم الفراعنة المصريين فلسفة وواحداً من أعظم ملوك العالم شخصية وفكراً على مدى التاريخ البشرى كله .

* وبالرغم من أن ملك دولة « الحيثيين » فى الشمال ، وكذلك ملوك دولة « بابل » ودولة « ميتانى » فى الشرق ، قد أرسلوا خطابات تعزية إلى أخناتون عند سماعهم لخبر وفاة أبيه امنحوتب الثالث مع تهنئتهم له بتوليه عرش الامبراطورية المصرية ، واعترافهم بصراحة ووضوح ـ فى تلك الخطابات ـ بنفوذ مصر وسيطرتها على المناطق السورية ، إلا أنهم جميعاً كانوا متربصين بهذه المناطق ، ويسعون إلى السيطرة عليها وإلى تأليب حكامها وولاتها ضد النفوذ الامبراطورى المصرى ، حتى تصبح هذه المناطق لقمة سائغة تبتلعها هذه الدول الناشئة حين يحين وقت الانقضاض عليها وإخراجها من مناطق النفوذ المصرى بصفة نهائية ، بل وخططت دولة الحيثيين أيضا للانقضاض على مصر نفسها عندما تسمح الظروف بذلك .



فلاحة صعيدية اكتشفت رسائل العمارنة

سألنى كثيرون من الأصدقاء من قراء « الوفد » عن ماهية « رسائل العمارنة » التى أشرت إليها فى بعض الدراسات السابقة من « أم الحضارات » التى نشرتها الجريدة . . وما هى علاقتها بتاريخ مصر القديمة على وجه العموم وتاريخ الامبراطورية المصرية على وجه الخصوص . . وما هى اللغة التى كتبت بها تلك الرسائل . . ومن أين جاءت ومن أرسلها . . وأين توجد هذه الرسائل الآن . . ؟

* واعتقد أن هؤلاء الأصدقاء لهم حق فى كل هذه التساؤلات . . فلهذه الرسائل أهمية كبرى فى معرفة تاريخ مصر فى عصر الامبراطورية ، وأهمية أكبر فى معرفة تاريخ العالم القديم بأكمله خلال الفترة المعاصرة لزمن الإمبراطورية المصرية [القرن الرابع عشر قبل الميلاد] خصوصاً فى عهد الملكْ « أمنحوتب الثالث » وعهد ابنه الملك «أخناتون » .

* وقصة العثور على تلك الرسائل قصة طريفة قد يكون من الأفضل أن نحكيها من البداية . . فقد تم العثور عليها بين الأطلال المتبقية من مدينة « آخت أتون » وهى المدنية التى بناها أخناتون واتخذها عاصمة لمصر بعد أن ترك « طيبة / الأقصر » التى كانت عاصمة للبلاد فى عهود أسلافه وخلفائه من ملوك مصر العظام . وتسمى هذه المدينة حالياً باسم « تل العمارنة » وهى عبارة عن قرية صغيرة تقع على الضفة الشرقية للنيل بمحافظة المنيا . وكانت اسمها قرية « التل » ولكن بعض علماء الآثار أطلقوا عليها اسم « تل العمارنة » نسبة إلى قبيلة « بنى عمران » التى استوطنت فى تلك القرية . ومن المعروف تاريخياً وأثرياً أن مدينة « آخت أتون » القديمة قد دمرت تدميراً وسويت

بالأرض وهدمت كل قصورها وبيوتها ومنشآتها نكاية فى أخناتون بعد موته مباشرة .

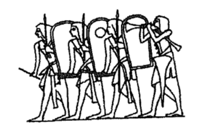
* وبعد تدمير هذه المدينة بنحو ٣٣ قرناً ، وبالتحديد فى سنة ١٨٨٧ ميلادية تجولت بين خرائبها فلاحة صعيدية فقيرة تسحب حمارها بحثاً عن سباخ يصلح سماداً للأرض التى كانت تزرعها . . وبين الأطلال والخرائب عثرت هذه الفلاحة على حجرة كانت مكدسة بقوالب وألواح من الطين المحروق [الآجر] عليها نقوش غريبة تبين فيما بعد انها مكتوبة بالخط المسمارى الذى كانت تكتب به اللغة البابلية التى كانت مستعملة فى المراسلات الرسمية والدبلوماسية بين الدول المعاصرة لزمن الامبراطورية المصرية .

* ملأت الفلاحة الجرابين اللذين كان يحملهما حمارها بتلك الألواح وهى تظن أنها عثرت على كنز ثمين من الآثار القديمة . . وباعت هذا الكنز لأحد جيرانها « بعشرة قروش » وهو مبلغ اعتبرته كسباً كبيراً بالنسبة لها . . وحاول هذا الجار أن يبيع هذا الكنز فلم يجد من يشتريه سواء من المصريين المتاجرين فى الآثار أم من العلماء الأجانب المهتمين بجمع القطع الأثرية ، فقد كان شكل وطريقة صنع هذه القوالب والألواح لا يغرى أحداً بشرائها . . ومع ذلك فقد تمت تعبئتها فى أجولة ونقلت إلى مدينتى « إخميم» و « الأقصر » لعلها تجد هناك من يشتريها . وللأسف الشديد فقد تحطم معظمها وتفتت أثناء عملية النقل التى تمت دون عناية وبوسائل بدائية .

* وتنبه بعض علماء الآثار إلى أهمية تلك القوالب والألواح ، وعرف بعضهم أن النقوش المكتوبة بالخط المسارى عبارة عن مراسلات وخطابات كان قد أرسلها بعض ملوك بابل وآشور وميتانى والحيثيين وبعض حكام وولاة الأقاليم والإمارات السورية التابعة للامبراطورية المصرية إلى الملك امنحوتب الثالث ثم إلى ابنه أخناتون من بعده .

* ويبلغ عدد هذه الرسائل التى ظلت سليمة ويمكن بالتالى قراءتها ودراستها حوالى ٣٦٠ رسالة معظمها محفوظ الآن [١٩٤ رسالة] فى متحف برلين ، وفى المتحف البريطانى [٨٢ رسالة] وفى المتحف المصرى [٥٠ رسالة] وبقية الرسائل موزعة بين متحف أشموليان ومتحف اللوفر ومتحف بروكسل ومتحف لنينجراد ومتحف متروبوليتان ولدى بعض هواة جمع الآثار فى أوربا .

* وقد أسفرت الدراسات العلمية التى أجريت لتلك الرسائل بعد حل رموزها عن معلومات واسعة كان من المستحيل معرفتها عن أحوال العالم القديم السياسية والاجتماعية حيث تمت معرفة أسماء الملوك والحكام الذين كانوا يحكمون تلك الدول الأجنبية وعن الكثير من أحوال بلادهم وعلاقاتهم الدبلوماسية بالامبراطورية المصرية فى عهدى امنحوتب الثالث وأخناتون .



الاسترخاء العسكرى ..
وتفكك أوصال الامبراطورية

شغل أخناتون نفسه بالأمور الدينية والفلسفية وتأليف الأشعار والصلوات تمجيداً للإله الواحد الذى دعا إلى عبادته وحده دون شريك . . وانصرف هو ورجال حاشيته الملكية لمقاومة نفوذ كهنة آمون ، ونشر أسس الثورة الدينية والثورة الفنية التى تميز بها عهده .

* وبالنسبة للأمور والشئون الخارجية للدولة ، فقد استكان أخناتون واطمأن إلى فحوى ما كان يتسلمه من خطابات [رسائل العمارنة] أرسلها إليه ملوك الحيثيين وبابل وميتانى ، وبما كانت تتضمنه هذه الرسائل من نفاق ورياء واعتراف بنفوذ مصر على المناطق السورية وباحترامهم الشديد للدولة المصرية وحاكمها العظيم .

* وفى عهده كانت دولة الحيثيين تنمو باضطراد فى مناطق شمال سوريا وجنوب شرق تركيا ، وأصبح لها جيش قوى مدرب ومسلح بالعجلات الحربية الثقيلة وبأقوى أنواع الأسلحة ، وأتقنوا تنظيم وحدات هذا الجيش الذى كان يتكون فى أغلبه من محاربين أجانب مأجورين .

* كذلك فقد أخذت الرسائل تتوالى وترد إليه من بعض الولاة وحكام الأقاليم السورية التابعة للامبراطورية المصرية ، تحمل أنباء الحروب المحلية التى كانت تنشب بين هؤلاء الولاة والحكام والأمراء الذين كانوا يغيرون على بعضهم بعضا بقصد توسيع نفوذهم والاستيلاء على أراضى الحكام الآخرين . وكان معظمهم يستعينون بملوك الدول المتاخمة لحدود الامبراطورية المصرية فى آسيا مثل ملوك الحيثيين وبابل وميتانى ،

الأمر الذى أدى فى النهاية إلى زيادة أطماع هذه الدول فى السيطرة على الأقاليم والمناطق التابعة للامبراطورية المصرية ، وازداد بالتالى حدوث الاضطرابات والفوضى والفتن فى تلك المناطق .

* وكان بعض الولاة وحكام الأقاليم السورية المخلصين للنفوذ المصرى يرسلون رسائلهم طلبا للنجدة ، ويلحون فى إرسال بعض فرق الجيش المصرى لحمايتهم من المؤامرات التى تحيكها الدول الأجنبية للتحريض على إشعال نار الفتنة حتى تصبح الأقاليم السورية تحت سيطرتهم بعد تخليصها من النفوذ المصرى .

* وهكذا سقطت معظم الأقاليم السورية إقليما وراء إقليم فى أيدى الحيثيين . . وفى إحدى رسائل العمارنة نقرأ نصاً أرسله حاكم « بعلبك » التى كانت تابعة للنفوذ المصرى يقول فيه : « إلى سيدنا ملك مصر . . لقد أوشكنا على أن ننفصل عن مملكة سيدنا ملك مصر إذا تأخر عنا وصول الجنود والعجلات الحربية لحمايتنا من الفتن التى يدبرها الآخرون . . إن بعلبك تبكى بكاء مراً ، ولا مغيث لها . . . » .

* ورسالة أخرى أرسلها حاكم ببلوس « جبيل » التابعة للحكم المصرى راجياً أن يرسل الفرعون مساعدة سريعة حتى لا تسقط المدينة فى أيدى العدو . . ثم سقطت حلب التى كانت تسمى « نوخاشى » . . ثم سقطت بيروت وصيدا ومدن شمال فلسطين . . وبالتالى فقد أصبحت بلاد ومدن الساحل الآسيوى فى أيدى الأعداء ، كما تعرضت المناطق الداخلية التى كانت تابعة للنفوذ المصرى فى سوريا وفلسطين إلى هجمات البدو الهمج الذين كانوا يسمون « الخابيرو » أى « العبرانيين » الذين احترفوا جرائم السطو والسلب والنهب والهروب بغنائمهم للاختباء فى الجبال .

* وفى إحدى رسائل العمارنة التى وردت من بيت المقدس ، يقول كاتبها لملك مصر: « . . إن جميع أراضى سيدى الفرعون سائرة نحو الضياع . . وأخذ الفلسطينيون يهاجرون من بلادهم وقراهم رعباً من فظائع « الخابيرو » المتوحشين الذين أتلفوا أمتعتهم ومحاصيلهم وحطموا مدنهم وقراهم . . وضرب الجوع أطنابه فى ربوع فلسطين . . » .

* هذه الحالة المؤسية التى أدت إلى تفكك أوصال الامبراطورية المصرية فى آسيا كانت نتيجة مباشرة لحالة الاسترخاء العسكرى التى شملت عهد اخناتون وبعضا من خلفائه ، وانتهى بذلك عصر الامبراطورية المصرية فى مرحلتها الأولى . . وقد ظلت حالة الاسترخاء العسكرى قائمة إلى أن اعتلى ضباط الجيش عرش مصر فى أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة وطوال عصر الأسرة التاسعة عشرة ، واستعادوا أمجاد الامبراطورية المصرية فى مرحلتها الثانية ، على ما سوف نرى .



الفساد الذى ساد فى البلاد

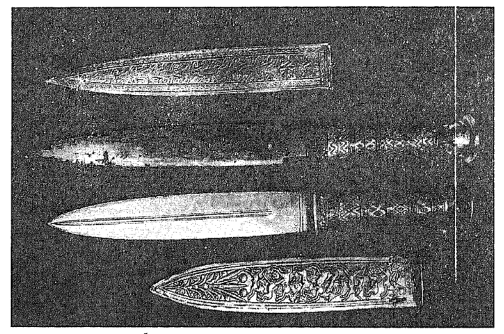
نتيجة للمنازعات التى حدثت فى مصر بين أخناتون ومن انضم إليه من دعاة «التوحيد » من جانب ، وبين كهنة آمون ودعاة عبادة الآلهة المتعددة من جانب آخر . . بالاضافة إلى تفكك أوصال الامبراطورية وضياع مناطق نفوذها فى الأقاليم السورية والمناطق الآسيوية الأخرى ، فقد أدت تلك المنازعات إلى سوء الأحوال الداخلية فى معظم الديار المصرية فى الوجهين القبلى والبحرى وفى المناطق الجنوبية فى بلاد النوبة التى لم تنفصل عن الامبراطورية وظلت فى حماية النفوذ المصرى .

* ومن المعروف تاريخيا أن بعد موت أخناتون تولى عرش مصر ملك يشك بعض المؤرخين فى عهده واسمه « سمنخ كا ـ رع » ثم اعقبه ملك صغير السن هو « توت عنخ آمون » وأعقبه ملك طاعن فى السن هو الملك « آى » . . ولم تكن لدى أى من هذين الملكين الأخيرين همة عسكرية لاعداد الجيوش لاستعادة المناطق السورية التى انفصلت عن الامبراطورية المصرية ، ولا قدرة على السيطرة على الفوضى السياسية والادارية التى انتشرت فى الديار والأقاليم المصرية .

* وبالنظر إلى قصر الفترة التى قضاها كل من هذين الملكين الأخيرين فى الحكم [استمر حكم توت عنخ آمون أقل من تسع سنوات ، ولم يستمر حكم الملك آى أكثر من ثلاث سنوات] فلم تتح لأى منهما فرصة مواجهة الفساد الذى عم فى كل أرجاء الدولة وكل مؤسساتها الحكومية والدينية والعسكرية والقضائية والاقتصادية ، حيث سادت حالة من التراخى المخزى والتغاضى المقصود فى ملاحظة الموظفين المدنيين الذين كانت فى أيديهم عمليات تسيير أمور الدولة ، خصوصاً ملاحظة كبار الموظفين من الذين تولوا وظائفهم واعتلوا مناصبهم العليا عن طريق الحسب والنسب والذين كان



نقش رمزى يصور « توت عنخ أمون » فى معركة حربية ضد الأعداء الآسيويين



بعض من الأسلحة التى عثر عليها بمقبرة توت عنخ آمون

هدفهم الأول هو تحقيق الثراء الفاحش فى أسرع وقت ممكن وفى أقل فترة ممكنة ولو على حساب مصالح الدولة ، وذلك بممارسة سلطاتهم فى تزييف الحقائق وتزوير المستندات المحاسبية وارتكاب جرائم الاختلاس والرشاوى ، واغتصاب حقوق الناس من أفراد الشعب العاديين . . بالاضافة إلى أن ضباط ورجال الجيش الذين انصرفوا عن أداء واجباتهم العسكرية فى حماية مناطق الامبراطورية واعتلوا المناصب والوظائف المدنية فاستطاعوا بذلك تحقيق مصالحهم الشخصية وأصبحت لهم سيطرة تامة وواسعة على معظم مرافق الحكومة . . وبالتالى فقد سادت حالة من الاستهتار بالقانون وبالدين والأخلاق ، وأصبح الفساد ضاربا أطنابه وجذوره فى معظم نواحى الحياة التى سادها الظلم والخلل السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

* وهناك الكثير من الشواهد التاريخية والأثرية التى ترجع إلى عهدى هذين الملكين نفهم منها حدوث الكثير من عمليات القرصنة التى كانت تمارس ضد السفن المبحرة فى النيل والاستيلاء على ما كانت تحمله من بضائع أو منتجات زراعية ، وعمليات قطع الطريق لنهب ما كانت تحمله الدواب ، وعمليات التطفيف فى الميزان عند تحصيل الضرائب من دافعيها ، وانتشار الرشوة بين القضاة الذين كانوا يحكمون فى القضايا المدنية والتجارية والجنائية وقضايا الأحوال الشخصية ، فاختل ميزان العدالة وضاعت حقوق المتقاضين واهتزت هيبة الدولة وقدرتها على تحقيق العدل بين الناس . . كما انتشرت أيضا عمليات السطو على قطعان الرعاة وما يختزنونه من جلود . . ومن الغريب أن هذه الجرائم كلها لم يرتكبها بلطجية أو لصوص محترفون أو مجرمون عاديون ، بل كانت ترتكب من جانب كبار الموظفين ورجال الحكومة والجيش والشرطة .

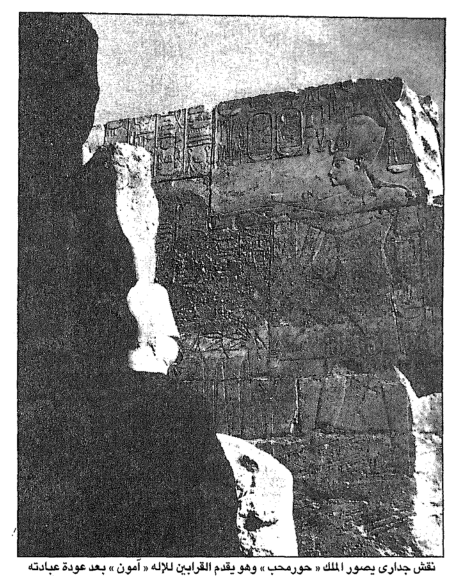
* وهكذا لم يعد هناك من سبيل لعودة مصر إلى عظمتها وأمجادها سوى إجراء اصلاحات دستورية واقتصادية واجتماعية تعيد الاستقرار وتمهد السبيل إلى إعادة النفوذ المصرى على المناطق التى انفصلت عن امبراطوريتها . . وهذا ما بدأ تحقيقه فعلاً على يد ملك عظيم اسمه « حور محب » .

الاصلاحات الدستورية .. تعيد لمصر أمجادها

بعد أن استشرى الفساد فى الديار المصرية على أيدى كبار الموظفين المدنيين والاداريين والماليين ورجال الجيش والشرطة ورجال القضاء ، لم يكن هناك بد إلا ضرورة اجراء مجموعة من الاصلاحات الدستورية والقانونية لإعادة موازين العدالة إلى نصابها السليم الذى كان يتميز به نظام الحكم فى مصر القديمة . وقد تمت هذه الاصلاحات على يد الملك « حور محب » الذى يعتبره المؤرخون وعلماء الآثار آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة وواحداً من أعظم « المشرعين » فى تاريخ العالم القديم .

* لم يكن « حور محب » منتمياً إلى العائلة المالكة ، بل كان من أبناء الشعب الذين ولدوا فى عائلة شهيرة تسكن إحدى مدن مصر الوسطى بالصعيد . . وبدأ حياته الوظيفية كاتباً فى إدارة تجنيد الجنود المستجدين ، وتدرج فى المناصب المدنية والعسكرية حتى أصبح كبير أمناء الملك وقائداً عاماً للقوات المسلحة . وفى عهد « توت عنخ آمون» أنعم عليه بمجموعة من الألقاب هى : « الأمير . . وكبير الكبراء ، وعظيم العظماء ، ورئيس الأهالى الأكبر ، ورسول الملك ، ورئيس جيشه فى الأقطار الجنوبية والشمالية ، والمشرف على إدارة القطرين البحرى والقبلى ليسيرها فى حدود النظام ، وقائد قواد سيد القطرين ، ووزير العدالة » .

* تولى « حور محب » عرش مصر بعد موت الملك « آى » الذى خلف « توت عنخ آمون » . . وما أن آلت إليه سبل التصرف المطلق فى أمور الدولة ، حتى بذل كل جهده لإقرار النظام والقضاء نهائياً على كل مظاهر الفساد الذى ساد فى البلاد . . فأصدر مجموعة من المراسيم الملكية تضم تسعة أقسام من القوانين العقابية والاجرائية لحماية الأملاك الخاصة والعامة ، وحماية طرق المواصلات النيلية والبرية ، وإعادة تنظيم



نقش جدارى يصور الملك « حورمحب » وهو يقدم القرابين للإله « آمون » بعد عودة عبادته

هيكل المناطق والفرق العسكرية للجيش والشرطة ، واعادة تنظيم المجالس الادارية المحلية بالأقاليم ، وتنظيم مسئوليات طوائف الكهنة ورجال الدين وحقوق المعابد ، وتنظيم أمور الفلسطينيين والآسيويين الذى هجروا بلادهم متدفقين إلى مصر هرباً من الفظائع الوحشية التى كان يرتكبها البدو الرعاة العبرانيين الذين أطلقت عليهم الوثائق المصرية الأثرية آسم « الخابيرو» الهمج .

* ومن القوانين العقابية التى أصدرها « محور محب » قانون بفرض عقوبة « جدع الأنف » والنفى إلى المناطق المنعزلة والمهجورة ، على الموظفين الاداريين والماليين الذين يضطهدون الفقراء أو أبناء الشعب العاديين .

* وقانون آخر ينص على أن كل شرطى عرف عنه أنه دخل إلى مساكن الرعاة أو الفلاحين لسرقة محتوياتها من جلود أو خلافه ، يحكم عليه بمائة جلدة وبجرحه فى خمسة مواضع من جسمه ، وتسترد منه المسروقات لإعادتها إلى أصحابها .

* كما سن قانونا بمنع اختلاس الأموال العامة ، ومعاقبة المتهربين من دفع الضرائب ، وتجريم المرتشين من جامعى وجباة الضرائب .

* كما أصدر قانوناً بتنظيم الأعمال القضائية ويقضى برفع مرتبات ومخصصات القضاة فى كافة المحاكم الإقليمية ، واعفائهم من دفع الضرائب ، وذلك حتى لا يكون لهم عذر فى الانحراف واتباع الوسائل غير الشريفة عند نظرهم للقضايا المعروضة عليهم، وعند ممارستهم للحكم العادل بين الناس . وينص هذا القانون على أن كل قاض يتجنى على القانون أو يخالفه يحاكم بتهمة « الخيانة العظمى » . . واختتم هذا القانون بنص يخاطب القضاة وجامعى الضرائب يقول فيه : « لا تأخذوا رشوة من أحد . . وإلا فكيف يمكنكم أن تحكموا بالعدل إذا كنتم أنتم بأنفسكم تخالفون القانون ولا تقيمون للعدالة وزنا» .

* ويختتم « حور محب » مراسيمه الملكية التى تتضمن إصلاحاته الدستورية والقانونية بنص صريح يقول فيه : « لقد أصدرت هذه القوانين لضمان رفاهية أهل مصر . . ولأقضى على مل شاهدته من ظلم صارخ فى هذه البلاد » .

إعادة أمجاد الامبراطورية المصرية

تدل ثوابت التاريخ المصرى القديم على أن المصريين عندما كانوا يشعرون بسيادة «العدالة » وعدم معاناتهم من أى مظهر من مظاهر الظلم الاجتماعى أو الاقتصادى أو السياسى ، فإن الشعب بجميع فئاته وطبقاته كان يهب لبناء أمجاده . . وهذا بالضبط ما حدث بعد أن قام « حور محب » باصلاحاته الدستورية والقانونية التى قضى بها على أوجه الفساد التى سادت فى البلاد ، وحقق بها العدالة بين الناس . . الأمر الذى أدى إلى تطلع الشعب لتحقيق النهضة الوطنية الكبرى ، ووضع نفسه فى خدمة نظام الحكم، الذى تطلع بدوره إلى « الجهاد العسكرى » وإلى إعادة أمجاد الامبراطورية المصرية إلى ما كانت عليه .

* ومات « حور محب » - آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة - دون أن ينجب وريثاً للعرش ، ولذلك فقد تولى عرش مصر بعده القائد العام للجيش المصرى « رمسيس الأول » وأسس الأسرة التاسعة عشرة . وبدأت مصر فى عصر هذه الأسرة فترة من أمجد فترات تاريخها العظيم ، استعادت فيها رقيها الحضارى وقدراتها العسكرية ، مع التزام نظام الحكم بتحقيق الرفاهية لكل أبناء شعبها .

* ولكن رمسيس الأول كان طاعنا فى السن ، ولم يستمر حكمه أكثر من عامين ، وتولى عرش مصر بعده ابنه « سيتى الأول » ﴿ نحو عام ١٣٢٠ ق م ﴾ . . وكان سيتى من الضباط العظام بالجيش المصرى ، وتميز بشجاعة الجندية والحنكة السياسية والتزامه « بدستور ماعت » الذى يقضى بتحقيق العدالة واحترام الحقوق وتأدية الواجب على أكمل وجه وتحقيق الاستقرار لكل مظاهر ونواحى الحياة الداخلية وأهمها حسن معاملة أبناء الشعب .

* ولهذا فقد وضع « سيتى الأول » خطته لاستعادة كل الأقاليم السورية الآسيوية التى كانت تابعة لنفوذ الامبراطورية المصرية منذ عهد « تحوتمس الثالث » والتى تفككت أوصالها واستقلت وهى ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن نفسها ضد أطماع دولة الحيثيين الفتية ذات الجيش القوى المدرب ، والتى استهدفت الاستيلاء على كل هذه الأقاليم السورية توطئة لغزو مصر نفسها .

* وما أن نادى « سيتى الأول » بتجهيز الجيوش وإعدادها للجهاد حتى لبى النداء آلاف مؤلفة من شباب المصريين من كافة أقاليم الوجهين البحرى والقبلى متجهين إلى ادارات التجنيد المحلية والمركزية ، حيث تلقوا تدريباتهم العسكرية ، وقلوبهم ممتلئة بالحماس الوطنى ، وفرحين بسمو مناصب الجندية بالمخصصات المتميزة الجمة التى كانت تمنح للجنود الجدد .

* وكان سيتى يعتبر تحوتمس الثالث قدوته الحسنة ومثله الأعلى ، ولذلك فقد اتبع نفس الخطط العسكرية التى وضعها هذا القائد العظيم ، فكان أول ما صنعه هو تمهيد « طريق حورس الحربى » وهو الطريق البرى الذى يربط مصر بفلسطين ، ودعم جميع القلاع الحربية المصرية التى كانت منشأة على طول هذا الطريق . . ثم خرج بجيشه المتحمس ، فقضى على كل الاضطرابات وأعاد السيطرة المصرية على عكا وصيدا وكل الموانى الفلسطينية واللبنانية الواقعة على البحرالمتوسط ، كما خلص الأقاليم والمناطق الداخلية من مظالم وهمجية البدو الرعاة ﴿ وتطلق عليهم الوثائق المصرية اسم «الشاسو» وقد انضم إليهم البدو « الخابيرو الهمج » وهم فلول من العبرانيين ﴾ . . ثم تقدمت الجيوش المصرية إلى مناطق « نهر العاصى » .

* ومن الغريب أن بعض القبائل الليبية قد انتهزت انشغال الجيش المصرى فى آسيا فحاولت غزو مناطق غرب الدلتا ، إلا أن بعض فرق الجيش المصرى تصدت لتلك القبائل الغازية وقضت عليها قضاء مبرماً .

* كما تصدى الجيش المصرى أيضا للمناوشات العسكرية التى قام بها جيش الحيثيين فى شمال سوريا . . ولكن سيتى الأول - بحنكته العسكرية - أدرك أن الجيش

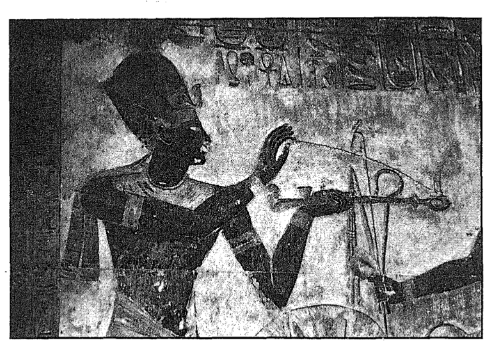


نقش جدارى بمعبد أبيدوس يصور سيتى الأول وابنه ولى عهده رمسيس الثانى



الملك سيتى الأول فى معركته ضد الليبيين

المصرى لم يصل بعد إلى القوة الحربية الفعالة التى تمكنه من الدخول مع جيش الحيثيين فى معارك حاسمة . . لذلك فقد عقد « معاهدة سلام سياسى » مع دولة الحيثيين ، وترك أمر المواجهة العسكرية بصفة مؤقتة حتى يتم تعبئة وتدريب الجيش المصرى الفتى وتزويده بالأسلحة الفعالة للدخول فى حروب طاحنة مع الحيثيين . . وهو الأمر الذى تحقق فى عهد ابنه العظيم « رمسيس الثانى » .



نقش جدارى بمعبد أبيدوس [العرابة المدفونة بمحافظة سوهاج] .. يصور الملك سيتى الأول وهو يحرق البخور أثناء تعبده للإله أمون حامى حمى الامبراطورية المصرية وجيوشها

الامبراطورية المصرية .. فى مرحلتها الثانية

بالرغم من معاهدة السلام التى عقدها « سيتى الأول » مع دولة الحيثيين ، إلا أن الحيثيين لم يحافظوا على العهد ، وتقدمت جيوشهم إلى داخل الأقاليم السورية التى كانت تابعة فيما مضى لنفوذ الامبراطورية المصرية ، واستولوا على « قادش » التى تقع فى وادى نهر العاصى ، بالرغم من بسالة المقاومة التى قام بها أهلها من السوريين الموالين لمصر ، إلا أن المدينة وقعت فى أيدى الحيثيين فى نهاية الأمر .

* وبعد أن تولى « رمسيس الثانى » عرش مصر بعد موت أبيه ، جعل همه الأول مواصلة الحروب التى بدأها أبوه لاستعادة كل الأقاليم السورية والآسيوية وإعادة كل أمجاد الامبراطورية المصرية فى مرحلتها الأولى كما كانت عليه فى عهد مؤسسها العظيم «تحوتمس الثالث » . . ولذلك فقد واصل رمسيس الثانى الخطوات التى بدأها « سيتى الأول » بتدعيم الموانى الفلسطينية والمدن اللبنانية الساحلية المطلة على البحر المتوسط .

* تنبه ملك الحيثيين إلى الاستعدادات الحربية الكبرى التى يعدها الملك المصرى الجديد ، وعرف أنه سيواجه لا محالة ملكا هو فى حقيقة الأمر من ضباط مصر العظام . . ولذلك فقد ألف ملك الحيثيين حلفاً عسكريا من حكام وولاة المستعمرات الحيثية فى بلاد النهرين وحلب وأجاريت وبعض ملوك آسيا الصغرى ، وأعد جيشا قوامه ٢٠ ألفا من الفرسان والمشاة وزوده بمجموعة كبيرة من الجنود المرتزقة استعداداً للمعارك المنتظرة التى سيقوم بها رمسيس الثانى ضد الحيثيين .

* وبالفعل قامت عدة معارك حربية طاحنة بين الجيوش المصرية بقيادة رمسيس الثانى وبين جيوش الحيثيين وحلفائهم . . وكانت معركة « قادش » هى أكبر تلك المعارك ، والتى ظل رمسيس يفخر بانتصاره فيها طول فترة حكمه الطويلة التى



نقش رمزى يصور رمسيس الثانى وهويمسك برؤوس أسراه من الآسيويين والنوبيين والليبيين

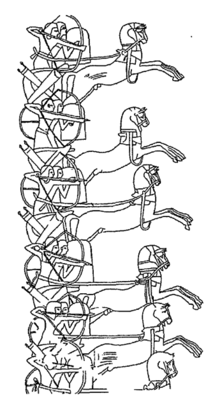
استمرت نحو ٦٧ عاماً ، والتى دونّت تفاصيلها ونقوشها فى شكل « ملحمة » مكتوبة على جدران المعابد الكبرى التى بناها والمعابد الكبرى الأخرى التى بناها ملوك مصر قبل عصره . . مثل معبد الأقصر ومعبد الكرنك ومعبد أبيدوس بالعرابة المدفونة بمحافظة سوهاج ومعبد الرمسيوم بغرب الأقصر .

* وتبدأ تلك الملحمة بذكر الانتصارات المجيدة التى أحرزها على بلاد الحيثيين ﴿التى تقع فى الهضبة المرتفعة بأواسط آسيا الصغرى ﴾ . . وبلاد النهرين ﴿ التى يقع معظمها بالقرب من شرق نهر الفرات فى مجراه العلوى ﴾ . . وبلاد إرثو ﴿ الواقعة على ساحل البحر المتوسط فى الجهة الغربية من الجنوب الغربى من بلاد الحيثيين ﴾ . . وبلاد بدس ﴿ الواقعة فى الجنوب الشرقى من عاصمة الحيثيين ﴾ . وبلاد دردنى ﴿ فى منطقة الدردنيل ﴾ . . وأرض ماسا ﴿ الواقعة على الشاطىء الجنوبى الغربى لآسيا الصغرى ﴾ . . وأرض قرقيشا ﴿ المجاورة لأرض ماسا ﴾ . . وبلاد قرقميش ﴿ التى تقع فى أعالى نهر الفرات على مسافة نحو ١٠٠ كم شمال شرق حلب ﴾ . . وأرض قدى ﴿ فى شمال سوريا ﴾ . . وأرض إركاثا ﴿ بشمال قادش ﴾ . .

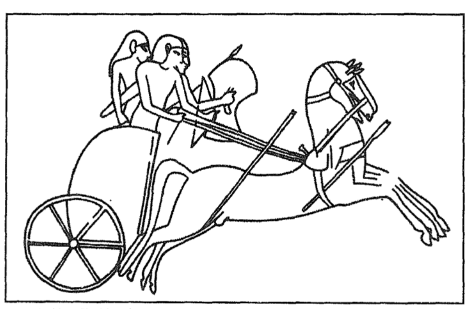
* واستمرت حروب رمسيس الثانى مع الحيثيين ١٥ سنة إلى أن مات ملك الحيثيين وتولى عرشهم ملك مسالم طلب الصلح مع المصريين والاعتراف بنفوذ الامبراطورية المصرية فى الأقاليم السورية والآسيوية . وانعقد هذا الصلح فى معاهده نقش نصها على لوح فضى كما نقش أيضا على جدران معابد الرمسيوم والكرنك وألفنتين .

* ويبدأ هذا النص بافتتاحية بليغة تقول : « هذه المعاهدة الطيبة عملت لحفظ السلام والاخاء واستتباب الأمن والسكينة بين الطرفين إلى الأبد » . وتنص المعاهدة على قواعد الدفاع المشترك بين الدولتين فى حالة وقوع هجوم على أى منهما من دولة أجنبية » . ويجمع المؤرخون على أن هذه المعاهدة تعتبر أول معاهدة دبلوماسية فى تاريخ العالم . . ويجمعون أيضا على أن طريقة صياغة نصوص هذه المعاهدة لا تختلف عن صياغة المعاهدات الدولية فى العصر الحديث شكلا ومضموناً .

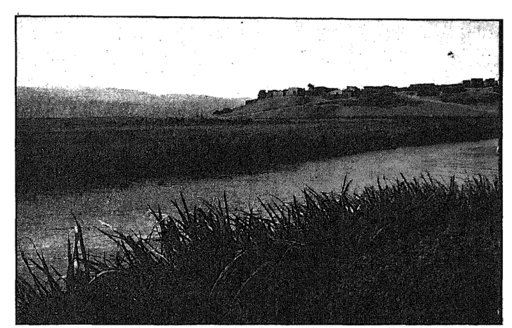
* وفى أعقاب عقد تلك المعاهدة حضر ملك الحيثيين إلى مصر ، حاملاً معه هدايا



المركبات الحربية المصرية التى تتميز بخفة الحركة والسرعة ، وكان يستخدمها اثنان فقط من المحاربين



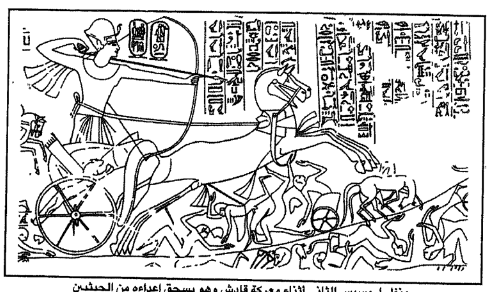
المركبات الحربية الثقيلة والبطيئة الحركة لجيش الحيثيين وكان يستخدمها ثلاثة من المحاربين



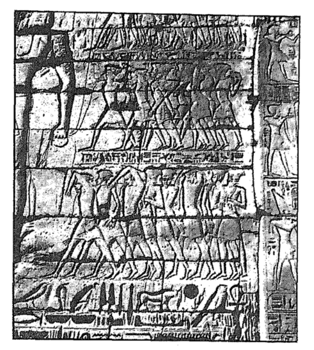
موقع على الضفة الغربية لنهر العاصى حيث دارت معركة قادش الحربية بين الجيش المصرى بقيادة
رمسيس الثانى وجيش الحيثيين

قيمة ، وقدم ابنته زوجة لرمسيس . وأقيم لهذه الزيارة وهذا الزواج احتفال عظيم بالقصر الملكى .

* وهكذا استطاع رمسيس الثانى أن يعيد أمجاد الامبراطورية المصرية فى مرحلتها الثانية ، لتصبح مصر أقوى وأعظم دولة فى العالم القديم كله .



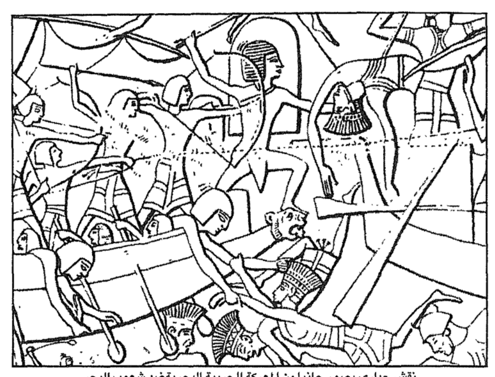
منظر لرمسيس الثانى أثناء معركة قادش وهو يسحق اعداءه من الحيثيين



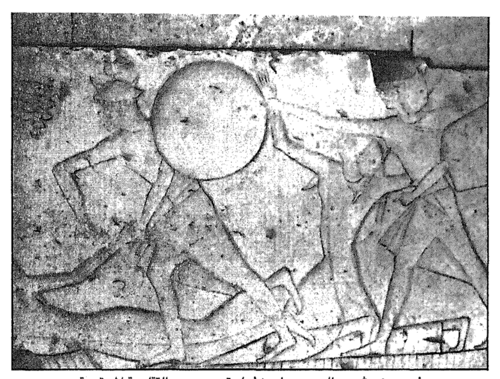
أسرى من الليبيين والفلسطينيين بعد هزيمتهم



مجموعة من الجنود رماة السهام



نقش جدارى يصور جانبا من المعركة الحربية البحرية ضد شعوب البحر



أسرى من « شعوب البحر » يسلمون أسلحتهم ودروعهم التقليدية المستديرة

الأهـــرام المصريـــة



الهرم الأكبر .. فى دوّامة الأكاذيب والخرافات

ما من ندوة اشتركت فيها أو محاضرة تحدثت فيها عن الحضارة المصرية أو التاريخ المصرى القديم ، إلا وتلقيت مجموعة من الأسئلة حول الهرم الأكبر والأهرام المصرية بصفة عامة . . فمن سائل يسأل كيف بنيت . . ومن قائل يردد معلومات لا تمت إلى العلم بأدنى صلة ، بل إن البعض يدلى بدلوه فى الموضوع فيتلو علينا ملخصاً لمقال كتبه أحد كبارالصحفيين ذكر فيه ان اليهود يدعون أنهم هم الذين بنوا الهرم . . أو ملخصاً لمقال آخر للصحفى الكبير نفسه يقول فيه إن بناة الهرم قوم هبطوا إلى كوكب الأرض قادمين من الفضاء ، ثم صعدوا إلى السماء عائدين ، وتركوا هذا الهرم الضخم كعلامة ترشدهم إلى الطريق الصحيح عندما يهبطون من السماء إلى الأرض مرة أخرى . .ثم يذكر مقالاً ثالثا يقول فيه الصحفى الكبير نفسه إن كثيراً من العلماء الأجانب يؤكدون ان بناة الهرم قوم جاءوا من قارة أطلانتس بعد أن غرقت قارتهم فى قاع المحيط ، وانهم دفنوا ملفاتهم وسجلاتهم فى أماكن سرية داخل وتحت الهرم .

* والملاحظ على كل هذه التهويمات والأضاليل والتخاريف انها تشكك فى علاقة المصريين بالهرم ، وتنسب بناءه إلى أقوام من الأجانب دون أن يشترك مصرى واحد فى بناء هذا الصرح الشامخ ، وكأن قدماء المصريين كانوا شعبا من المتفرجين الكسالى يتسلون بمشاهده اليهود أو الذين هبطوا من السماء أو الذين جاءوا من قارة أطلانتس وهم يشيدون الهرم الأكبر ويتركونه لهم أمانة فى أعناقهم .

* ومن الغريب ان بعض المتعلمين والمثقفين من المصريين المحدثين يرددون بعض ما قرأوه منشوراً فى الصحف عن علماء أجانب « هجاصين » وغير متخصصين يدعون ان قدماء المصريين قد عرفوا سر الكهرباء واخترعوا نوعاً من الأوناش الضخمة كانت تساعدهم فى رفع الأحجار والصخور الثقيلة التى استخدمت فى بناءالهرم ، والتى

يتراوح وزنها ما بين طنين ونصف طن ويصل وزن بعضها إلى خمسة وخمسين طنا . . بل ويقول بعض العلماء الأجانب الأدعياء أيضا إن المصريين القدماء كانت لديهم أجهزة تكنولوجية استطاعوا أن يتغلبوابها على « الجاذبية الأرضية » فجعلوا أثقل الأحجار وزنا فى « خف الريشة » فيوجهونها حيثما شاءوا وكيفما يتراءى لهم . وبذلك كانت عملية بناء الهرم فى غاية السهولة !

* وتحت عنوان « الفراعنة لصوص حضارة » - وهو عنوان يخلو من الأدب وغير جدير بالاحترام - طلع علينا أحد المتعالمين فى هذا الزمن الردىء ، بكتاب يدور حول فكرة يعجز عن مثلها الشياطين وأكثر الناس كرها للمصريين ، حيث يقول هذا المتعالم إن الهرم بناه « قوم عاد » الذين كان يتراوح طول الفرد منهم ما بين ١٥ - ٢٥ متراً ، ويذكرنا بأن « الترمذى » قال إن طول الفرد من هؤلاء القوم كان يصل إلى ٤٩ متراً . . كما كانوا يتمتعون بقوة عضلية خارقة تفوق قوة ألف رجل من الرجال الذين يعيشون فى عصرنا الحاضر . ولذلك فقد كان الواحد منهم يمسك أكبر صخور الهرم ضخامة وثقلا بيد واحدة كما نمسك نحن بقالب صغير من الطوب الأحمر . ولذلك فقد كان بناء الهرم بالنسبة لهم عملاً فى منتهى السهولة . ثم جاء بعدهم الفراعنة «اللصوص » وادعوا أنهم هم الذين قاموا ببناء الهرم !

* ويقول هذا المتعالم فى كتابه أيضا إن هذه التماثيل الضخمة المنتشرة فى مصر تؤكد صدق دعواه ، فهى عبارة عن بعض الأحياء من قوم عاد سخطهم الله وحولهم إلى حجارة ، ثم جاء الفراعنة اللصوص وكتبوا أسماءهم على هذه التماثيل بعد أن غيروا معالم وملامح الوجوه وجعلوها على شكل ملامحهم الشخصية . . وكذلك فقد تفتق ذهن هذا المتعالم فادعى ان علماء الآثار الأجانب والمصريين عثروا على جثث ومومياوات لقوم عاد مدفونة فى مصر يصل طول بعضها إلى ما يزيد على ٤٠ مترا ولكنهم أخفوا هذه الاكتشافات الأثرية عن الناس .

* وأمام كل هذه الخزعبلات والأكاذيب والأضاليل والتهويمات الخرافية أرانى مضطراً إلى تقديم مجموعة من الدراسات العلمية المختصرة عن الهرم الأكبر والأهرام المصرية بصفة عامة .

المؤرخون القدماء الأجانب .. وخرافات حول الهرم

بالرغم من وجود عشرات الأهرام التى بناها ملوك مصر فى عصرى الدولتين القديمة والوسطى ، إلا أن الهرم الأكبرهو الذى فرض نفسه على المؤرخين القدماء الذين زاروا مصر وكتبوا عن آثارها وحضارتها .

* ومن الأقوال الشائعة أن هيرودوت « ٤٨٤ - ٤٢٥ ق م » هو « أبو التاريخ » . . وهو اللقب الذى أطلقه عليه الخطيب والمحامى السياسى الرومانى « شيشرون » «١٠٦ - ٤٣ ق م » . . وقد قام هيرودوت بزيارة مصر حوالى عام ٤٥٠ ق م ، أى بعد أن مالت شمس الحضارة المصرية القديمة إلى أفق المغيب . . وكذلك الحال بالنسبة للمـؤرخ القديـم « ديـودور الصقلى » الذى زار مصر فى الفترة بين عامى « ٦٠ - ٥٧ ق م» . . والمؤرخ القديم « فيلون » وهو فيلسوف يهودى سكندرى عاش بمصر فى الفترة بين عامى ﴿ ٢٠ ق م - ٥٠ ميلادية ﴾ وهو الذى حدد « عجائب الدنيا السبع » ووضع الهرم الأكبر على قمة هذه العجائب .

ومن الحقائق المعروفة عن العالم القديم أن المؤرخ لا يعتبر مؤرخا إلا إذا تحدث عن مصر ووصف معالم حضارتها وآثارها التى مازالت ظاهرة للعيان . . وبطبيعة الحال فقد كان هرم خوفو هو الأثر البارز الذى تناوله فى كتبهم جميع المؤرخين القدماء الذين زاروا مصر أو عاشوا فيها . . ولكن بالنظر إلى أن الهرم الأكبر قد بنى فى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد ، فإن معنى ذلك أن الفارق الزمنى بين عصر بنائه وعصور هؤلاء المؤرخين القدماء يتراوح ما بين ٢٢٠٠ سنة و ٢٨٠٠ سنة . وهى فترة طويلة جدا اختفت فيها الحقائق تحت ضباب النسيان ، وحلت محلها أقاويل وخرافات الأدلاء

والمرشدين الذين زودوا معظم هؤلاء المؤرخين القدماء بمعلومات مغلوطة أو مبالغ فيها حتى تبدو هذه المعلومات مثيرة وجذابة بما تتضمنه من غرائب وأعاجيب !

* وعلى سبيل المثال فقد وقع هيرودوت نفسه ضحية للخرافات التى أملاها عليه الأدلاء وكأنها حقائق تاريخية مؤكدة توارثوها أباً عن جد .

* ولذلك فيجب ألا نندهش من تلك المعلومة المغلوطة التى ذكرها هيرودوت وقال فيها : « إن خوفو بعد أن صرف كل أمواله ، فقد كان يحتاج إلى المزيد من الأموال حتى يكتمل بناء الهرم . . ولذلك فقد أرسل ابنته إلى بيت من بيوت الدعارة « !! » وأمرها أن تحضر له مبلغاً كبيراً من المال حتى يمكنه مواصلة بناء الهرم !! » . ومن الغريب أن هيرودوت يختم هذه الفقرة قائلا : « ولا أستطيع تحديد قيمة هذا المبلغ لأن أحداً لم يذكرها لى » .

* وبالرغم مما هو واضح فى هذا القول من كذب وافتراء وخطل ، فقد ذكره هيرودوت فى كتابه عن مصر لاضفاء طابع الإثارة والجاذبية على هذا الكتاب وما يحتويه من معلومات مماثلة . . بل وتمادى هيرودوت فى هذا الاتجاه فذكر قصة غريبة ومثيرة أخرى عن ابنة خوفو هذه التى يدعى انها احترفت الدعارة لتزود أباها بما يحتاجه من أموال ، فيذكر هيرودوت ما ردده على سمعه الأدلاء المخرفون من أن هذه الابنة قد اشترطت أيضا على كل زبون من زبائنها أن يقدم حجراً هدية قبل أن يدخل إليها . . إلى أن تكونت لديها مجموعة كبيرة من الأحجار استخدمتها فى بناء هرم صغير خصصته لنفسها ، وهو الهرم الذى يتوسط الأهرام الصغيرة الثلاثة التى تقع أمام الجانب الشرقى لهرم خوفو !

* أما المؤرخ القديم « ديودور الصقلى » فقد كتب تاريخ العالم منذ أقدم العصور فى كتاب يتألف من ٤٠ جزءاً ، وصلنا منها ١٥ جزءاً كاملاً وبعض القطع من أجزاء أخرى تحتوى على تاريخ مصر القديمة . وقد استقى ديودور معظم معلوماته من المؤرخين القدماء الذين سبقوه ، ويؤخذ على كتاباته انها مشوهة ومضطربة وتتناقض مع بعضها فى أغلب الأحيان ، واتصفت كتاباته عن التاريخ والآثار المصرية بكثير من الغموض والبعد عن الحقائق التاريخية والأثرية المعروفة .

* هذا وقد وردت معلومات كثيرة أخرى تختلط فيها الحقائق بالخيال والخرافات فى كتابات مؤرخين قدماء آخرين مثل المؤرخ المصرى « مانيتون » الذى عاش فى مدينة «سمنود » بالدلتا خلال القرن الثالث قبل الميلاد . . والمؤرخين الرومانيين سترابون وبلليني .



المؤرخون القدماء العرب .. وخرافاتهم حول الهرم

وإذا كان الفارق الزمنى بين عصر بناء هرم خوفو والعصر الذى عاش فيه المؤرخون القدماء الأجانب من الإغريق والرومان يتراوح ما بين ٢٢٠٠ / ٢٨٠٠ سنة ، فإن الفارق الزمنى بين عصر بناء هذا الهرم والعصور التى عاش فيها المؤرخون والرحالة العرب القدماء الذين زاروا مصر أو أقاموا فيها يتجاوز ٤٠٠٠ سنة ، أى بعد أن اختفت تماماً أية معلومات موثقة أو معقولة تتناول وصف الهرم أو كيفية بنائه والغرض الذى أقيم من أجله .

* ومن المعروف عن كتابات المؤرخين والرحالة العرب القدماء ، انهم كانوا يتداولون فيما بينهم قدراً كبيرا من المعلومات المغلوطة ينقلونها مما كتبه مؤرخون ورحالة سابقون . . كما كان بعض هؤلاء المؤرخين والرحالة يختلقون بعض المعلومات اختلاقا بقصد إدعاء المعرفة بأسرار الغرائب والعجائب ، حتى ولو كان ذلك على حساب العقل والمنطق وبديهيات التفكير السليم . وكلما ابتدع واحد منهم معلومة مغلوطة أو خرافة غير معقولة ، نقلها عنه المؤرخون والرحالة الآخرون كما لو كانوا يتداولون حقيقة ثابتة .

* وعلى سبيل المثال يقول « أبو الحسن على بن الحسين المسعودى » وهو جغرافى ومؤرخ عربى شهير ، ولد ببغداد وتوفى عام ٩٥٧م بعد أن تجول وزار عدداً كبيراً من البلاد آخرها مصر حيث استقر بمدينة الفسطاط . ومن أشهر مؤلفاته كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » . . ويقول المسعودى فى هذا الكتاب : « إن الهرمين بنيا قبل الطوفان . . وإن الملك الذى أمر ببنائهما طلب من كهنته أن يودعوا فيهما جماع ما عرفوه من حكمة ومعارف فى شتى العلوم والفنون ، وأن تنقش عليهما كتابات تحوى علوم

الحساب والهندسة ومواقع النجوم ومداراتها وتواريخ الأزمنة الخالية وكل الأحداث المقبلة التى ستقع فى مصر وفى الدنيا كلها ! » .

* أما « تاج الدين أحمد بن على المقريزى » ﴿ ١٣٦٥ - ١٤٤١ م ﴾ وهو مؤرخ مصرى ، ولد ونشأ ومات فى القاهرة ، وكان إماما لجامع الحاكم بأمر الله . ومن أشهر مؤلفاته : « السلوك فى معرفة دول الملوك » . . و « البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب » . . و « إغاثة الأمة بكشف الغمة » . . و « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » وهو الكتاب الشهير المعروف باسم « خطط المقريزى » . . وفى هذا الكتاب ورد فصل بعنوان « ذكر الأهرام » جاء فيه : « إن بانى الهرمين هو الملك سوريد بن سلهوق وذلك بعد رؤيا أزعجته ، وهى أن الأرض ستتعرض لطوفان مدمر ، فأمر أن تكون الأهرام حصناً لحفظ كنوزه ولتسجيل علوم مصر وحضارتها . . وان الهرم الأكبر كان مكرساً لعلمى التاريخ والفلك ، أما الهرم الثانى فقد كان مكرساً لعلم الطب » . . كما نقل المقريزى عن مؤرخ عربى آخر اسمه « الطبيب على بن رضوان » القول بأن الأهرام كانت تبنى فى الأصل على شكل مكعبات ضخمة ، ثم يقوم المصريون بكشط جوانبها وحوافها حتى يأخذ كل هرم فى النهاية شكله الهرمى المعروف ﴿ كأن الأهرام كانت مثل قوالب الزبد والجبن ثم يقوم المصريون بتسوية واجهاتها وأضلاعها بالسكاكين !! ﴾ .

* وهناك مؤرخون وجغرافيون ورحالة عرب آخرون ذكروا فى كتبهم معلومات أكثر تطرفا فى الخرافة وأكثر بعداً عن المنطق السليم . . منهم : عبد اللطيف البغدادى . وابن وصيف شاه . . وابن إسحق النديم . . والقضاعى . . وابن خرداذبه . . والبيرونى . . وأبو الصلت الأندلسى وغيرهم . ومنهم من قال : « إن السحرة المصريين كانوا يكتبون عبارات وطلاسم على أوراق البردى ، ويضعونها فوق قطع الأحجار الضخمة فتطير الأحجار فى الهواء وتهبط إلى حيث المكان المخصص لكل حجر ! » . . ومنهم من قال : « إن الأهرام هى الأهراء - أى الصوامع - التى بنيت فى زمن سيدنا يوسف عليه السلام لتكون مخازن حبوب من محاصيل السنوات السبع

السمان ، لتستخدم فى المجاعة أثناء السنوات السبع العجاف !! » . . ومنهم من قال : « إن الأهرام تحرسها أرواح شريرة وأشباح مؤذية . . حيث يحرس الهرم الأكبر شبح لغلام عار أمرد ذو بشرة صفراء وفمه مملوء بأنياب حادة . . أما الهرم الثانى فيحرسه شبح لامرأة عارية ذات جمال أخاذ تستهوى أى رجل يقترب من الهرم فتسلبه عقله ثم تنقض عليه وتفترسه » . . ويؤكد هؤلاء المؤرخون ان هذه الأشباح قد شوهدت مراراً فى ساعات القيلولة وفى أوقات الغروب ! . . فلا حول ولا قوة إلا بالله !



الهرم .. وأكاذيب اليهود

حين وقف مناحم بيجين بجوار الرئيس أنور السادات فى منطقة الأهرام أثناء إحدى زياراته لمصر ، أشار إلى الهرم الأكبر - هرم خوفو العظيم والمعجزة التى تتحدى الزمن - وقال بكل ما كان فى استطاعته من التفاخر الأجوف والتعالى الزائف : « إن أجدادى هم الذين بنوا هذا الهرم » . . فابتسم الرئيس السادات ولم يقل شيئا .

* هذا كلام معروف وسبق نشره فى حينه فى الصحف المصرية ، بل وردده وكالات الأنباء الأجنبية العالمية التى رافق مندوبوها بيجين والسادات أثناء تلك الزيارة . . وقد أقسم لى الصديق المرحوم الدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار الأسبق انه لو كان حاضراً فى تلك الزيارة واستمع إلى هذا الكذب والافتراء على تاريخنا العظيم ، لخلع حذاءه واستعمله فى تصحيح هذا الادعاء الوقح ووضع الأمور فى نصابها السليم حتى لو أدى ذلك إلى أن يفقد منصبه أوحتى يفقد حياته .

* وقد يثور التساؤل حول السبب فى إصرار اليهود على ترديد هذه الأكاذيب عن مصر وحضارتها العظيمة . . كما قد يثور تساؤل آخر عن حقيقة المعلومات التاريخية التى تؤكد علاقة اليهود بمصر القديمة .

* بالنسبة للتساؤل الأول فإن معظم علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية يؤكدون أن طبيعة الخصال التى اتصفت بها قبائل العبرانيين واليهود وبنى اسرائيل بصفة عامة ، هى فى واقع الأمر خصال دنيئة تتسم بسلوكيات الغدر والخيانة والخسة والتجسس والإيقاع بين القبائل والشعوب الأخرى ، بالإضافة إلى ما يؤكده تاريخهم من اعتماد قبائلهم القديمة على القيام بأعمال السلب والنهب والإغارة على الآخرين للسطو على ممتلكاتهم والهروب بغنائمهم إلى دروب وشعاب ومتاهات الجبال التى استوطنوا فيها فى المناطق الجبلية والصحراوية بشمال الجزيرة العربية وشرق فلسطين .

* وبالنظر إلى مثل هذا التاريخ الحضارى الملوث بالاجرام ، حاول اليهود منذ القدم تغطية هذا التاريخ بإطلاق الأكاذيب تلو الأكاذيب ، سواء فى الروايات الشفاهية التى اختلقوها لأنفسهم وأخذوا يرددونها ويتوارثونها فيما بينهم جيلاً بعد جيل إلى أن اعتبروها حقائق واقعة ، أو فيما تفتقت عنه قرائح حاخاماتهم القدامى من كتابات ابتدعوها ودونوها وكانت تتضمن مجموعة من الأساطير الملفقة كما تتضمن تحريفات متعمدة للكتاب المقدس . . وقد استمرت هذه الخصال السيئة طوال التاريخ الطويل لليهود منذ بداية ظهورهم فى المجتمع الانسانى وحتى الآن .

* أما بالنسبة للتساؤل الثانى عن تاريخ علاقة اليهود وبنى اسرائيل بمصر القديمة ، فمن المعروف انهم وفدوا إلى مصر فى العصر الأسود الذى وقعت فيه مصر تحت حكم الهكسوس بعد انهيار عصر « الدولة الوسطى » فى أواخر القرن ١٨ ق م . . وإذا رجعنا إلى المراجع والتفاسير الدينية والتاريخية ، نعرف أن سيدنا يعقوب عليه السلام هو الذى سمى باسم « اسرائيل » وهو والد سيدنا يوسف عليه السلام الذى عينه «عزيز مصر » وزيراً على خزائن مصر . . ونلاحظ هنا أن الذى عينه فى هذا المنصب الرفيع هو « عزيز مصر » كما ورد فى القرآن الكريم . وهذا لقب يدل على انه كان حاكما أجنبياً لأنه لقب مخالف للقب الذى كان يطلق على حكام مصر من المصريين الخلصاء وهو لقب «ملك مصر » أو « فرعون مصر » . . ومن المعروف أن سيدنا يوسف قد استدعى أباه واخوته وأبناءهم وأحفادهم للاقامة فى مصر ، وكان عددهم ٦٨ فرداً على وجه التحديد هم كل بنى اسرائيل الذين دخلوا إلى مصر آمنين معززين مكرمين فى عصر الهكسوس .

* وبالرغم من أن بنى أسرائيل قد نعموا بخيرات مصر ، إلا إنهم وضعوا أنفسهم فى خدمة الهكسوس ضد مصالح الشعب المصرى . . ومع ذلك فعندما قام « أحمس الأول» مؤسس الأسرة ١٨ فى منتصف القرن ١٦ ق م بطرد الهكسوس من مصر ، لم يقم بطرد بنى اسرائيل الذين كانوا قد تكاثروا وازداد عددهم وظلوا مقيمين بمنطقة جوشن بشرق الدلتا إلى أن تم طردهم وخروجهم من مصر فى عصر الأسرة التاسعة عشرة على أرجح الأقوال .

* ويقول المؤرخون إن مدة إقامة بنى اسرائيل فى مصر لا تتجاوز ١٧٥ سنة منذ أن دخلوها فى عصر الهكسوس إلى أن خرجوا منها فى عصر « الدولة الحديثة » . . أى فى فترة زمنية تقع ما بين القرن ١٨ ق م والقرن ١٦ ق م . . وإذا كان هرم خوفو قد بنى فى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد ، فهل اشترك الاسرائيليون فى بنائه بأثر رجعى ، أم هو كذب وافتراء وضلال مبين ؟ !



الهرم : بين أدعياء العلم ومحترفى الإثارة

وكل الذين درسوا تاريخ اليهود دراسة محايدة ، يخرجون فى النهاية بنتائج مؤكدة تدل على أن هذا التاريخ عبارة عن مجموعة من الأساطير المضللة والخرافات الكاذبة والتحريفات المتعمدة التى أجراها الحاخامات القدماء فى الكتاب المقدس . . كما يؤكد هؤلاء الدارسون أن اليهود يتمسكون بعنصريتهم البغيضة بالادعاء بأنهم شعب الله المختار . . وقد أدت هذه العنصرية إلى إجماع كل الشعوب الأخرى على احتقارهم وكراهيتهم ، الأمر الذى أدى بهم فى النهاية إلى العزلة والذلة والمسكنة والشتات فى أنحاء الأرض حتى أقاموا دولتهم بالقوة والتآمر وسرقة أراضى الآخرين .

* و إذا كان اليهود قد استطاعوا أن يسرقوا دولة فلسطين من الفلسطينيين استناداً إلى تركيبة ملفقة من الأساطير والخرافات ، فقد شجعهم هذا النجاح فى السرقة على محاولة سرقة التاريخ والحضارة المصرية القديمة ونسبتها إلى أنفسهم ، أو على الأقل محاولة التشكيك فى هذا التاريخ وتلك الحضارة العظيمة التى صنعها المصريون القدماء وحرمان المصريين المحدثين بالتالى من التفاخر بأمجاد ماضيهم . . واتبع اليهود فى ذلك كل أساليب الغش والكذب والخداع والتخريف والزيف الذى يأخذ فى كثير من الأحيان شكل نظريات علمية لا أساس لها .

* ومن الحقائق المستنتجة التى خرج بها كل المنصفين الذين درسوا التاريخ البشرى والدينى والعقائدى لليهود ، هى أن اليهود بكافة فصائلهم ومذاهبهم مصابون بعقدة نفسية كامنة فى عقلهم الجمعى نحو الحضارة المصرية القديمة . . وهى عقدة متمكنة فى نفوسهم وليس لها من شفاء ، وجعلتهم يكرهون مصر والمصريين القدماء والمصريين المحدثين . . ولذلك فليس من الغريب أنهم يستعينون بمجموعة من أدعياء العلم من

اليهود وغير اليهود ليساهموا معهم فى التشكيك فى عظمة الحضارة المصرية القديمة ونسبتها إلى غير المصريين .

* وهكذا ظهرت فى انجلترا وألمانيا وبلجيكا وأمريكا جماعات غريبة تتخفى وراء أسماء ذات طابع علمى زائف ، وتبذل كل ما فى وسعها من الاستعانة باصدار وترويج الكتب والمؤلفات والاعتماد على وسائل الإعلام من صحف ومجلات وأفلام سنيمائية وبرامج تليفزيونية ومواقع على شبكات الانترنت ، كما تنظم المؤتمرات وتلقى المحاضرات وتقيم الولائم واللقاءات . . وكل ذلك بقصد الهجوم على مصر وحضارتها العريقة باختلاق مجموعة من الافتراضات والتلفيقات النظرية المكسوة بكساء علمى زائف .

* ومن السهل حصر أسماء مجموعة كبيرة من محترفى الإثارة وأدعياء العلم المأجورين من اليهود وغير اليهود الذين يدبرون هذا الهجوم على الحضارة المصرية القديمة ، وينسجون الادعاءات الكاذبة بأن هذه الحضارة لم تكن من صنع المصريين . . وبالرغم من أن هؤلاء الأدعياء قد تخلوا عن أكذوبة قيام اليهود القدماء ببناء الهرم وذلك لسهولة دحض هذا الادعاء الكاذب الذى لا ينطلى على أحد ، فقد ابتدعوا مجموعة من الشائعات والافتراضات النظرية لضرب الحقائق الثابتة فى التاريخ المصرى القديم .

* ومن الغريب أن الغالبية العظمى من هؤلاء الأدعياء دخلاء على علم المصريات «الإجيبتولوجى » ولم تعرف لهم كتب أو مراجع أو بحوث جادة فى هذا العلم . . ومن أشهرهم : جرا هام هانكوك . . وروبرت بوفال . . وجون انتونى وست . . وهوجلاند . . ولارى هنتر . . وإيريش فون دانكن . . وجوزيف سميث . . ومخرف أمريكى شهير أسمه إدجار كيس يتخفى تحت لقب « النبى النائم ! » . . ولا يستحق أى واحد من هؤلاء الأدعياء أن نفرد له بحثا أو تمحيصاً لما قال به من أكاذيب وخرافات . . ولكننا مع ذلك نجمل فيما يلى كل من قاله هؤلاء من نظريات وما تفتقت عنه عقولهم المغرضة من خرافات وأوهام :

* فهم يقولون مثلا إن جثة أوزيريس مدفونة بداخل الهرم ، ومعنى ذلك أن عمر

الهرم يتجاوز عشرات الآلاف من السنين بعد أن بناه مخلوقات هبطت من كوكب المريخ أو من كواكب أخرى غير معلومة . . ويقولون أيضا إن سفن الفضاء الأمريكية التى حومت حول المريخ صورت تمثالاً يشبه تمثال « أبو الهول » الأمر الذى يدل على أن أهل المريخ هم الذين شيدوا تمثال « أبو الهول » فى مصر وبالتالى فهم الذين شيدوا الهرم أيضا . . ويقولون كذلك إن هناك ما يدل على أن بعض المخلوقات قد هبطت من السماء منذ عشرات الآلاف من السنين وعاشت فى مصر وفى المكسيك وعلمت الناس هناك كيفية بناء الأهرام وأصول علم الفلك . . كما قال بعض هؤلاء الأدعياء إن الذين بنوا الهرم جماعة من أهالى قارة أطلانتس وفدت إلى مصر منذ عشرة آلاف سنة بعد أن غرقت قارتهم فى قاع المحيط ، والدليل على ذلك أن هذه الجماعة قد تركت سجلاتها مدفونة تحت الهرم وتحت أبو الهول . . وبكل وقاحة يطالب القائلون بهذا الافتراء بأن تسمح لهم الحكومة المصرية باجراء الحفائر الأثرية فى هذين الموقعين لاستخراج هذه السجلات .



الهرم : وأكذوبة الذين هبطوا من السماء

بالرغم من أن الادعاء الكاذب الذى يقول به بعض أدعياء العلم من اليهود والمهالئين لهم بأن قوماً هبطوا من السماء وقاموا ببناء الهرم هو ادعاء واضح الكذب والتلفيق ولا يستحق بذل أى جهد علمى لتفنيده والرد عليه ، إلا أننا مع ذلك حرصنا على ذكره فى هذه الدراسات ، خصوصاً بعد أن فجعنا ببعض الكتاب المصريين يرددون هذه الخرافات فى أعمدتهم الصحفية . . ولا أدرى إن كان ذلك بوعى منهم أو بدون وعى إلى ما يدبره اليهود من مؤامرات تهدف إلى تجريد المصريين القدماء من شرف صنع الحضارة العظيمة التى مازلنا نفاخر بها ، وحرص هؤلاء اليهود على الادعاء بأن هذه الحضارة من صنع أقوام أخرى من غير المصريين حتى ولو كانت هذه الأقوام قد هبطت من السماء كما يقولون .

* وربما كان اليهود القدماء هم أول من أطلق الأساطير عن الذين هبطوا من السماء ، وذلك استناداً إلى التخاريف والتحريفات التى كتبها الحاخامات القدامى عن الرؤى التى ذكرها كل من النبى اخنوخ والنبى حزقيال عن الأقوام التى هبطت من السماء إلى كوكب الأرض .

* كما أن هناك بعض الأساطير الهندية القديمة مثل « البهابهارتا » و « الرمايانا » جاءت بها صور خيالية عن عربات سماوية تتكون كل عربة منها من طابقين وذات نوافذ كثيرة تلمع باللهب الأحمر ترتفع فى السماء بسرعة هائلة وتبدو كالشهب المندفعة . غير أن هذه الأساطير الهندية لم تقل بأن هؤلاء الذين هبطوا من السماء قد فعلوا بأهل الأرض خيراً أو بنوا هرماً ، وانما وصفتهم بأنهم كانوا أشراراً شنوا على أهل الأرض حرباً مدمرة وقذفوهم بقذائف متفجرة ذات لهب يلمع مثل عشرة آلاف شمس .

* ومن الناحية العلمية يمكننا أن نقول بما يؤيده « علم النفس الجماعى » - وهو من العلوم الحديثة - من أن الغالبية العظمى من البشر تميل بفطرتها إلى تصديق ما يتردد فى الأساطير أكثر من ميلها إلى قبول وتصديق ما تقول به النظريات والتفاسير العلمية ، وذلك لأن تصديق الأساطير أسهل بكثير من الدخول فى نطاق القوانين والقواعد العلمية البالغة التعقيد .

* وفى العصور الحديثة أخذت هذه الأساطير الخرافية شكلاً جديداً هو « الخيال العلمى » حيث ظهرت روايات أدبية عديدة موجهة للأطفال وللكبار أيضا ، تدور حول غزوات لكوكب الأرض تقوم بها مخلوقات من كواكب أخرى . وقد تحولت بعض هذه الروايات إلى أفلام سينمائية أو مسلسلات تليفزيونية . وفى العصر الحديث أيضا انتشرت بعض النظريات العلمية التى لم تثبت صحتها إطلاقا عن « الأطباق الطائرة » وعن « الاشارات اللاسلكية » التى أرسلها إلى الأرض أقوام تسكن فى كواكب بعيدة وتتمتع بحضارة تكنولوجية تفوق الحضارة التكنولوجية لانسان العصر الحديث .

* ومنذ نحو مائة سنة ، وبالتحديد فى عام ١٨٩٩م ، ادعى رائد الراديو والاتصالات اللاسلكية « نيقولا تسلا » انه أول إنسان استمع من خلال جهاز الاستقبال اللاسلكى إلى رسالة تحية أرسلها سكان كوكب آخر غير معلوم . . وحقيقة الأمر انه استمع فعلاً إلى بعض الشوشرة والاضطرابات الصادرة من نشاط الحقل المغناطيسى لكوكب الأرض ، ولكنه لم يدرك ذلك فى وقته .

* وفى النصف الثانى من القرن العشرين انتشرت شائعات كثيرة حول قيام بعض العلماء بمحاولات الانصات إلى إشارات لاسلكية واردة من كواكب ونجوم وأجرام سماوية بداخل مجرتنا أو من مجرات أخرى . . كما حاول هؤلاء العلماء إرسال إشارات لاسلكية أرضية إلى هذه الأجرام السماوية ، ولكن جميع هذه المحاولات قد باءت بالفشل ، وتدل - حتى الآن - على عدم وجود حضارات متقدمة فى هذا الكون يمكن أن تتصل بالأرض أو يتصل سكان الأرض بها .

* أما بالنسبة لما تردده وسائل الاعلام عن الاطباق الطائرة والاجسام المجهولة التى

يقال إنها تظهر فى السماء بين حين وآخر وفى أماكن مختلفة من العالم ، فهى أقوال تلقى على عواهنها وتعتبر من أساطير العصر الحديث التى تستهوى الكثيرين . . ومن الناحية العلمية البحتة فلم يثبت أن أى مرصد من المراصد العلمية المتخصصة المنتشرة فى كافة أنحاء العالم قد رصد أى طبق من تلك الأطباق الطائرة أو تلك الأجسام المجهولة التى يقال أنها شوهدت طائرة فى بعض مناطق العالم .

* وبالرغم من كل هذه الحقائق العلمية التى لا يرقى إليها أى شك ، فإننا مازلنا نفاجأ بأقاويل بعض أدعياء العلم ومحترفى الإثارة والساعين إلى الشهرة مثل المخرف «دانكن» الذى يقول إن بعض المخلوقات الفضائية الراقية هبطت فى أمريكا الوسطى وحولت بعض القرود إلى بشر وعلمتهم بناء الأهرام وأصول علم الفلك ! . . كما يقول مخرف آخر اسمه « روبرت تمبل » إن هذه المخلوقات التى هبطت من السماء فى منطقة البحر المتوسط خلال عام ٣٥٠٠ ق م هم أصل حضارة قدماء المصريين . . ومن المؤكد أن كل هذه الخرافات والتهويمات الكاذبة لا يقصد بها إلا تجريد المصريين من حضارتهم القديمة العظيمة وسلب تاريخهم المجيد ونسبته إلى غيرهم .



الهرم : وأكذوبة قارة أطلانتس

فى القرن الرابع قبل الميلاد ورد أول ذكر لإسم « قارة أطلانتس » ضمن محاورتين من محاورات الفيلسوف الإغريقى أفلاطون هما : « محاورة تيماوس » و « محاورة كريتياس » . . وفى هذه المحاورة الأخيرة ذكر كريتياس انه سمع من جده الأكبر حكاية رواها هذا الجد نقلاً عن الخطيب والمشرع الاغريقى الشهير « صولون » الذى زار مصر عام ٥٩٠ ق م . . ويقول صولون فى هذه الحكاية إن الكهنة المصريين حكوا له قصة حدثت منذ تسعة آلاف سنة سابقة على تاريخهم فى قارة كان اسمها «أطلانتس » وان هذه القارة قد زالت من الوجود وغرقت فى البحر نتيجة لزلازل عنيفة حدثت فى ليلة واحدة .

* وفى ضوء النظرة الفلسفية إلى حلم الانسانية الأكبر فى الاشتياق إلى وجود عالم مثالى ملىء بالخيرات ، يعيش فيه الإنسان آمناً مطمئناً ، فقد امتلأت حكاية أطلانتس بالأحلام الوردية التى تصفها بأنها كانت جنة فوق الأرض ، فيها كل الفواكه والثمار دانية القطوف ، والورود والأزهار ذات الروائح الزكية ، والحيوانات المستأنسة ، والمراعى والمروج ذات الينابيع والمياه العذبة الصافية والتى توفر الحمامات لكل إنسان وكل حيوان ، وكانت أرضها غنية بالمعادن الثمينة التى جعلت سكانها أغنى شعوب الأرض ، وانتشرت بينهم حضارة راقية قامت على علوم الهندسة والعمارة والفلك ، إلى أن حلت بهم تلك الكارثة الكونية التى أزالت وجودهم من على وجه الأرض .

* ومنذ أن وردت هذه القصة « الخيالية » فى محاورات افلاطون ، ظلت حكاية قارة أطلانتس عالقة بالأذهان ، وترويها الأجيال جيلاً بعد جيل كما تروى الأساطير ، إلى أن حاول بعض الفلاسفة والعلماء الأمريكيين والانجليز والإيطاليين واليونانيين إثبات أن هذه القارة الخيالية كانت موجودة فعلاً على أرض الواقع . . وافترضوا وجودها فى

عدة أماكن منها : شمال أفريقيا وجنوب أفريقيا ووسط أمريكا واستراليا وفرنسا وبحر الشمال وسردينيا وفلسطين ولبنان ومالطة والصحراء الكبرى وشرق روسيا والبلطيق وسيبيريا وجرينلاند والعراق وإيران والبرازيل والمحيط الهادى والمحيط الهندى ، بالإضافة إلى القول بأنها كانت موجودة فى وسط المحيط الاطلنطى الذى سمى بإسمها .

* هذا التناقض الواضح والتضارب فى هذه الاحتمالات والافتراضات يدل بشكل قاطع على أن جميع أقوال وبحوث هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين يؤيدون إمكانية وجود هذه القارة فى مكان ما ، هى فى حقيقة الأمر عبارة عن افتراضات عشوائية واهية لا يقوم أى افتراض منها على أساس علمى سليم وملموس .

* ومن أشهر من ادعى وجود قارة أطلانتس وجوداً فعلياً الفيلسوف الانجليزى «فرانسيس بيكون » الذى قال إنها القارة الأمريكية ، والفيلسوف السويدى « أولوف روبيك » االذى قال بأنها السويد ، وعالم الفلك الفرنسى « جين بيلى » الذى ادعى وجودها فى المنطقة القطبية الشمالية ، والعالم الانجليزى « فرانسيس ويلفورد » الذى ادعى بأن الجزر البريطانية هى البقايا الباقية من قارة أطلانتس .

* وفى عام ١٨٨٢ ظهر كتاب بعنوان « أطلانتس وعالم ما قبل الطوفان » للكاتب الأمريكى « إجنا تيوس دونيللى » حاول فيه إثبات أن تلك القارة كانت موجودة فى وسط المحيط الأطلنطى ، وخرجت منها هجرات متتالية عمرت شواطىء خليج المكسيك ونهر المسيسيبى وسواحل أمريكا الجنوبية وغرب أوربا وبحر البلطيق والبحر الأسود والبحر المتوسط . . وادعى ان أقدم مستعمرة أقامها أهل أطلانتس كانت فى مصر حيث تعتبر حضارتها القديمة صورة طبق الأصل من حضارة أطلانتس . . وهى المقولة التى يستند إليها أدعياء العلم والمضللون اليهود والمهائون لهم فى الزعم بأن أهل أطلانتس الذين وفدوا إلى مصر هم الذين قاموا ببناء الهرم !

* وقد تعرض هذا الكتاب لا نتقاد شديد من جانب عديد من العلماء الجادين المنصفين منذ صدوره فى أواخر القرن ١٩ وطوال القرن العشرين ، حيث أثبتوا هشاشة الاحتمالات والافتراضات التى افترضها دونيللى ، وتناقضها وبعدها التام عن الثوابت المتعارف عليها فى علمى التاريخ والآثار .

* كان هذا مجملاً لكل الأقاويل التى ذكرت عن قارة خيالية استند اليها بعض الكذابين والمخرفين والمضللين ذوى النوايا السيئة ، وادعوا أن أهل هذه القارة هم الذين بنوا الهرم ، ومازالوا يشككون فى حضارتنا القديمة العظيمة ، ويستكثرون علينا الحقيقة الواضحة والثابتة فى اننا نحن الذين صنعنا هذه الحضارة ، فيضعون خططهم الملتوية ويطلقون أكاذيبهم الملفقة لسرقة هذه الحضارة المجيدة ونسبتها إلى غيرنا .



الهرم : وحكاية قوم عاد

قد يكون لليهود عذرهم فى الادعاء بأنهم هم الذين بنوا الهرم ، فلا ضير عندهم إذا أطلقوا أكذوبة أو نسجوا أسطورة أو أضافوا ضلالة ، فتاريخهم كله قائم على الأكاذيب والأساطير والأضاليل التى يلفقونها ادعاء بأن لهم دوراً فى صنع الحضارة الانسانية فى العصور القديمة .

* ولما كان من السهل الرد على مثل هذه الادعاءات التى زيفها حاخامات اليهود القدامى لمحاولة سرقة أهم رمز للحضارة المصرية ، فقد وضعوا نصب أعينهم مواصلة السبل التى تشوه وجه هذه الحضارة أو تقلل من شأنها أو تنسبها إلى أقوام أخرى من غير المصريين . . فقد ثبت أن اليهود هم الذين وراء الادعاء بأن قوماً من الكواكب الأخرى هبطوا من السماء وبنوا الهرم . . وهم أيضا الذين كانوا وراء الادعاء بأن قوماً من قارة أطلانتس هم الذين بنوا الهرم ووضعوا أسس الحضارة المصرية .

* وإذا كان لليهود عذر فى نشر كل هذه الخرافات والأكاذيب ضد الحضارة المصرية ، فلأنهم فى قرارة أنفسهم يكرهون مصر القديمة والشعب المصرى القديم ، بل وكل ما هو مصرى قديماً كان أو حديثاً . ولكن من المؤسف كل الأسف أن يخرج من بين صفوف المصريين المحدثين بعض الكتاب الذين يلوثون أعمدتهم الصحفية بمثل هذه الأقاويل التى يرددها اليهود والمهالئون لهم من العلماء المأجورين أو من أدعياء العلم الراغبين فى الشهرة ، بما يكتبونه من مقالات أو دراسات أو بما يصدرونه من الكتب المؤلفة خصيصاً للتشكيك فى أصول الحضارة المصرية ، أو ربما بمحاولة هدم هذه الحضارة من أساسها ، أو باتهام المصريين القدماء بالكفر والزندقة وتعدد الآلهة وعبادة الحيوانات .

* ولقد فجعت ذات يوم حين قرأت إعلانا فى إحدى الصحف عن صدور كتاب اختار له مؤلفه عنواناً مثيراً هو « الفراعنة لصوص حضارة » وهو عنوان كما هو واضح يخلو من اللياقة ويتجاوز حدود الأدب العلمى . . وبطبيعة الحال فقد اشتريت هذا الكتاب وازدادت فجيعتى بما قرأته فيه من دلائل على قدرة فائقة لمؤلفه على ابتداع واختلاق خرافات جديدة لم يسبقه إليها أحد من غلاة الكارهين للحضارة المصرية القديمة . . فقد انبرى المؤلف لتلفيق الاتهامات الجزافية للفراعنة أجمعين باعتبارهم كفرة زنادقة ملحدين مارقين ، وذلك استناداً إلى ما ورد فى المعاجم العربية من تفسير لكلمة « تفرعن » بمعنى طغى وتجبر وتكبر ، وتفسير كلمة « فرعون » بمعنى كل من طغى وتجبر .

* وإذا كانت هذه المعانى مستندة إلى الصفات التى وردت بالكتب السماوية عن «فرعون موسى » على وجه الخصوص والتحديد ، واذا كان القرآن الكريم قد لعن شخص فرعون ، فهى لعنة تنصرف إلى فرعون موسى وحده ، ولا تنصرف على بقية الفراعنة الآخرين ، كما لا تنصرف إلى لقب « فرعون » نفسه . ﴿ومن المعروف الآن أن كلمة فرعون كلمة مركبة منحوتة من كلمتين من اللغة المصرية القديمة هما : كلمة « بر» ومعناها البيت أو القصر . . وكلمة « عو » ومعناها الكبير أو العظيم . . وقد أطلقت هذه الكلمة فى البداية على « القصر الملكى » أو « البيت الأعظم » ثم أصبحت بعد ذلك علماً على كل ملك كان يتبوأ عرش مصر فى التاريخ القديم﴾ .

* وقد استفزنى فى هذا الكتاب الغريب ادعاء مؤلفه بأن الهرم بناه « قوم عاد » الذين يدعى أنهم عاشوا فى مصر منذ عشرات الآلاف من السنين . . وهو ادعاء خرافى جديد لم يسبقه إليه أحد . . فمن المعروف فى كتب التفسير المتوارثة أن قوم عاد هم نسل عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . . وان هؤلاء القوم كانوا يسكنون فى أرض الأحقاف التى تقع حالياً فى الربع الخالى من شبه الجزيرة العربية ، وأن الله سبحانه وتعالى أرسل إليهم النبى هود عليه السلام ليهديهم إلى سواء السبيل ، فعصوه فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية .

* وقد استند المؤلف إلى بعض ما ذكره المفسرون والمؤرخون العرب القدماء من أن قوم عاد كانوا جميعاً من العمالقة الذين يصل طول الواحد منهم ما بين ١٥ مترا و ٤٩ متراً ويتمتع بقوة ألف رجل . . ولذلك فقد تخيل المؤلف أن مثل هؤلاء القوم وحدهم القادرون على بناء الهرم بمثل هذه الضخامة الهائلة .

أرأيتم كيف يلعب الخيال بعقول البشر ويطيح بها إلى مثل هذا المستوى من القدرة على التلفيق وتزييف الحقائق ؟ !



الهرم : وأصحاب الهلاوس والوساوس

من أصعب الأمور على النفس وأكثرها إثارة للاستياء أن يضطر الانسان إلى قراءة ما يكتبه أفراد لا علاقة لهم بعلم « الإيجيبتولوجى / المصريات » أو علم «الآركيولوجى / الآثار » ومع ذلك فهم يتمتعون بقدرة فائقة على نسج ما يدور فى خيالاتهم من هلاوس ووساوس وأفكار سطحية وأوهام لا تقوم على أى أساس ، فيدبجون البحوث ويصطنعون الدراسات ويلفقون المقالات ، بل ويؤلفون الكتب التى يملأونها بالخزعبلات التى يعارضون بها الحقائق التاريخية والأثرية الثابتة التى لا يمارى فيها أحد، ويطلعون على الناس بأفكار غريبة لتدحض هذه الحقائق والادعاء بما يخالفها ، وذلك على ظن منهم أنهم يحققون لأنفسهم شهرة زائفة يحصلون عليها بطريقة « خالف تعرف » .

* فى عام ١٩٩٣ صدر كتاب صغير بعنوان مثير هو « أهرام مصر . . قلاع لا قبور» . ومن المدهش أن يصدر هذا الكتاب عن دار نشر كبرى من المفروض أن يكون لدى المسئولين فيها حس ثقافى يفرقون به ما بين الكتب الصالحة للنشر والكتب التى تعاد لمؤلفيها أو تلقى فى سلال المهملات لعدم صلاحيتها للنشر على جماهير القراء . وكان الأولى بدار النشر هذه أن تعرض أصول هذا الكتاب - قبل الإقدام على طبعه ونشره - على أحد المتخصصين فى التاريخ المصرى والآثار المصرية القديمة - وما أكثرهم - لكى يفحص هذه الأصول وما ورد فيها من معلومات تتعلق بالأهرام المصرية، حتى لا يترك أمرها هكذا لعبث غير المتخصصين ، وحتى لا تصبح البحوث والدراسات المتعلقة بالآثار المصرية مجالاً للهلوسة والوسوسة القهرية التى تصيب بعض الراغبين فى الشهرة الذين يعرضون عاهاتهم العقلية كما لو كانت أفكاراً عبقرية لم يقل بها أحد قبلهم ولا بعدهم .

* ومؤلف هذا الكتاب - رحمه الله - مهندس ، ولا نعلم فى أى فرع من فروع الهندسة كان تخصصه ، ويبدو انه كانت لديه بعض الأفكار السطحية والمشوشة عن بعض المعلومات المعروفة والشائعة فى التاريخ المصرى القديم ، ورأى أن هذه المعلومات تعطية الحق فى الافتاء وابتداع النظريات الوهمية التى يدحض بها كل الحقائق الثابتة والمعروفة عالمياً عن تاريخنا المجيد .

* ومن الغريب أن يقول المؤلف فى الصفحات الأولى من كتابه بالنص : « لا أزعم أننى واحد من علماء التاريخ ولا من المتخصصين فى الآثار . . بل ولا حتى كاتباً مشتغلاً بالكتابة ! » . . إذن فما هو الدافع لنشر هذا الكتاب الذى يتضمن مجموعة من الهلاوس والوساوس أكثر مما يتضمنه من حقائق ؟ !

* الحقيقة الغريبة أن الأخ الأكبر للمؤلف عثر على مجموعة من الأوراق المبعثرة ضمن ما تركه المؤلف قبل انتقاله إلى رحمة الله . . فقام هذا الأخ الأكبر بتجميع تلك الأوراق ورتبها وأصر على نشرها وفاء لذكرى أخيه المرحوم . . وكانت نتيجة مسعاه هى صدور هذا الكتاب الذى ينفى فكرة ان الأهرام المصرية كانت مدافن لملوك مصر العظام من بناه الأهرام فى عصرى الدولتين القديمة والوسطى ، ويدعى أن الأهرام كلها كانت عبارة عن قلاع وحصون ومنشآت عسكرية !

* وينقسم الكتاب إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول منهما بعنوان « نقد نظرية التاريخ المصرى القديم » ويتضمن كل ما تفتق عنه ذهن المؤلف من هلاوس ووساوس يسخر بها من جميع علماء التاريخ وعلماء الآثار الأجانب والمصريين وما قالوا به فى علمى التاريخ والآثار خصوصاً فيما يتعلق بموضوع الأهرام المصرية . ويعتقد المؤلف أن جميع هؤلاء العلماء عالجوا التاريخ المصرى القديم بقدر كبير من الاستخفاف لأنهم قالوا بأن الأهرام كانت قبوراً لمن بنوها من الملوك ، ولم يتنبهوا إلى ما ورد فى ذهنه من أن الأهرام بنيت فى الأصل لتكون قلاعاً وحصوناً عسكرية . ولذلك فقد سخر بهم المؤلف سخرية تصل إلى حد السماجة والاستهتار بعقلية القراء .

* أما القسم الثانى وعنوانه « ملحمة بناء الأهرام » فيتضمن مجموعة من الهلاوس

والوساوس التى تأخذ شكل عناوين مبتسرة لموضوعات لم يتمكن المؤلف من شرحها وتفصيلها بعد أن عاجلته المنية . ومع ذلك تدل هذه العناوين على أبعاد النظرية التى قال بها المؤلف ومفادها أن الأهرام لم تكن قبوراً وإنما كانت منشآت عسكرية يستخدمها الجنود كنقاط مراقبة لتحركات الأعداء وكمنصات لإطلاق السهام على هؤلاء الأعداء ، كما أن هذه الأهرام كانت لها أيضا استخدامات مدنية ثانوية كمراصد فلكية لدراسة مواقع النجوم فى السماء ، وكمنارات أو فنارات تهدى المبحرين فى النيل والمسافرين فى الصحراء إلى الجهات الجغرافية التى يتجهون إليها حيث كانت الأهرام تشاهد من على بعد عشرات بل مئات الكيلو مترات ! !



فكرة المصطبة سابقة على فكرة الهرم

منذ عصور ما قبل التاريخ أدرك قدماء قدماء المصريين أن الموت ليس فناءً ، بل هو انتقال من حياة موقوتة إلى حياة أبدية خالدة . ولذلك فقد كانوا يدفنون موتاهم واضعين فى الاعتبار أن هؤلاء الموتى سيحتاجون إلى بعض الأشياء التى تساعدهم فى الحياة الآخرى مثل بعض الممتلكات الصغيرة التى كان يمتلكها الميت فى حياته الأولى كالعقود والأساور وأدوات الصيد وأوانى الطعام والشراب .

* وقد تم العثور على دفنات كثيرة ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ ، تبين منها ان الدفن كان يتم فى حفرة مستطيلة أو بيضاوية الشكل ، كانت تحفر فى أرض رملية جافة . . وكانت جثة الميت ترقد على جانبها فى هيئة مقرفصة ، وتكفن بلفائف مصنوعة من الحصير . كما كانت جوانب أغلب هذه المقابر تبطن بألواح من الخشب تربط ببعضها بسيور من الجلد فتصبح المقبرة كما لو كانت تابوتاً . ولم تكن هناك أية مبان أو منشآت علوية فوق مثل هذه المقابر لتحديد مكانها ، إلا أن بعضها كانت تكوم فوقه كمية مناسبة من الرمال الجافة . . وبطبيعة الحال فقد كانت هذه الرمال عرضة للتطاير بحكم عوامل الطبيعة فتتعرى الجثث المدفونة وتنكشف المقبرة بمحتوياتها . . وبالتالى فقد أصبح من اللازم ضرورة التفكير فى طريقة لحماية المقبرة ومحتوياتها من تأثير عوامل الطبيعة .

* وكان الحل المنطقى لتلك المشكلة هو إقامة شكل ما من المبانى أو المنشآت العلوية فوق الحفرة التى تدفن فيها الجثة وما يصاحبها من الأشياء المدفونة معها .

* ومنذ بداية عصر الأسرة الأولى ﴿ عام ٣٢٠٠ ق م ﴾ حرص القادرون ممن لديهم السلطة والمال على إقامة هذه المبانى أو المنشآت العلوية فوق حجرات دفن موتاهم .

وهكذا ظهر هذا الشكل الجديد من المقابر الذى أطلق عليه علماء الآثار من الأجانب والمصريين اسم « المصطبة » لأنه كان يشبه فى مظهره الخارجى شكل المصاطب التى يبنيها الفلاحون المصريون المحدثون خارج بيوتهم .

* ومنذ البداية فقد كانت القدرةعلى بناء مصاطب الدفن قاصرة على ملوك العصر العتيق [أى ملوك الأسرتين الأولى والثانية] وعلى طبقة الأمراء والنبلاء وكبار رجال الدولة . أما باقى طبقات الشعب فقد استمروا فى دفن موتاهم طبقا للنظام التقليدى القديم ، أى الدفن فى حفرات دون منشآت علوية .

* ولحسن الحظ فقد عثر عالم الآثار « و . ب . إمرى » فى منطقة سقارة على بقايا المصطبة التى دفن فيها الملك « عاحا » ثانى ملوك الأسرة الأولى . . وتعطينا هذه المصطبة فكرة عامة عن هذا الشكل الجديد المبتكر لبناء مقابر ملوك ونبلاء عصر الأسرتين الأولى والثانية . . فقد كانت المنشآت العلوية لهذه المصاطب البدائية تبنى على شكل البيوت والمنازل التى كانت تبنى من الطوب اللبن . . وفى مصطبة الملك « عاحا» لوحظ أن هذه المنشآت العلوية التى أقيمت فوق حفرة الدفن تتكون من ٢٧ حجرة كانت مستعملة كمخازن للأوانى وصحاف الطعام وأدوات الصيد والأشياء الأخرى التى كان يحتاجها الملك فى حياته فى عالم الموتى .

* وفى بداية عصر الأسرة الثالثة بدأ الملوك فى تشييد الأهرام ، واقتصر بناء المصاطب على طبقة الوزراء والنبلاء وكبار رجال الدولة . . وتطور بناء هذه المصاطب إلى حد كبير، حيث أصبحت حجرة الدفن تشيد فى نهاية بئر عميق تحت سطح الأرض ، وأصبحت جدرانها مكسوة بالحجر ، ثم يطمس هذا البئر بعد أجراء عملية الدفن . . أما المنشآت العلوية للمصطبة فقد ازداد عدد حجراتها حتى بلغت نحو ٣٢ حجرة فى بعض المصاطب الكبرى . وكانت هذه الحجرات تستخدم كمزار لأهل الميت ومن يقيمون له الشعائر الدينية الجنائزية ، كما تستخدم أيضا كمخازن للأشياء والأدوات التى يحتاجها الميت فى حياته الأخرى .

* كذلك فقد تطور بناء هذه الحجرات باستعمال الأحجار بدلاً من الطوب اللبن ،

وأصبحت جدرانها منقوشة برسوم ملونة تصور مجموعة من مناظر الحياة الأولى للمتوفى، كمناظر إشرافه على أعماله الزراعية كحرث الأرض وحصاد المحاصيل وعصر الكروم ورعاية الحيوانات الحقلية وإعداد الطعام والشراب . . ومناظر أخرى تصور إشرافه على الأعمال الصناعية وأعمال الحرفيين التابعين له . . بالاضافة إلى بعض المناظر الدينية كشعائر الصلوات وتقديم القرابين ، ومناظر دنيوية تصور بعض جوانب الحياة العائلية التى كان يعيشها المتوفى مع زوجته وأولاده كمناظر الولائم والألعاب والرقص والموسيقى ورحلات صيد الأسماك والطيور فى أحراش النيل وصيد الحيوانات فى الصحراء . وقد بلغت المساحة التى تغطيها مثل هذه الرسوم أكثر من ١٠٠٠ متر مربع فى بعض المصاطب . ومن الغريب أن بعض أصحاب المصاطب كانوا يكتبون على أحد جدران الواجهة الخارجية للمصطبة جملة يطلبون فيها من المارة قراءة بعض الأدعية الخاصة بطلب الرحمة للمتوفى ، تماماً مثلما يفعل الكثيرون من المصريين المحدثين حين يطلبون قراءة الفاتحة على أرواح موتاهم .



من المصطبة إلى الهرم المدرج

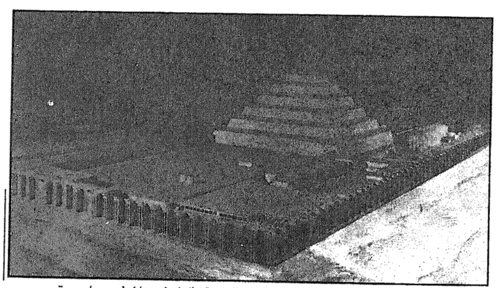
استمر ملوك الأسرتين الأولى والثانية فى بناء المصاطب من الطوب اللبن لدفن موتاهم حتى بداية عصر « الدولة القديمة » فى حوالى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد . . وقد بدأ هذا العصر بتولى « الملك زوسر » أول ملوك الأسرة الثالثة عرش مصر ، وبدأ بذلك عصر جديد فى تاريخ الحضارة المصرية يطلق عليه علماء التاريخ والآثار اسم «عصر بناة الأهرام » حيث كان الملك زوسر هو أول ملك من ملوك مصر القديمة بنى لنفسه هرماً .

* ومن ناحية تاريخ العمارة المصرية يمكن القول بأن تطور بناء مقابر الملوك من شكل المصطبة إلى الشكل الهرمى قد استغرق عدة قرون ، إلى أن حسم الأمر على يد المهندس العبقرى « إيمحوتب » الذى وضع التصميم الهندسى والمعمارى للهرم المدرج بسقارة ، وهو تصميم يعتبر تطويراً هندسياً لفكرة المصطبة التى كانت لم تزل ماثلة فى عصره كشكل لبناء مقابر الملوك ، بل إن الملك زوسر نفسه قد شيد فى أول الأمر مصطبة لدفنه فى منطقة « بيت خلاف » بالقرب من « أبيدوس / العرابة المدفونة بمحافظة سوهاج بصعيد مصر » قبل بناء الهرم المدرج بسقارة .

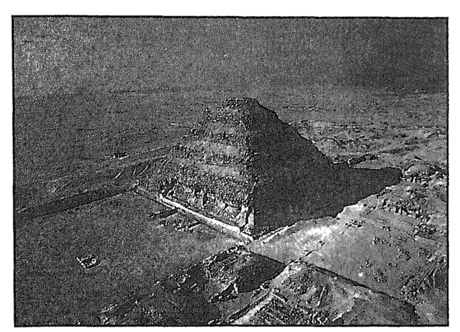
* كذلك فإن الهرم المدرج نفسه حين بدأ العبقرى إيمحوتب فى وضع تصميمه الهندسى الأول وبدأ فى تنفيذ بناء هذا التصميم ، قام فى بداية الأمر ببناء مصطبة ضخمة كبيرة الحجم من الحجر ، ثم أجرى بعد ذلك عدة تعديلات على تصميم هذه المصطبة ، وبنى فوقها خمس مصاطب أخرى كانت كل منها تقل حجماً وأبعاداً هندسية عن المصطبة التى تحتها . وبذلك أصبح الشكل النهائى للبناء هو الشكل الذى نطلق عليه الآن اسم « الهرم المدرج » .



أبو الطب والهندسة الوزير « إيمحوتب » الذى وضع تصميم هرم زوسر المدرج بسقارة ومجموعته الهرمية .. والذى ألهه المصريون فى العصور المتأخرة .



نموذج ماكيت للهرم المدرج بسقارة ومجموعته الهرمية مثلما وضعه المهندس « إيمحوتب »



منظر من الجو للهرم المدرج بسقارة .. بناه الملك زوسر أول ملوك الأسرة الثالثة ووضع تصميمه الهندسى عبقرى الهندسة والطب الوزير إيمحوتب .. ويعتبر هذا الهرم أول بناء حجرى ضخم فى تاريخ العالم



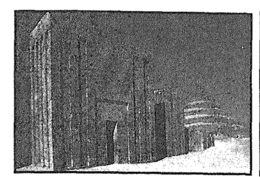
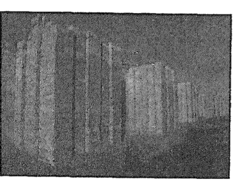
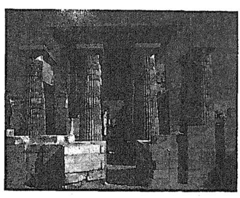
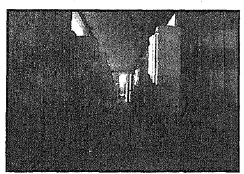
تمثال الملك زوسر ، عثر عليه عام ١٩٢٤ بالسرداب المجاور للهرم المدرج بسقارة .. ويعتبر هذا التمثال أول تمثال بالحجم الطبيعى فى تاريخ فن النحت بمصر القديمة

* وكان الارتفاع الأصلى لهذه المصاطب الست التى يتكون منها الهرم المدرج ٦٠ متراً وأصبح الآن ٥٨ متراً و ٧٠ سنتيمتراً . . كما أن قاعدته على شكل مستطيل طوله ١٧٣ متراً من الشرق إلى الغرب وعرضه ١٠٧ متراً من الشمال إلى الجنوب . وعلى عمق نحو ٢٨ متراً تحت سطح الأرض حفرت فى قلب الصخر وتحت المصطبة الأولى للهرم ممرات ودهاليز تؤدى إلى حجرة دفن الملك ومجموعة أخرى من الحجرات التى كدست فيها مجموعة كبيرة جداً من الأوانى الحجرية المصنوعة من المرمر والجرانيت والديوريت والشست والاردواز وأنواع أخرى من الأحجار الجميلة يصل عددها إلى أكثر من ٣٠ ألف آنية .

* كذلك فقد حفرت على عمق ٣٢ متراً تحت سطح الأرض مجموعة أخرى من الممرات والدهاليز تؤدى إلى الحجرات التى خصصت لدفن زوجات الملك وأبنائه وبناته .

* وفى خلال العصور القديمة تعرض الهرم المدرج للاقتحام بقصد السرقة وسلب ونهب محتوياته ، مثله فى ذلك مثل بقية الأهرام المصرية الأخرى ، ثم ظلت المنشآت الداخلية للهرم المدرج مجهولة إلى أن اكتشفها القنصل الألمانى « فون مينوتولى » - وكان هاوياً للآثار المصرية - فى عام ١٨٢١ م ، وكان بذلك أول شخص فى العصر الحديث يشاهد الحجرات الداخلية للهرم المدرج التى كسيت جدرانها بالقرميد / الفيانس الأزرق . . وفى عام ١٨٤٠م نشر عالم الآثار الانجليزى « بيرنج » أول تقرير علمى مفصل عن الدهاليز والحجرات المكسوة بالفيانس ووصف النقوش المرسومة عليها . . وفى عام١٨٤٥ وبعد فحص طريقة بناء الهرم المدرج هندسياً ومعمارياً ، أعلن عالم الآثار الألمانى « لبسيوس » أن الهرم بنى فى الأصل كمصطبة ضخمة ثم أضيفت فوقها المصاطب الخمس الأخرى . . وفى عام ١٩٢٤م عثر عالم الآثار « فيرث » على دهاليز جديدة تكدست فيها المزيد من الأوانى الحجرية .

* وبدءاً من عام ١٩٣٦ تفرغ عالم الآثار الفرنسى « لوير » لاستكشاف وترميم الهرم المدرج وعناصر « مجموعته الهرمية » من أسوار ومنشآت معمارية وساحات . وهذه

مناظر مختلفة للمجموعة الهرمية الملحقة بهرم زوسر المدرج بسقارة من الخارج والداخل والتى كانت محاطة بسور يبلغ ارتفاعه نحو ١٠ أمتار



نماذج من الاف الأوانى الحجرية التى عثر عليها بداخل هرم زوسر المدرج بسقارة

المجموعة الهرمية فريدة فى نوعها وتصميماتها ولا يوجد مثيل لها فى الآثار المصرية . . ويحيط بالمجموعة سور بديع الصنع من الحجر الجيرى الأبيض يبلغ ارتفاعه ١٠,٤٠ أمتار ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٥٤٥ مترا وعرضه من الشرق إلى الغرب ٢٧٧ متراً .

* وهكذا احتل الهرم المدرج بسقارة المكانة الأولى بين الأهرام المصرية كلها باعتباره أول هرم كبير الحجم مشيد كله بالأحجار ، وأقدم مقبره ملكية بنيت على شكل هرم مدرج . وتدل الشواهد الأثرية على أنه كان محل إعجاب المصريين القدماء فى كافة عصورهم التاريخية التالية على عصر الأسرة الثالثة . . ومازال حتى الآن يثير إعجاب المصريين المحدثين والزائرين من كافة أنحاء العالم باعتباره أول بناء حجرى ضخم فى تاريخ الانسان .



أهرام الأسرة الثالثة

الملك زوسر هو مؤسس الأسرة الثالثة وأعظم ملوكها وأشهرهم ، وخلف لنا هرمه المدرج بسقارة ليكون شاهداً على عظمة قدره وسمو مقامه بين ملوك هذه الأسرة الذين خلفوه فى الجلوس على عرش مصر . . وقد قام معظم ملوك هذه الأسرة ببناء أهرام ليدفنوا فيها بعد مماتهم ، ولكن أحداً من هؤلاء الملوك لم يستطع أن يبنى هرماً مماثلا لهرم زوسر من حيث الضخامة والدقة الهندسية ، بل كانت الأهرام التى بنوها صغيرة الحجم ضعيفة البناء فتعرضت للزوال واختفت بقاياها تحت أكوام الرمال .

* وتفاجئنا الصحف بين حين وآخر بأنباء عن عثور بعض علماء الآثار على هرم أو على بقايا هرم . . وهذا فى حد ذاته أمر غريب ، فكيف يختفى هرم عن أعين الناس ؟ ! . . ولكن الحقيقة تتمثل فى أن ما عثر العلماء عليه ليس إلا بقايا أهرام صغيرة تساقطت أحجارها على مدى الزمان ، أو استولى الناس على أحجارها العلوية لبناء مساكنهم ، ولم يبق من تلك الأهرام سوى قواعدها التى غطتها الرمال على مدى مئات أو آلاف السنين .

* ويؤكد معظم علماء الآثار على أن معظم الأهرام التى بناها ملوك الأسرة الثالثة الذين خلفوا زوسر على عرش مصر كانت أهراماً مدرجة ، ولكنها لم تستطع أن تحاكى هرم زوسر ولا مجموعته الهرمية ، كما أن بعضها لم يكتمل بناؤها أثناء حياة الملك الذى أمر ببنائها فتوقف البناء بعد تشييد مصطبة أو مصطبتين أو ثلاث مصاطب .

* وفيما يبدو أن شهر مايو عام ١٩٥٤ كان من الشهور المباركة فى تاريخ الآثار المصرية ، فقد وقع فيه حادثان أثريان فى غاية الأهمية ، حيث اكتشف الأثرى المرحوم زكريا غنيم مدير منطقة آثار سقارة فى ذلك الوقت بقايا هرم الملك « سخم – خت »



الهرم المدرج الناقص الذى اكتشفه « زكريا غنيم » عام ١٩٥٤ .. وكان الهرم مدفوناً
بأكمله تحت الرمال

وهو أحد ملوك الأسرة الثالثة . . كما « ادعى » المرحوم كمال الملاخ انه اكتشف ما أطلق عليه خطأ اسم « مركب الشمس » بجوار الواجهة الجنوبية لهرم خوفو بالجيزة ، وهو ادعاء يتجاوز الحقيقة الثابتة ، لأن اكتشاف موقع الحفرة التى دفن فيها هذا المركب قد تم مصادفة بواسطة العمال الذين كانوا يقومون بتنظيف الموقع المواجه لجنوب الهرم الأكبر من ركام الرمال والرديم . . كما أن هذا المركب يعتبر - من ناحية علم الآثار - من المراكب العادية التى كان يستعملها الملك خوفو فى تنقلاته ورحلاته النيلية ولا يمت بأدنى صلة إلى المراكب الرمزية التى كانت تسمى « مراكب الشمس » . وسوف نخصص دراسة لهذه الواقعة الأثرية فيما بعد .

* أما بالنسبة لاكتشاف بقايا هرم الملك « سخم - خت » فهو اكتشاف أثرى حقيقى تم بناء على حفائر أثرية نفذت طبقا لقواعد علم الآثار « الآركيولوجى » على مدى نحو ثلاث سنوات اكتشفت خلالها بعض بقايا عناصر المجموعة الهرمية لهذا الهرم إلى أن تم اكتشاف المصطبة السفلى أو الأولى وبقايا جزء من المصطبة الثانية لهذا الهرم .

* وقد عثر المكتشف بغرفة الدفن بداخل الهرم على تابوت من المرمر ولكنه كان للأسف خالياً من مومياء الملك . . كما عثر على صندوق خشبى يحتوى على بعض الأساور وقطع الحلى والمصوغات المصنوعة من الذهب .

* وفى المنطقة الأثرية المعروفة باسم « زاوية العريان » التى تقع بين منطقة أهرام الجيزة ومنطقة أهرام أبو صير ، توجد بقايا هرمين أطلق على الهرم الأول منهما اسم «الهرم ذو الطبقات » وأطلق على الهرم الثانى اسم « الهرم الناقص » . ويرجح معظم علماء الآثار أن هذين الهرمين يرجع تاريخهما إلى عصر ملوك الأسرة الثالثة .

* وبعيداً عن منطقة منف ومحافظة الجيزة التى بنيت فيها معظم أهرام ملوك الأسرة الثالثة ، قام بعض ملوك هذه الأسرة ببناء أهرامهم فى مناطق نائية . . مثل هرم « سيلا» بمحافظة الفيوم . . وهرم « زاوية الأموات » بمحافظة المنيا . . وهرم «الكولة » بمحافظة أسوان . . أما الهرم الذى بناه « الملك حونى » آخر ملوك الأسرة الثالثة فهو الهرم المعروف باسم « هرم ميدوم » . . ونظراً لأهمية هذا الهرم الأخير نفرد له دراسة تفصيلية خاصة .

زيارة للهرم « الكذّاب » .. فى ميدوم

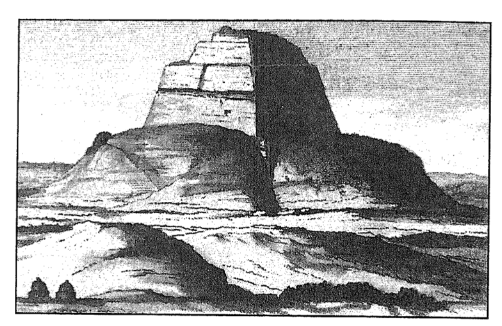
تقع منطقة « ميدوم » الأثرية على ربوة مرتفعة تفصل بين حافتى الصحراء والأرض الزراعية فى نطاق محافظة بنى سويف . وتشتهر هذه المنطقة بوجود عدة مصاطب وآثار كثيرة أهمها الهرم المعروف فى علم الآثار باسم « هرم ميدوم » .

* وبالنظر إلى الشكل الفريد الذى يأخذه هذا الهرم من بين جميع أشكال الأهرام المصرية ، فقد أطلق عليه الأهالى اسم « الهرم الكداب » لأنه لا يأخذ شكل الهرم المدرج ولا شكل الهرم الكامل ، ولأنه من بعيد يبدو كما لو كان برجاً شامخاً يعلو تلا من الرمال يفصل بين حافة الصحراء وحافة الأرض الزراعية .

* وما من هرم تضاربت حول اسم صاحبه الأقاويل وتفسيرات علماء الآثار مثل هذا الهرم . . فمنذ العصور القديمة قيل إن صاحبه هو « الملك سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة ، وقيل أيضا إن صاحبه هو « الملك حونى » آخر ملوك الأسرة الثالثة . والرأى الراجح الآن هو أن الملك « حونى » هو الذى بدأ بناءه على شكل هرم مدرج مكون من سبع درجات ، وبعد وفاته أكمل بناء الهرم ابنه الملك « سنفرو » وأعطاه شكل الهرم الكامل . . كما ان هناك رأياً آخر قال به بعض علماء الآثار الذين قاموا بدراسة هذا الهرم دراسة علمية وهو أن هذا الهرم لم يتم بناؤه لا فى عهد الملك حونى ولا فى عهد الملك سنفرو .

* وطبقا لهذه الدراسات الأثرية العلمية تقرر ان الارتفاع الأصلى لهذا الهرم كان ٩٣,٥ متراً . . كما أن قاعدته مربعة الشكل ويبلغ طول ضلعها ١٤٧ مترا . . أما زاوية ميله فهى ٥١ درجة و ٥٠ دقيقة و ٣٥ ثانية .

* وبطبيعة الحال فإن هذا الهرم قد تم اقتحامه والاستيلاء على محتوياته فى العصور



رسم لهرم ميدوم من أعمال الفنان « دومينيك فيفانت دينون » الذى كان ضمن الحملة الفرنسية على مصر والذى أصدر كتابه الشهير « رحلة إلى الوجه القبلى والوجه البحرى بمصر »

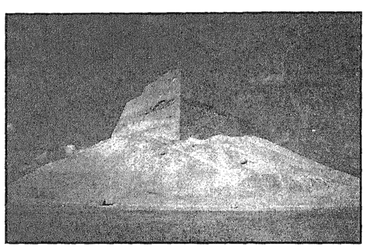
القديمة . . أما أول من دخله فى العصر الحديث فهو عالم الآثار « أوجست مارييت » عام ١٨٨١م ، وكتب عنه دراسة علمية مختصرة . . وفى الفترة ما بين عامى ١٨٨٨ و١٨٩١م قام عالم الآثار « سير فلندرز بترى » باستشكافاته الأثرية فى المنطقة المحيطة بهرم ميدوم ، فاكتشف « الطريق الصاعد » للهرم - والذى اختفت آثاره تماما- والذى كان يصل ما بين معبد الوادى على حافة الأرض الزراعية ، والمعبد الجنائزى الصغير الملاصق للهرم والذى لم تزل آثاره باقية حتى الآن . وبهذا الاكتشاف أصبح هرم ميدوم أول هرم تتكون « مجموعته الهرمية » من معبدين «الوادى والجنائزى » يربط بينهما طريق صاعد . . وهو النظام المعمارى الذى اتبع فيما بعد فى « المجموعة الهرمية » التى بناها ملوك الأسرة الرابعة .

* وفى عام ١٩١٠م عثر « بترى » فى شمال شرقى الهرم على بقايامصطبة كبيرة مبنية بالطوب اللبن وعثر فيها على تابوت يحتوى على مومياء مجهولة ولم يعثر فيها على أية كتابات تدل على صاحب تلك المصطبة والمومياء المدفونة فيها . .

* وعلى بعد نحو ٦٠٠ متر من شمال الهرم وجدت جبانه واسعة تتضمن عدة مصاطب يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الرابعة دفن فيها بعض الأمراء من أبناء الملك سنفرو مؤسس هذه الأسرة وأول ملوكها . . ومن أشهر هذه المصاطب التى اكتشفها عالم الآثار « مارييت » عام ١٨٧١م مصطبة الأمير « نفر ماعت » وعثر بداخلها على نقش جدارى ملون يصور مجموعة من الأوز تعتبر من أجمل وأروع النقوش الجدارية التى ارتقى إليها فن التصوير فى عصر الدولة القديمة .

* كذلك فقد تم اكتشاف مصطبة أخرى للأمير « رع حتب » - ومن الراجح انه أحد أبناء الملك سنفرو - عثر فيها على تمثالين من الحجر الجيرى الملون يمثلان الأمير وزوجته الجميلة الأميرة « نفرت » . ويعتبر هذان التمثالان من أجمل وأروع أعمال النحت التى يرجع تاريخها إلى عصر الدولة القديمة ، وهما معروضان حاليا فى المتحف المصرى . ومن أطرف ما قيل عن لحظة العثور على هذين التمثالين إن عمال الحفر الذين كانوا يقومون بعمليات الحفر والتنظيف داخل هذه المصطبة قد فروا هاربين فى ذعر

لاعتقادهم ان الأمير وزوجته مازالا حيين وعلى وشك القيام من مقعدبهما ، وذلك لشدة التماثل والتطابق بين ملامح التمثالين وملامح الأحياء .



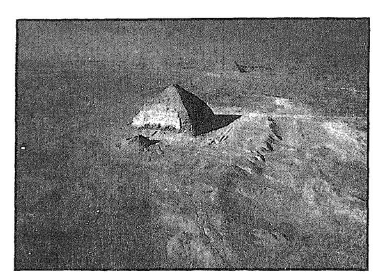
هرم ميدوم الذى كان معروفا باسم « الهرم الكداب » باعتباره حلقة الوصل بين شكل الهرم المدرج والهرم الكامل

زيارة لهرمي « سنفرو » .. بمنطقة دهشور

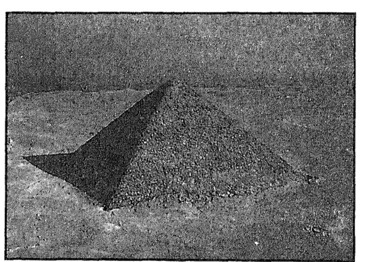
الملك سنفرو [٢٦٥٠ - ٢٦٠٠ ق م] هو مؤسس الأسرة الرابعة وأول ملوكها ، وهو والد الملك خوفو صاحب الهرم الأكبر . وقد تمتع سنفرو بسمعة طيبة وبمكانة وطنية ودينية عظيمة أثناء حياته وبعد مماته بمئات السنين . . وكان المصريون القدماء يصفونه بصفات تدل على هذه المكانة فهو : الملك المحسن . . والملك الرحيم . . والملك المحبوب . وقد ازدهرت أحوال البلاد فى عهده بسبب المبادلات التجارية مع الدول المجاورة وأهمها النوبة والبلاد السورية وأعمال التعدين فى سيناء . ومن المعروف انه أرسل اسطولاً بحريا تجارياً مكونا من ٤٠ سفينة ضخمة لاحضار أخشاب الأرز من لبنان .

* وتقع منطقة دهشور على بعد نحو ١٠ كيلو مترات جنوب سقارة . . وهى منطقة أثرية واسعة اكتشفت فيها جبانات يرجع تاريخها إلى عصرى الدولة القديمة والدولة الوسطى ، وبها خمسة أهرام ثلاثة منها من أهرام الدولة الوسطى التى بناها كل من أمنمحعت الثانى وسنوسرت الثالث وأمنمحعت الثالث [من ملوك الأسرة الثانية عشرة] وهرمان بناهما الملك سنفرو فى نفس المنطقة وهما « الهرم الأحمر » و « الهرم المنحنى » .

* وبالنظر إلى أهمية المواقع الأثرية بمنطقة دهشور فقد كانت محل اهتمام الأثريين المصريين والأجانب ، حيث بدأ البحث فيها عالم الآثار المرحوم المهندس عبد السلام حسين فى فترة الأربعينيات ثم تلاه عالم الآثار المرحوم الدكتور أحمد فخرى فى فترة الخمسينيات ، بالاضافة إلى ما قامت وتقوم به بعثة المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة ، وبعثة متحف المتروبوليتان بنيويورك ، وبعثة جامعة واسيدا باليابان . وسنخصص هذه الدراسة لزيارة هذين الهرمين وتوابعهما واحداً بعد الآخر . ونبدأ بزيارة الهرم الشمالى .



الهرم الجنوبى للملك سنفرو .. وهو المعروف باسم « الهرم المنحنى »
بمنطقة دهشور



الهرم الشمالى للملك سنفرو بمنطقة دهشور وهو المعروف باسم الهرم
الأحمر بسبب كسوته من الحجر الجيرى الذى يميل لونه إلى الإحمرار

* من الشائع تسمية هذا الهرم الآن باسم « الهرم الأحمر » بسبب لون الحجر الجيرى المستخدم فى بنائه . . أما اسمه القديم فهو « سنفرو المشرق » . . ويبلغ ارتفاعه الأصلى ١٠٤م ، وقاعدته مربعة يبلغ طول كل ضلع من أضلاعها ٢٢٠م أى أقل من طول أضلاع قاعدة هرم خوفو بنحو ١٠ م . . أما زاوية ميل هذا الهرم فهى ٤٣ درجة و ٢٢ دقيقة . ويقع مدخله فى الواجهة الشمالية على ارتفاع ٢٨ م من سطح الأض . ويؤدى هذا المدخل إلى ممر يبلغ طوله نحو ٦٠م يؤدى بدوره إلى دهليز ينتهى بثلاث حجرات . ومن الناحية الأثرية يمكن اعتبار هذا الهرم أول هرم يأخذ شكل الهرم الكامل بنى فى مصر . وعلى بعد نحو ٤٠٠م من شرق الهرم تقع جبانة واسعة بها العديد من المقابر التى يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الرابعة ، ويقوم بأعمال البحث والاستكشاف فيها المعهد الألمانى للآثار باشراف العالم « رايثر شتادلمان » .

* أما الهرم الجنوبى فهو يسمى حالياً باسم « الهرم المنحنى » أو الهرم المقوس أو المنبعج . . فى حين كان اسمه القديم « سنفرو المشرق فى الجنوب » . ويبلغ ارتفاعه الأصلى ١٠٥م وكان مخططاً له فى الأصل الارتفاع إلى ١٢٨,٥ م . وقاعدته مربعة يبلغ طول كل ضلع من أضلاعها ١٨٨,٦٠م . أما زاوية ميله الأصلية فهى ٥٤ درجة و٢٧ دقيقة و ٤٤ ثانية ، ثم انحنت هذه الزاوية لتصبح ٤٣ درجة و ٢٢ دقيقة .

* ويعتبر الهرم المنحنى أول هرم وضع تصميمه الهندسى على خلاف التصميم الهندسى للأهرام المدرجة . وهو بناء ضخم إذا كان قد قدر له استكمال بنائه بزاوية ميله الأصلية لكان قد أصبح أضخم هرم بنى فى مصر . . ولكن حدث فى أثناء بنائه وبعد أن وصل الارتفاع إلى نحو ثلثى الارتفاع المقرر طبقا للتصميم الهندسى الأصلى ، أن قرر المهندسون فجأة تقليل زاوية الميل الأصلية بنحو ١٠ درجات ، الأمر الذى أدى إلى تخفيض الارتفاع الأصلى الذى كان مقرراً له بنحو ٢٣,٥ م . ومع ذلك فإن الهرم المنحنى يعتبر رابع هرم مصرى من حيث الضخامة بعد هرم خوفو والهرم الأحمر وهرم خفرع .

* ويقول بعض علماء الآثار فى تبرير هذا التغيير فى زاوية الميل إن بنائى الهرم أرادوا

الانتهاء بسرعة بعد الموت الفجائى للملك سنفرو ، بينما يقول علماء آثار آخرون إن المهندسين القدماء قد اضطروا إلى تغيير زاوية الميل لاعتبارات هندسية بقصد تخفيف وزن الأحجار المستخدمة فى بناء بقية الهرم خوفاً من الضغط على أسقف الحجرات الداخلية للهرم ، وهو ضغط قد يؤدى إلى انهيار أسقف هذه الحجرات .

* ويقع مدخل الهرم المنحنى فى الواجهة الشمالية على ارتفاع ١١,٥م ويؤدى إلى ممر طويل يؤدى بدوره إلى ثلاث حجرات تقع على ارتفاعات مختلفة بداخل الهرم .

* وللأسف الشديد فقد استغل الأهالى آثار منطقة دهشور كمحاجر فى خلال العصور الوسطى والحديثة ، واستخدمت أحجارها فى بناء الأسوار والقصور وغيرها فى بعض البنايات المعروفة فى مصر .



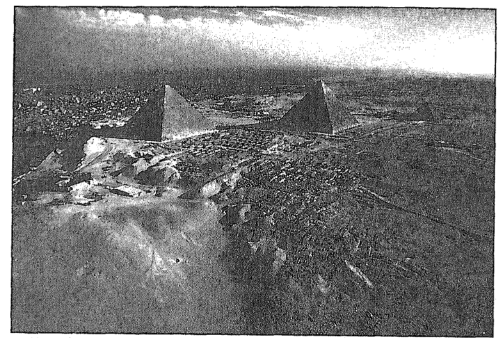
أهرام الجيزة .. وعجائب الدنيا السبع

إذا سئل أحد من الناس ، سواء فى مصر أو فى أى مكان آخر من العالم : كم هرماً تعرفه فى مصر ؟ . . ففى أغلب الأحوال سوف يجيب على الفور : هى أهرام ثلاثة تقع فى منطقة الجيزة . . وربما يضيف بعض العارفين هرماً رابعاً هو هرم زوسر المدرج بسقارة. وبطبيعة الحال فهذه إجابة قاصرة ، لأن عدد الأهرام المصرية يتجاوز ٩٠ هرماً أشهرها طبعاً هرم خوفو المعروف بالهرم الأكبر .

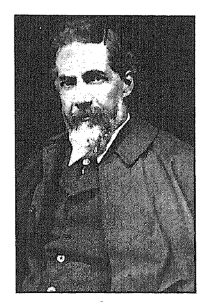
* وفى منطقة الجيزة توجد هذه الأهرام الثلاثة الشهيرة والتى بناها - حسب الترتيب التاريخى - الملك خوفو ، فالملك خفرع ،.فالملك منكاورع [وهذا هو النطق الصحيح لاسمه بدلأمن « منقرع » وهو النطق الشائع لاسم هذا الملك] . وفى نفس المنطقة أيضا مجموعة من الأهرام والهريمات الصغيرة ، ومجموعة من الجبانات والمدافن والمعابد والآثار الأخرى من توابع هذه الأهرام ، بالاضافة طبعا إلى أبى الهول .

* كانت أهرام الجيزة ومازالت على مدى ما يزيد على ٤٦ قرنا من الزمان مثار إعجاب كل من شاهدها مجسمة أمامه أو سمع عنها وعن تاريخها المجيد أو حتى شاهد صورها فى الصحف والمجلات أو فى المراجع العلمية . . فهى أعجوبة الدنيا الباقية التى تتحدى الزمن بعد أن زالت واندثرت أعاجيب الدنيا السبع التى ذكرها القدماء إشارة منهم إلى المعجزات التى أبدعها البشر .

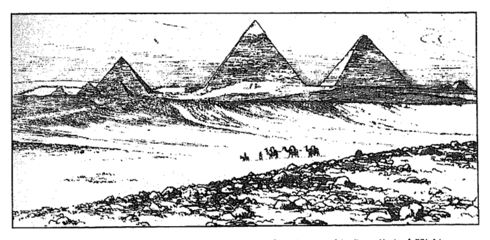
* وحكاية عجائب الدنيا السبع حكاية طريفة لا بأس من الاشارة إليها لأنها تحتوى على أعجوبتين من صنع المصريين . . فقد شاع التحدث عن تلك العجائب والاختلاف حول ترتيبها حسب أهميتها بين بعض الكتاب والفلاسفة اليونانيين فى القرن الثانى قبل الميلاد . . وظل ذكر هذه العجائب السبع باقياً على مدى عصور التاريخ



منظرمن الجولهضبة الجيزة تطل منها الأهرام الثلاثة .. وهى من اليسار إلى اليمين هرم خوفو وجبانته الغربية ثم هرم خفرع ثم هرم منكاورع



السير وليم ماتيو فلندرز بترى عالم الآثار المصرية .. كانت بحوثه ودراساته وقياساته للآثار ذات أهمية كبرى فى نشأة ورسوخ علم المصريات « الإيجيبتولوجى » وعلم الآثار « الآركيولوجى » .



رسم لمنطقة أهرام الجيزة منشور بكتاب « أهرام ومعابد الجيزة » الذى أصدره بترى عام ١٨٨٣ م .

منذ ذلك الحين وحتى الآن فى عصرنا الحديث ، ليذكّر الناس بما صنعه الانسان من معجزات وهو يساهم فى صنع الحضارة فى مختلف مناطق العالم القديم .

* وتشير العديد من المراجع إلى أن الفيلسوف « فيلون » هو أول من حدد كتابة هذه العجائب ورتب أهميتها [وهو فيلسوف يهودى عاش فى الاسكندرية فى الفترة ما بين عام ٣٠ ق م وسنة ٥٠ ميلادية] . . وكان الترتيب على النحو التالى :

– الأعجوبة الأولى : الهرم الأكبر وهو أضخم بناء من الحجر فى العالم القديم كله ، وهو أعظم ما شيده المصريون من آثار باقية . . ويمتاز بالاتقان المعجز فى هندسته المعمارية ، والدقة الشديدة فى تخطيطه ونسبه الجمالية .

– الأعجوبة الثانية : حدائق بابل المعلقة . . وقد نسبت إلى الملكة سميراميس ، كما نسبت أيضا إلى الملك البابلى « نبوخد نصّر » الذى أمر بتشييدها لإسعاد إحدى زوجاته .

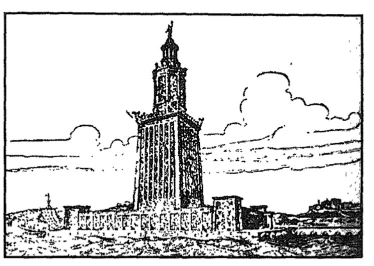
ـ الأعجوبة الثالثة : معبد « ديانا » فى إفسوس . وقد أحرق فى عام ٣٥٦ ق م وأعيد تشييده مرة أخرى . وقد استغرق بناؤه نحو ٢٢٠ سنة .

– الأعجوبة الرابعة : تمثال « زيوس » المقام على قمة جبل الأولمب باليونان . . وقد شيده الفنان النحات « فيدياس » بارتفاع ١٣ مترا . . وكان جسم التمثال منحوتا من العاج وتغطيه عباءة مصنوعة من الذهب ، وله قاعدة جميلة مصنوعة من الرخام الأسود .

* الأعجوبة الخامسة : ضريح « هاليكار ناسوس » الذى شيدته الملكة « أرتميسيا » إحياءً لذكرى زوجها « ماوصولوس » ملك « كاريا » التى كانت تابعة لليونان والتى تقع على شاطىء بحر إيجه .

* الأعجوبة السادسة : تمثال « رودس » الشاهق الذى شيد عام ٣٠٠ ق م . وكان يعتبر أكبر التماثيل المائة التى شيدت فى جزيرة رودس تمجيداً لإله الشمس . وقد تحطم عام ٢٢٤ ق م .

* الأعجوبة السابعة : منارة الاسكندرية التى شيدت عام ٢٨٠ ق م فى عهد بطلميوس الثانى « فيلادلفوس » ـ أى المحب لأخته ـ [وصحة نطق وكتابة اسمه « بطلميوس » وليس « بطليموس » كما هو شائع] . . وكانت المنارة تضىء ليلاً ونهاراً ولم يكن لها مثيل فى العالم القديم كله ، وظلت أطلالها باقية حتى القرن الثالث عشر الميلادى . وكانت مقامة فى المكان الذى تشغله الآن قلعة قايتباى بالاسكندرية .



رسم تخطيطى لما كانت عليه حالة منارة الاسكندرية فى عصر بطلميوس الثانى الذى افتتحها عام ٢٩٠ق م.. وظلت قائمة حتى عام ١٣٢٦ م .

الهرم الأكبر .. ومناطحة السحاب وقرون الزمن

هو أعظم الآثار التى تركها لنا المصريون القدماء . . بل أعظم الآثار التى صنعها الانسان منذ ظهوره على الأرض . . هو الهرم الأكبر الذى يطل شامخاً من هضبة الجيزة . . رمزاً للخلود . . متحدياً وقاهراً للزمن بتوالى القرون تلو القرون . . ودليلاً واضحاً كالشمس على ذلك الاعجاز الهندسى والمعمارى الذى تحقق على أيدى المصريين القدماء وقدرتهم الفائقة التى تحلوا وافتخروا بها على كافة الأمم والشعوب قديمها وحديثها على حد سواء .

* فى الملحق السنوى المتتابع الذى تصدره « دائرة المعارف البريطانية » صدر كتاب بعنوان « العلم والمستقبل » يتضمن بحثاً مستفيضاً عنَ « هندسة وعمارة ناطحات السحاب » التى انتشرت فى أمريكا ثم فى غيرها من الدول منذ العقد الأول من القرن العشرين . وقد تصدرت هذا البحث مقدمة بديعة عن « الهرم الأكبر » آثرت أن أقدم هنا ترجمة عربية لجزء منها يقولون فيه :

* « إن المهندسين المعماريين المصريين القدماء هم أول من فكروا فى إنشاء بناء يرتفع رأسياً إلى عنان السماء ليناطح السحاب . . وظل هرم خوفو الذى كان يرتفع إلى ١٤٦,٦ م وأصبح ارتفاعه الآن ١٣٨,٧٥ م هو البناء « الوحيد ! » المرتفع فى سماء العالم إلى مثل هذا الارتفاع الشاهق لما يزيد على ٤٦ قرناً » .

* « وظل هذا الهرم الأكبر أضخم وأعلى بناء شيده الانسان حتى العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين ، حين ظهرت « ناطحات السحاب » تباعاً فى نيويورك ، حيث شيد برج شركة متروبوليتان للتأمين سنة ١٩٠٩ م . . ومبنى وولورث سنة ١٩١٣ م . . وعمارة إمباير ستيت سنة ١٩٣١ م . . ومنذ ذلك الحين فقد الهرم الأكبر

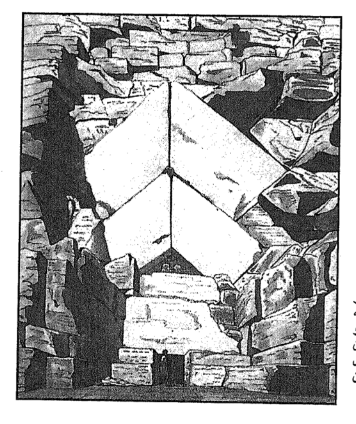
تفرده فى الارتفاع ، وإن ظل محتفظاً حتى الآن بتفرده فى الضخامة ، وباعجازه المحير فى فنون الهندسة والعمارة » . . « ويقول علماء الهندسة والعمارة المحدثون إن العمر الافتراضى لجميع هذه العمائر والمنشآت الحديثة من ناطحات السحاب يقاس «بعشرات » السنين ثم يؤول مصيرها إلى الزوال . . أما الهرم الأكبر فسوف يظل ثابتاً على الأرض شامخاً فى عنان السماء » .

* كان هذا جزءاً من نص مقدمة الكتاب . . ومن المؤكد انه على مدى آلاف السنين التى مرت منذ بناء الهرم الأكبر ، أن عشرات الملايين من أجيال المصريين والأجانب الذين تسنى لهم أن يشاهدوا هذا الهرم قد ملأتهم الرهبة والإعجاب والدهشة وهم يقفون فى ساحته شاخصين إليه بأبصارهم . . ومن المؤكد أيضاً أن عشرات الملايين من الأجيال التى لم تولد بعد ، ستقف مشدوهة أمام هذا الهرم مخلدة اسم خوفو طالما بقى هرمه العظيم لآلاف أخرى من السنين مازالت كامنة فى رحم الزمن .

* وقد تعرض الهرم الأكبر لأحداث جسام من صنع البشر ، منذ أقدم العصور وبالتحديد منذ عصر الاضمحلال الأول الذى وقعت أحداثه بعد انهيار عصر الدولة القديمة فى نهاية الأسرة السادسة [فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد] . . فمن المحتمل أن الهرم تعرض لأحداث تلك الثورة العارمة التى اجتاحت البلاد وأنشبت فيها أنياب الفوضى وأعمال السلب والنهب . . وتذكر النصوص والنقوش القديمة كيف اقتحمت الأهرام والمصاطب والقصور وبيوت النبلاء لسرقة ما كانت تحتوية من ثروات وممتلكات ثمينة .

* أما فى عصر الدولتين الوسطى والحديثة فقد عثر علماء الآثار على بعض الدلائل التى تؤكد أن بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة [١٩٩١ - ١٧٧٨ ق م] قد استخدموا بعض أحجار الأهرام والمعابد الخاصة بالدولة القديمة فى تشييد الهرم الواقع فى بلده اللشت [بمحافظة الفيوم] والذى يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد . . والدليل على ذلك ما عثر عليه من أحجار عليها نقوش وكتابات يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الرابعة وهى منقولة من منطقة الجيزة .

* وتدل الشواهد الأثرية أيضا على أن الهرم الأكبر كان مفتوحاً فى العصر الرومانى بمصر ، وكان فى إمكان الزوار أن يدخلوا إلى ممراته وأبهائه وحجراته ، بل ولقد استخدمت الحجرات لدفن بعض موتى ذلك العصر .. ثم تسببت الرمال وكتل الرديم فى إخفاء المدخل القديم ، وظل الهرم مغلقا إلى أن اصطنعت له فتحة أخرى فى القرن التاسع الميلادى أثناء زيارة الخليفة المأمون لمصر بعد أن أقنعوه بأن الهرم بداخله كنوز لا أول لها ولا آخر .. وهذه الفتحة هى التى مازالت مستخدمة حتى الآن فى الوصول إلى الممرات الداخلية لهذا الهرم .



رسم للفنان فيفانت دينون يصور المدخل الرئيسى للهرم الأكبر ، وحتى عام ١٨١٩ كان هرم خوفو هو الهرم الوحيد الذى يمكن دخوله ، ولكن عن طريق المدخل الذى حفر فى عصر الخليفة المأمون

الهرم .. ونابليون .. وعلماء الحملة الفرنسية

حين نشبت المعركة الحربية الحاسمة بين جيش الحملة الفرنسية وجيش المماليك ، وهى الموقعة المعروفة فى تاريخ مصر الحديث بإسم « معركة إمبابة » . . أخذ نابليون بونابرت يشجع جنوده وهو يشير إلى أهرام الجيزة التى تقف شامخة فى خلفية أرض المعركة ، ويصيح فيهم بقول شهير منسوب إليه : « إن أربعين قرناً من الزمان تنظر إليكم !! » . . وهو قول قريب إلى حد ما من الحقيقة . . أما الحقيقة نفسها فتتمثل فى مرور نحو أربعة وأربعين قرناً تفصل بين عصر بناء تلك الأهرام العظيمة فى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد ، والعصر الذى وقعت فيه معركة إمبابة بين الجيش الفرنسى الغازى وجيش المماليك والعثمانيين الذين كانوا يحكمون مصر فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى .

* وبعد أن استتب الأمر لنابليون وجيشه فى مدينة القاهرة ، قام بزيارة منطقة أهرام الجيزة . . وقد لاحظت وجود بعض المعلومات المتناقضة عن تلك الزيارة التى قام بها نابليون مع ثلة من ضباط الحملة وعلمائها! . . فثمة مرجع يقول إن بعض هؤلاء الضباط قاموا بالصعود إلى قمة الهرم الأكبر بإرشاد بعض الأدلاء ، كما قام ضباط آخرون وبعض علماء الحملة بالدخول إلى الهرم ، إلا أن نابليون تحاشى الدخول معهم « خشية أن يقوم المصريون باغلاق الهرم وهو بداخله » . . وفى مرجع آخر رأيت لوحة رسمها أحد فنانى الحملة تصور نابليون ومعه بعض العلماء المصريين والفرنسيين أثناء زيارته لحجرة الملك بداخل هرم خوفو ، الأمر الذى يؤكد قيام نابليون بالدخول إلى الهرم .

* وفى أثناء تلك الزيارة قيلت بعض الافتراضات الحسابية فى حضرة نابليون ، وهى افتراضات أكدها علماء الرياضة والهندسة بالحملة ، فقد قيل مثلا إن صخور الأهرام

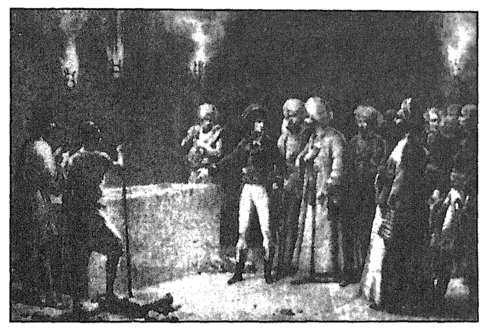
وأحجارها لو أعيد تقطيعها إلى مكعبات متساوية طولها قدم وعرضها قدم وارتفاعها قدم ، ثم وضعت هذه المكعبات فى صف واحد ، فسوف يمتد طول هذا الصف ليحيط بثلثى محيط الكرة الأرضية عند منطقة خط الاستواء . . وقيل أيضا إن أحجار الأهرام الثلاثة تكفى لإقامة سور سمكه قدم وارتفاعه عشرة أقدام يحيط بحدود فرنسا كلها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً !

* كذلك فقد قام علماء الحملة بعمل قياسات حسابية وهندسية دقيقة لكل هرم من الأهرام الثلاثة ولتمثال أبى الهول أيضا . . وقد نتجت عن هذه القياسات مجموعة من النتائج الغريبة . . وعلى سبيل المثال فعندما شرع علماء الحملة فى رسم خريطة مساحية عامة للقطر المصرى ، واتخذوا خط طول الهرم الأكبر [وهو الخط الواصل بين منتصف الضلعين الجنوبى والشمالى] كخط طول أساسى لتحديد الأبعاد المساحية للقطر المصرى . . وعندما رسموا أبعاد دلتا النيل ومناطق الوجه البحرى ، لاحظوا أن خط طول الهرم يقسم الدلتا مساحياً إلى قسمين متساويين . . كما لاحظوا أيضا أن امتداد خط قطرى الهرم من الزاويتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية يجعل الدلتا محصورة بأكملها داخل امتداد خطى هذين القطرين .

* كذلك فقد لاحظ علماء الحملة الفرنسية أن خط طول الهرم يقسم مناطق اليابسة بالكرة الأرضية إلى قسمين متساويين فى المساحة على وجه التقريب . . أى ان مساحة مناطق اليابسة بالكرة الأرضية الواقعة على يمين هذا الخط تتساوى أو تتقارب مع مساحة مناطق اليابسة الواقعة على يساره .

* ومن الغريب أيضا ان علماء الحملة لاحظوا أن خط طول الهرم الأكبر إذا امتد حتى يصل إلى القطب الشمالى ، وامتد جنوبا حتى يصل إلى القطب الجنوبى فإنه يعتبر خط الطول الوحيد بين خطوط الطول الأخرى الذى يمر بأكبر وأوسع مساحة من اليابسة فى كوكب الأرض ، وبأقل مساحة من مياه البحار والمحيطات . . ومعنى ذلك أن هذه الميزة المؤكدة تجعله من هذه الناحية أفضل بكثير من خط الطول العالمى الرئيسى

الذى يمر فى جرينتش قرب لندن ، وهو الذى يقسم الكرة الأرضية إلى قسمين زمنيين هما شرق جرينتش وغرب جرينتش !



لوحة مرسومة تصور نابليون بونابرت ومعه بعض العلماء المصريين والفرنسيين أثناء زيارته لحجرة الملك بداخل الهرم الأكبر

الهرم الأكبر .. كان مقبرة وساعة زمنية

ما من أثر من آثار الدنيا أجريت له القياسات وتعرض للبحوث والدراسات مثل هرم خوفو بالجيزة . . فهذا الصرح الهائل كان محلاً لأقاويل وكتابات كثيرة كتبها المؤرخون القدماء الأجانب والعرب . . وكانت الغالبية العظمى من تلك الكتابات أقرب ما تكون إلى الاغراق فى التهويل ونشر المعلومات المغلوطة والخرافات .

* وفى العصور الحديثة . . ومنذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى على وجه التحديد ، أصبحت دراسات وبحوث الهرم تتخذ مساراً علميا يتواءم خطوة بخطوة مع التطور والتقدم التدريجى للعلوم وطرق البحث العلمى واستخدام الأجهزة التى أخذت فى الظهور تباعاً خلال تلك المرحلة من التاريخ الانسانى الحديث .

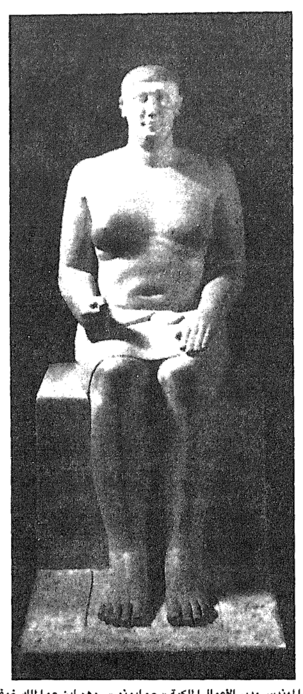
* ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن أصبح من العسير أن يتم حصر شامل للكتب والمراجع والبحوث والرسائل العلمية والدراسات الأكاديمية التى تناولت هرم خوفو بالدراسة والشرح والتحليل . وقد يكون من العسير أيضا أن يتم حصر شامل لأسماء الباحثين والمؤرخين وعلماء الآثار وعلماء الجيولوجيا والكيمياء والطبيعة والفلك والعلوم الرياضية الذين بذلوا كثيراً من الجهد فى بحوث ودراسات الهرم .

* ومع ذلك فيمكننا أن نقول إن جميع هؤلاء العلماء والدارسين قد انقسموا إلى اتجاهين رئيسيين . . فأغلبيتهم رأوا ان الهرم الأكبر لم يكن مجرد مقبرة عظيمة لملك عظيم، بل حاولوا أن يثبتوا بأجهزة القياس انه كيان علمى هائل قائم بذاته ، ولكنه فى نفس الوقت مرتبط تماماً بعلوم العالم القديم كلها وبجوانب هامة من العلوم الحديثة أيضا . . أما علماء القسم الثانى فقد رأوا ان الهرم الأكبر كان بالفعل والتخصيص مقبرة للملك خوفو ، وان معجزاته الحقيقية كامنة فى دقة مقاساته وفى طريقة بنائه وتشييده وهندسته المعمارية .

* ويمكننا القول بأن الأبحاث والقياسات العلمية الجادة قد بدأت بالتحديد عام ١٧٦٠ م – أى قبل مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر بنحو ٣٨ عاما – حين وصل إلى مصر « ناثانيل دافيسون » وكان يعمل قنصلاً لبريطانيا فى الجزائر ولكنه كان يهوى البحث الأثرى وتجميع الآثار لبيعها للمتاحف وللأثرياء من هواة تكوين المجموعات الأثرية . وقد استطاع « دافيسون » القيام بتحديد بعض مقاييس الهرم وأبعاده الخارجية والداخلية ، كما أدى فحصه للممرات والأبهاء والحجرات الداخلية للهرم بحثاً عن الكنوز التى كانت هدفه الرئيسى ، ان اكتشف أول حجرة من الحجرات العلوية الخمس التى تعلو سقف حجرة الملك ، وظن فى بداية الأمر انه توصل إلى مخبأ كنوز الملك خوفو ، ولكن خاب ظنه وتبين فيما بعد ان جميع تلك الحجرات كانت خاوية ولم تكن مخزنا لتلك الكنوز الوهمية ، بل صممها القدماء بطريقة هندسية لتؤدى وظيفة معمارية هى تخفيف الضغط عن سقف حجرة الملك التى تتراص فوقها صفوف من أحجار ثقيلة يبلغ ارتفاعها نحو ١٠٠ متر.

* وفى الفترة بين عامى ١٧٩٨ – ١٨٠١ م قام علماء الحملة الفرنسية باجراء بحوثهم ودراساتهم وقياساتهم للأبعاد الخارجية والداخلية للهرم على النحو الذى عرضناه مختصراً فى الدراسة السابقة . . ثم جاء بعدهم علماء أجانب آخرون واصلوا تلك البحوث والقياسات . وفى شهر مارس عام ١٨٦٢م قام العالم العبقرى المصرى محمود الفلكى باشا بدراسات وقياسات وأرصاد فلكية على الهرم الأكبر واستطاع اكتشاف وإثبات علاقة الهرم بنجم « الشعرى اليمانية » المعروف فلكيا باسم « سيروس » . كما استطاع تحديد التاريخ التقريبى لزمن بناء الهرم بطريقة القياس والرصد الفلكى . وتعتبر هذه الطريقة الفذة حجر الأساس لعلم جديد هو « الأسترو / آركيولوجى » أى « علم الدراسات الفلكية للآثار » .

* ثم توالت أبحاث العلماء الذين توصلوا إلى أن الهرم كان مصمماً بطريقة هندسية وفلكية تجعله « ساعة زمنية ميقاتية » كان قدماء المصريين يستخدمونها فى معرفة وتحديد مواعيد فصول السنة ، ومواعيد مواسم الفيضان والتحاريق ، ومواعيد الأعياد والمناسبات السنوية العامة ، وتحديد مواعيد الأيام وبدايات ونهايات شهور السنة .



تمثال للوزير المهندس مدير الأعمال الملكية « حم إيونو » ـ وهو ابن عم الملك خوفو ـ ومن المحتمل انه الذى وضع التصميم الهندسي وقام بتنفيذ جميع الأعمال المعمارية التنفيذية الخاصة بالهرم الأكبر

الهرم الأكبر .. وبعض قياسات الكرة الأرضية

يثور التساؤل دائما : لماذا انصبت الغالبية العظمى من البحوث والدراسات والقياسات على الهرم الأكبر دون الأهرام الأخرى التى يتجاوز عددها تسعين هرماً . . والإجابة على هذا التساؤل سهلة ميسورة ، فالهرم الأكبر هو أضخم هذه الأهرام جميعا ، وهو أكثرها جمالاً وتناسقا ، وأقربها إلى الكمال الفنى والإعجاز الهندسى .

* ومنذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى وحتى الآن ، قامت مجموعة كبيرة من العلماء المتخصصين فى مختلف العلوم بقياسات دقيقة للهرم الأكبر أجروها فى ضوء القواعد والمبادىء والنظريات العلمية الحديثة ، فخرجوا بنتائج ونظريات أصبحت تثير الدهشة والعجب أكثر مما أثارته من قبل خرافات وخزعبلات الكتاب والمؤرخين القدماء من الأجانب والعرب وما أثارته نظرياتهم القديمة التى يرفضها العقل وتتنافى مع ما هو معروف من أحداث التاريخ .

* وبطبيعة الحال فقد كان قدماء المصريين يستخدمون وحدات قياسية لتحديد الأطوال والموازين والحجوم تختلف تماماً عن وحدات القياس فى عالمنا الحديث . . ومع ذلك فقد قام العلماء المحدثون بدراسات رياضية حسابية وهندسية مقارنة لتحديد أطوال ومقاسات وحدات القياس التى استخدمها قدماء المصريين فى المقاسات الخاصة بالهرم الأكبر . وعلى سبيل المثال فقد تم تحديد « البوصة الهرمية » بما يعادل ٢,٥ سم تقريبا [أو بالتحديد الدقيق بما يعادل ٢٥,٤٢٦٤ ملليمتراً] كذلك فقد تم تحديد «الذراع الهرمى » بما يعادل ٦٣,٦ سم تقريباً [أو بالتحديد الدقيق بما يعادل ٠,٦٣٥٦٦ من المتر] .

* وبتطبيق الوحدات القياسية القديمة التى استخدمها قدماء المصريين على



بروسبيرو ألبينو العالم الايطالى الذى زار مصر عام ١٥٨٢م لدراسة النباتات والأعشاب الطبية ، كما قام بدراسة وإجراء بعض القياسات للهرم الأكبر والأهرام الأخرى ووصف تمثال أبو الهول



فريدريك نوردن - وهو قبطان دنماركى - زار مصر عام ١٧٣٨م وأصدر كتاباً مزوداً بعديد من الرسوم عن الأهرام المصرية

القياسات الحديثة التى أجراها العلماء المحدثون ، على مختلف أبعاد الهرم من الداخل والخارج ، توصل هؤلاء العلماء إلى نتائج حسابية وهندسية فى غاية الغرابة . . فعندما تم تحديد طول محيط قاعدة الهرم ، وذلك بجمع أطوال أضلاع القاعدة الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية ، تبين أن طول هذا المحيط محسوباً بالبوصة الهرمية يعادل ٣٦٥٢٦ ، وهو رقم يساوى بالضبط عدد أيام السنة الشمسية ، وذلك على أساس أن عدد أيام السنة الشمسية الحقيقية يبلغ ٣٦٥ يوما وربع يوم ، أى ٢٥ ، - من اليوم .

* كذلك توصل بعض علماء الهندسة إلى أن الرقم ٤٢٦٤ , ٢٥ يعتبر من مضاعفات الرقم ١٤١٦ , ٣ وهو الرقم الذى يمثل فى العلوم الرياضية النسبة بين محيط الدائرة ونصف قطرها .

* أما علماء الفلك وعلماء الجيولوجيا فقد توصل بعضهم إلى أن الذراع الهرمى الذى يبلغ طوله « ٦٣٥٦٦٠ ، - من المتر » يعادل بالتقريب جزءاً من عشرة ملايين جزء من نصف طول المحور القطبى للكرة الأرضية [أى طول الخط الوهمى الذى يصل بين القطب الشمالى والقطب الجنوبى لكوكب الأرض] . . حيث يبلغ نصف طول هذا الخط القطبى ٦٦٠ ، ٦,٣٥٦ متراً . وقد تم فحص هذا القياس فحصاً فى غاية الدقة للتأكد من صحته بمعرفة بعض العلماء الآخرين الذين استخدموا أحدث أنواع الأجهزة العلمية ، فوجدوا أن هذا الرقم يعتبر أقرب ما يكون إلى الدقة إلى الطول الحقيقى لنصف المحور القطبى لكوكب الأرض الذى يزيد على هذا الرقم بنحو ١٩٧ متراً فقط ، وهى زيادة تعتبر طفيفة جداً فى مثل هذه القياسات .

* فكيف تأتى لقدماء المصريين أن يصلوا إلى مثل هذه القياسات الكونية المتعلقة بكوكب الأرض وربطوا بينها وبين قياسات الهرم الأكبر ؟ . . إننا مازلنا لا نعرف الكثير من أسرار تلك الحضارة العظيمة التى صنعها أجدادنا على أرض هذا الوطن !

.. ومازال الهرم الأكبر محتفظاً بأسراره

بالرغم من ظهور وتطور الأجهزة العلمية والتكنولوجية الحديثة التى حفلت بها السنوات الأخيرة من القرن العشرين . . وبالرغم من استخدام أدق هذه الأجهزة فى قياسات الهرم الأكبر ، إلا أن العلماء الذين استخدموها مازالوا حائرين أمام تمسك الهرم الأكبر بمعظم أسراره التى استعصت على معظم هذه الأجهزة .

* بدأت فكرة استخدام أجهزة قياس « الأشعة الكونية » فى قياسات الهرم فى منتصف الستينيات وذلك للتأكد من وجود أو عدم وجود فراغات أو حجرات أو ممرات مازالت مجهولة بداخل جسم الهرم . وذلك بقياس مدى امتصاص هذه الأشعة الكونية عند اختراقها للكتل الحجرية بجسم الهرم ، وتكونت بعثة علمية من جامعة بيركلى الأمريكية ومعهد لورنس للإشعاع ، واشترك فيها الخبراء المختصون بهيئة الآثار المصرية ، وعلماء وأساتذة قسم الطبيعة النووية بكلية العلوم بجامعة عين شمس ، وأشرف على ذلك المشروع العلمى البروفيسور « لويس الفاريز » الحائز على جائزة نوبل فى علوم الطبيعة .

* ورفض الهرم الأكبر دخول هذه الأجهزة العلمية إلى حجراته وأبهائه الداخلية بسبب ضيق ممراته وكبر حجم هذه الأجهزة ، فاضطر العلماء إلى إدخال هذه الأجهزة إلى هرم « خفرع » حيث تسمح ممراته وحجراته بدخولها . . وتم بالفعل فحص حوالى ١٩ ٪ فقط من إجمالى حجم هذا الهرم ، ومع ذلك لم تسفر هذه التجربة العلمية عن النتيجة المرجوة ، واستقر رأى العلماء على ضرورة تطوير هذه الأجهزة أو استخدام أجهزة أخرى أكثر كفاءة وأعلى حساسية .

* وعلى هذا الأساس ظهرت دعوة علماء آخرين بإمكانية استخدام أجهزة قياس

انتشار الموجات « الإلكترو – ماجناتيك » – أى أجهزة قياس الموجات الكهرومغناطيسية – فى قياس أية فراغات مجهولة قد تكون موجودة بداخل الهرم . . وقام علماء متخصصون من جامعة ستانفورد بالاشتراك مع العلماء المتخصصين من جامعة عين شمس باجراء تجاربهم العلمية التى استمرت نحو أربع سنوات متعاقبة [من سنة ١٩٧٥ إلى سنة ١٩٧٨] . . وقاموا بقياسات للمجالات المغناطيسية والمقاومات الكهربائية والموجات الصوتية . . ومع ذلك لم تسفر هذه التجارب كلها عن نتيجة قاطعة بالنسبة لقضية وجود أية فراغات داخلية بالهرم .

* وفى السنوات الأولى من عقد الثمانينيات ظهر فى العالم جهاز تكنولوجى جديد للقياس العلمى اسمه « الميكروجرافيميتر » وهو جهاز بالغ الحساسية ومازال سراً علمياً حتى الآن . . وفى عام ١٩٨٦ ، قام العالمان الفرنسيان « دورميون » و « جودان » باحضار هذا الجهاز من المؤسسة القومية للطاقة الكهربائية النووية وبموافقة من الحكومة الفرنسية . . ووافقت هيئة الآثار المصرية على استخدام هذا الجهاز الجديد فى القياسات الداخلية للهرم الأكبر للتأكد من وجود أو عدم وجود فراغات بداخل جسم الهرم .

* وقد بذل هذان العالمان الفرنسيان جهداً كبيراً فى استخدام جهاز «الميكروجرافيميتر » فى البحث عن أية فراغات لم تزل مجهولة ، إلى أن توصلا إلى نتيجة علمية تؤكد وجود فراغ خلف جدران الممر المؤدى إلى الحجرة التى سميت خطأ بإسم «حجرة الملكة » . . وبعد إجراء خمسين قراءة مؤكدة لتجارب هذا الجهاز العلمى الدقيق ، تأكد وجود مجموعة من الفراغات خلف الجانب الغربى الأيمن من جدران هذا الممر . . وبطبيعة الحال فقد عم الفرح بهذه النتيجة بين العالمين الفرنسيين والعلماء المصريين وهيئة الآثار المصرية . . وشاع بين الجميع أمل العثور على موجودات أثرية بداخل هذه الفراغات .

* وبالرغم من إحساس الجميع بأن الهرم الأكبر قد سمح لهم أخيراً بمعرفة سر من أسراره الداخلية التى ظلَّ محتفظاً بها منذ عصر بنائه ، إلا أن مشكلة عويصة قد

اعترضت استمرار هذه الفرحة . . فكيف يمكن الوصول إلى تلك الفراغات دون هدم أو تخريب فى جدران الممر ؟ ! . . تلك كانت المشكلة التى واجهت جميع هؤلاء العلماء والمتخصصين . . وكان لابد من حلها بطريقة سليمة لا تؤثر على جسم الهرم ، ولا تؤدى إلى أى خلل باستقرار صخوره وجدرانه الداخلية . . فماذا فعلوا . . ؟ !



.. وخاب سعى العلماء .. وأجهزتهم الدقيقة

ما أن انتشر خبر وجود فراغات مؤكدة خلف جدران الممر المؤدى إلى حجرة الملكة بالهرم الأكبر ، حتى أصبح من اللازم التفكير فى كيفية الوصول إلى تلك الفراغات لمعرفة ما يحتمل أن تحتويه من موجودات أثرية . . وبالتالى فقد قيلت عدة نظريات فى كيفية الحفر فى هذه الجدران دون أن يؤدى ذلك الحفر إلى أى خلل أو تخريب فى جدران الهرم .

* وفى نهاية الأمر استقر الرأى على عمل بعض الثقوب فى تلك الجدران كافية لادخال كاميرا صغيرة لتصوير ما تحتويه الفراغات . . وهنا انقسمت آراء المختصين بين مؤيد لتلك الفكرة ومعارض لها أو مطالب باستخدام أجهزة علمية قادرة على معرفة محتويات الفراغات دون إحداث ثقوب أو مساس بجدران الهرم . . ومع ذلك فقد أجريت عملية حفر لثقوب ثلاثة قليلة القطر حتى وصل الحفر إلى خلف الكتل الحجرية حيث توجد الفراغات الخالية من الحجر . . وكانت هناك مفاجأة .

* لم تكن هناك فراغات خالية ، وسخر الهرم مرة أخرى من هذا الجهاز العلمى المتطور الذى أثبت وجود الفراغات . . كما سخر أيضا بكل النظريات التى توقعها العلماء والمختصون الذين اشتركوا فى تلك العملية والذين أبدوا وجهات نظرهم وتوقعاتهم الوهمية ، فلم تكن الفراغات خالية أو تحتوى على أية موجودات أثرية مخبأة كما توقع البعض ، وإنما كانت مملوءة بنوع من الرمال الناعمة البالغة النقاء !

* وتم استخراج عينات من تلك الرمال أجريت عليها فحوص علمية وتحليلات ميكانيكية ومعدنية استخدم العلماء فيها « الميكروسكوب الإلكترونى والأشعة السينية

وجهاز الجسات الدقيقة » لمعرفة سر وحقيقة تلك النوعية الغريبة من الرمال . . وبالتالى فقد توصل العلماء إلى النتائج العلمية التالية :

- ان هذه الرمال من نوعية خاصة ، ويرجع تاريخ تكوينها الجيولوجى إلى عصر «الأليجوسين » . . ويتراوح حجم حبيباتها ما بين (٢) ملليمتر مكعب وواحد على (١٦) من الملليمتر المكعب .

- وتحتوى هذه الرمال على نسبة عالية من « المعادن الثقيلة » . . وثبت أن بعضها «مشع » وتصل قوة اشعاعه إلى ٥ , ٥ ٪ و ٧٪ .

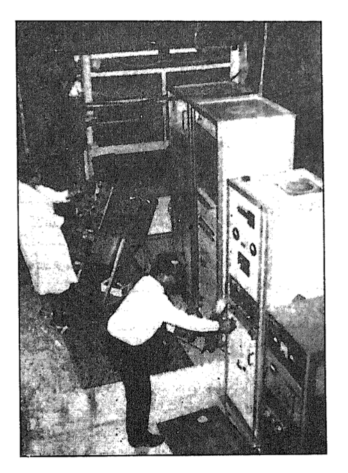
- وأثبت تحليلها أيضا انها تتكون من مكونين اثنين فقط من المكونات المعتادة للرمال المتماثلة . . ومعنى هذا أن هذه الرمال إما أن تكون قد عولجت وأجريت لها عمليات «فصل » خاصة قبل إدخالها إلى هذا المكان فى باطن الهرم وهذا أمر بعيد الاحتمال . . و إما أن تكون عملية « الفصل » هذه قد تمت بالعوامل الطبيعية ، وكان قدماء المصريين على علم بها وقرروا استخدامها فى الجسم الداخلى للهرم لأداء وظيفة معينة أو لتحقيق غرض علمى معين مازال مجهولاً لنا حتى الآن .

* وقال بعض العلماء المصريين والأجانب إن اكتشاف هذه النوعية الخاصة من الرمال « الثقيلة » النقية بداخل جسم الهرم يعتبر فى حد ذاته كشفا علمياً بالغ الأهمية . . وقالوا فى ذلك عدة نظريات محتملة . . منها أن يكون المهندسون المصريون القدماء الذين أشرفوا على بناء الهرم قد قصدوا تحقيق قدر محدد من التوازن الإنشائى المعمارى لكتلة الهرم . .

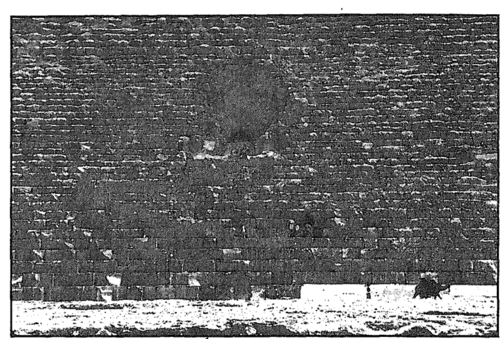
ومن المحتمل أيضا أن المهندسين القدماء قد وضعوا كميات كبيرة من تلك الرمال على مسافات رأسية محددة من جسم الهرم بقصد امتصاص موجات الزلازل التى قد تتعرض لهامنطقة الأهرام ، الأمر الذى يجعل أحجار الهرم تتماوج أثناء حدوث تلك الزلازل على جسم لين دون أن تنزلق تلك الأحجار أو تتحطم ولكى تظل فى مكانها المحدد حتى تنتهى الزلازل بسلام .

* ومع ذلك فقد قيلت آراء أخرى تعتبر أن هذه التجارب مهزلة كبرى كانت بقصد

الدعاية العالمية لجهاز « الميكروجرافيميتر » الذى استخدم فى تلك العملية التى قام بها بعض الأدعياء من هواة الشهرة على حساب آثارنا الخالدة .



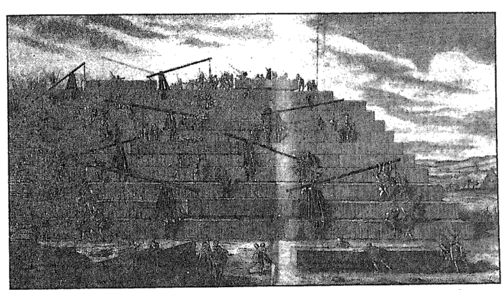
بعض الأجهزة العلمية الحديثة التى استخدمت فى فحص وقياسات الأهرام



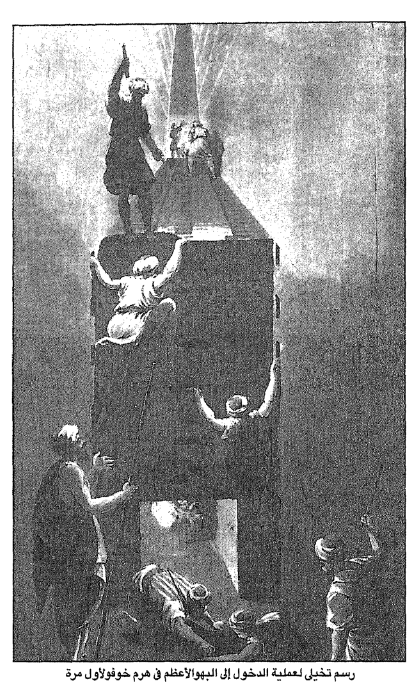
المدخل الرئيسى للهرم الأكبر والذى يقع على ارتفاع ١٥ متراً .. ويستعمل الآن المدخل الذى حفر فى عصر الخليفة المأمون فى القرن التاسع الميلادى والذى يبدو أسفل المدخل الرئيسى للدخول إلى داخل الهرم



رسم تخيلى من أعمال الفنان لويجى ماير يبين قمة الهرم الأكبر عندما كان يصعد إليها بعض الأدلاء وبعض المغامرين من السياح الأجانب الذين نقشوا اسماءهم على أحجار القمة



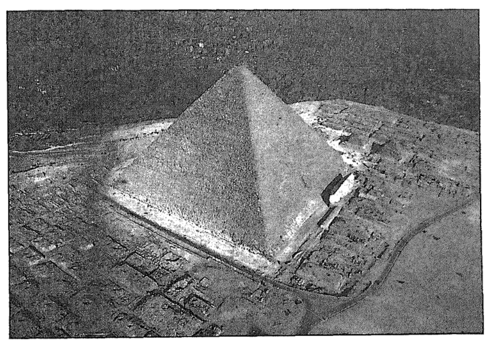
رسم تخيلى حديث يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر الميلادى يبين الطريقة التى وصفها هيرودوت عند قيام قدماء المصريين برفع أحجار بناء الهرم الأكبر



رسم تخيلى لعملية الدخول إلى البهوالأعظم فى هرم خوفولأول مرة



التمثال الوحيد للملك خوفو ، عثر عليه في منطقة أبيدوس وهو تمثال صغير مصنوع من العاج ويبلغ طوله ٧,٥ سم .



منظر من الجو للجهة الجنوبية الشرقية لهرم خوفو حيث يظهر « متحف مركب خوفو » في الجهة الجنوبية ، وتظهر الأهرام الصغيرة الثلاثة التابعة له في الجهة الشرقية

الهرم الأكبر .. وأهرامه الصغيرة الثلاثة

عند زيارة الهرم الأكبر زيارة متأنية تتضمن الدوران حول أضلاعه الأربعة ، سيلاحظ الزائر وجود عدد كبير من الآثار يعتبر بعضها من ملحقات هذا الهرم . . ففى الساحات المواجهة للواجهات الشرقية والجنوبية والغربية للهرم توجد مئات من المقابر والمصاطب مصفوفة فى صفوف متوازية منتظمة ، واستخدمت فى دفن أبناء الأسرة المالكة والأقارب المقربين لهذه الأسرة وأفراد من الرجال والنساء من طبقة النبلاء وكبار الموظفين ورجال الدولة .

*ويقول عالم الآثار « إ . إدواردز » فى كتابه القيم « أهرام مصر » عن هذه المقابر والمصاطب ، إن خوفو كان حريصاً على أن يظل بعد وفاته محاطاً فى العالم الآخر بأقاربه وبأتباعه المخلصين . . ولو رجعنا إلى الماضى البعيد لتصورنا منظراً فى غاية الجمال وروعة التنسيق الهندسى ، حين كانت هذه المصاطب مكسوة بالأحجار الجيرية الجيدة المستجلبة من محاجر طرة ، وكان لونها على نمط واحد يتفق ولون الهرم الأكبر الذى يرتفع شامخاً فى وسطها .

* ويلاحظ أن المقابر والمصاطب الموجودة فى الجانب الشرقى من الهرم كانت مخصصة لأقرب أقرباء الملك ، بينما تلك الموجودة فى الجانب الغربى – وهى أكثر عدداً – قد خصصت للنبلاء وكبار الموظفين . . أما المصاطب الموجودة فى الجانب الجنوبى للهرم فهى عبارة عن صف واحد ، بينما الجانب الشمالى الذى توجد به فتحة الدخول إلى الهرم فلا توجد به أية مصاطب أو مقابر .

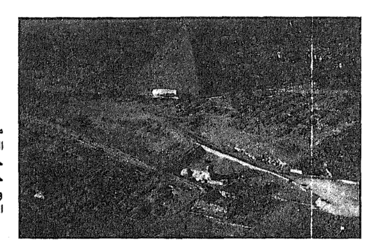
* غير أن أهم ما يمكن مشاهدته فى الجانب الشرقى من الهرم الأكبر هو وجود ثلاثة أهرام صغيرة حارت فيها أقاويل وتفسيرات المؤرخين وعلماء الآثار . . فقد قال بعضهم

إن هذه الأهرام كان اثنان منها مكرسين لبنتين من بنات خوفو . . وقال آخرون إن هذه الأهرام الثلاثة كانت مخصصة لثلاث من زوجاته . . غير أن أرجح الآراء المستندة على أدلة أكثر وضوحاً كانت على النحو التالى :

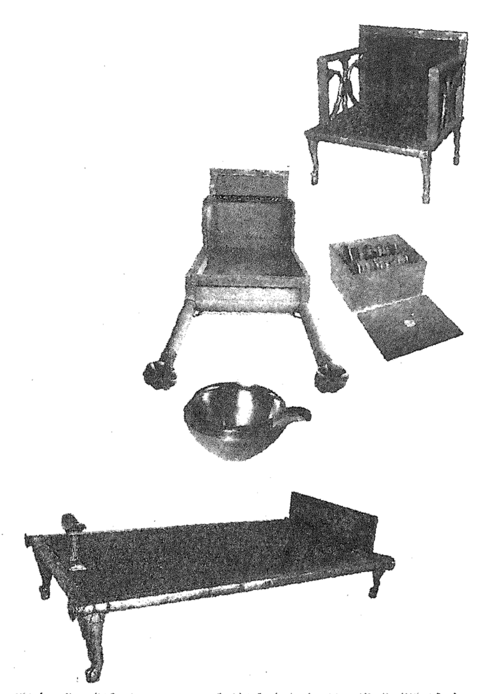
* بالنسبة للهرم الجنوبى من هذه الأهرام ، فقد كان مكرساً لدفن الملكة « حنوت سن » وهى ابنه للملك سنفرو وتعتبر أختا غير شقيقة للملك خوفو ربما يكون قد تزوجها وجعلها ملكة . . واسم « حنوت سن » كان من الأسماء الشائعة فى مصر القديمة ، ومعناه بالعربية الفصحى « سيدتهم » وباللهجة العامية « ستهم » أو « ست الكل » . . ويستدل علماء الآثار على نسبة هذا الهرم إلى « حنوت سن » بعد العثور على لوحة حجرية بمعبد « إيزيس » الذى يوجد بجانب هذا الهرم . وقد بنى هذا المعبد فى العصور المتأخرة من التاريخ المصرى القديم فوق انقاض المعبد الجنائزى الذى كان من ملحقات هذا الهرم الصغير . . وبالرغم من أن جميع هذه الأهرام الصغيرة الثلاثة قد تعرضت لعوادى الزمن ولاعتداءات الأهالى والحكام الذين فككوا أحجارها لاستخدامها فى مبانيهم فلم يعد باقياً منها سوى البقايا التى تدل عل وجودها فى هذا المكان بالجانب الشرقى للهرم الأكبر . . وقد حدد علماء الآثار طول كل ضلع من أضلاع هذا الهرم الجنوبى الصغير بنحو ٤٥ متراً وارتفاعه الحالى بنحو ١١ مترا ، وزاوية ميله بنحو ٥١ درجة .

* أما الهرم الصغير الأوسط فقد كان مكرساً لدفن الأميرة « مرى تيتس » التى حكى عنها هيرودوت قصة خيالية لا تصدق أملاها عليه بعض الأدلاء الذين حشوا دماغه بما كان يستهويه من قصص غريبة عن قدماء المصريين ، فقد قالوا له إن هذه الأميرة هى ابنه الملك خوفو التى دفعها إلى ممارسة الدعارة لجمع الأموال التى كان ينفقها على بناء هرمه ! . . واشترطت الأميرة على كل زبون من زبائنها أن يحضر معه حجراً . . ومن مجموع هذه الأحجار قامت الأميرة ببناء هذا الهرم الصغير الأوسط الذى خصصته لنفسها « !! » . وعلى أية حال فإن بقايا هذا الهرم الأوسط عبارة عن قاعدة مربعة طول ضلعها ٤٥ متراً ولا يزيد الارتفاع المتبقى من ارتفاعه الأصلى على ٩ أمتار ، وزاوية ميله ٥٢ درجة .

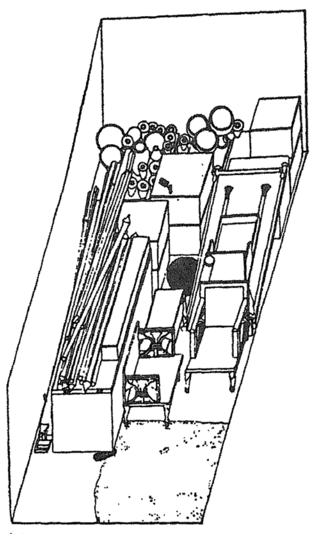
* أما الهرم الشمالى من هذه الأهرام الصغيرة الثلاثة فقد كان مخصصاً للملكة «حتب حرس » أم الملك خوفو ، إلا أنها لم تدفن فيه ، حيث عثر على البئر العميق الذى أعيد فيه دفن بقايا مقبرتها الأصلية والذى عثر فيه على تابوتها وكان خالياً من موميائها ، كما عثر على أثاثها الجنائزى المكون من قطع كثيرة ذات ذوق رفيع . ويبلغ طول كل ضلع من أضلاع هذا الهرم ٤٥ متراً ولا يزيد ارتفاعه الحالى على ٦ أمتار ، وزاوية ميله ٥١ درجة .



منظر من الجو للجهة الجنوبية الشرقية لهرم خوفو حيث يظهر « متحف مركب خوفو » فى الجهة الجنوبية ، وتظهر الأهرام الصغيرة الثلاثة التابعة له فى الجهة الشرقية



بعض قطع الأثاث الجنائزى التى عثر عليها بمقبرة الملكة « حتب حرس » - زوجة الملك سنفرو وأم الملك خوفو - وجميع هذه القطع وغيرها من القطع الأخرى تدل على الفخامة ودقة الصنع والذوق الرفيع



رسم تخطيطى لحجرة الدفن الخاصة بالملكة « حوتب حرس » - أم الملك خوفو - وتظهر فيها الآثار التى عثر عليها كما كانت فى أماكنها الأصلية

اكتشافات جديدة : مقابر العمال المصريين الذين بنوا أهرام الجيزة

كانت هناك تساؤلات كثيرة وإجابات غير مقنعة ولا مؤكدة حول العمال الذين قاموا بالأعمال التنفيذية فى بناء أهرام الجيزة . . أين كانوا يعيشون . . وكيف كانت حياتهم اليومية . . وأين دفنوا عندما انتقلوا إلى العالم الآخر ؟ . . وللأسف الشديد كانت هناك فكرة شائعة بأن هؤلاء العمال قد سخروا فى بناء الأهرام ، وذلك بناء على ذكره هيرودوت . . وفكرة شائعة أخرى بأنهم كانوا من العبيد والأسرى ، وهى الفكرة التى كرسها الفيلم السينمائى الذى أخرجه سيسل دى ميل بناء على ما دوّن فى نصوص التوراة . . بالإضافة إلى الأكاذيب والخرافات الأخرى التى تقول إن قوما هبطوا من السماء أو جاءوا من قارة أطلانتس هم الذين بنوا الأهرام منذ أكثر من عشرة آلاف سنة !

* ومنذ أواخر القرن التاسع عشر ، وبالتحديد خلال الفترة بين عامى ١٨٨٠ - ١٨٨٢ م بدأ البحث عن مساكن هؤلاء العمال الذين ساهموا فى بناء أهرام الجيزة ، حيث قام عالم الآثار « سير فلندرز بترى » بعدة حفائر عثر فيها على بقاياما يقدر بنحو ١١١ عنبراً قال إنها كانت تتسع لإقامة نحو ٥٥٠٠ عامل ، ولكن لم يتم العثور بين هذه البقايا على ما يدل على انها كانت مسكونة ، مثل بقايا العظام أو رماد المواقد أو أى شىء آخر من هذا القبيل . . وقد اكتشف علماء الآثار فيما بعد أن هذه العنابر كانت مخازن لتخزين مستلزمات البناء ولم تكن مخصصة لسكنى العمال .

* وفى خلال عام ١٩٥٥ اكتشف « ج . رايزنر » ومن بعده عالم الآثار الاستاذ الدكتور عبد العزيز صالح مجموعة من مساكن العمال الذين اشتركوا فى بناء هرم «منكاورع» فى منطقة تقع فى الشرق من هذا الهرم .

* وعلى بعد نحو كيلو متر واحد من منطقة أهرام الجيزة ، تم العثور حديثاً على جبانة واسعة كانت مخصصة للعمال الذين ساهموا فى بناء تلك الأهرام بمن فيهم من المهندسين والفنانين والحرفيين ورؤساء العمال والعمال المهرة والعاديين . . واكتشفت حتى الآن ٣٠ مقبرة كبيرة ونحو ٦٠٠ مقبرة صغيرة . . وقد بنيت هذه المقابر على مستويين : المستوى العلوى منهما كان مخصصاً لكبار العاملين الذين كانوا يحملون بعض الألقاب والصفات التى كانت تميزهم عن الآخرين .

* كذلك فقد أسفرت الحفائر الحديثة التى أجريت فى مناطق نزلة السمان ونزلة السيسى ونزلة البطران وكفر الجبل عن أن تلك المناطق كانت من المناطق المأهولة بكثافة سكانية فى عصر الدولة القديمة ، حيث تم العثور على آلاف من كسرات القطع الأثرية من الأدوات التى كانت مستخدمة فى الحياة اليومية لهؤلاء السكان القدماء مثل أفران الخبز وأوانى الطبخ وأوانى الجعة ورحايا طحن الحبوب ومجموعة كبيرة من كسرات الأوانى الفخارية ذات اللون الأحمر .

* ويدل وجود بعض الأفران الكبيرة وبقايا عظام الحيوانات والخضراوات على أن هذه المناطق كانت تقوم بتزويد عمال بناء الأهرام بما كانوا يحتاجونه - هم وأسراتهم - من طعام وجرايات يومية تتضمن الخبز واللحوم والخضراوات .

* كذلك فقد تم اكتشاف بقايا مبنى كان فيما يبدو مركزاً للشرطة وللموظفين الحكوميين الذين كانوا يقومون بالإشراف على توزيع مخصصات العمال من الطعام الذى كان يوزع عليهم يومياً .

* وقد كتب هيرودوت حين زار مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد - أى بعد بناء الأهرام بنحو ألفى عام - إن عدد العمال الذين قاموا ببناء هرم خوفو كان ١٠٠ ألف عامل يشتغلون لمدة ٣ شهور كل عام وعلى مدى ٢٠ عاماً متواصلة . غير أن بعض المؤرخين وعلماء الآثار المحدثين يقولون إن هذه الأرقام مبالغ فيها إلى حد كبير ، حيث لا يزيد عدد هؤلاء العمال على ٣٠ ألفاً كانوا يعيشون فى تلك المناطق فى بيوت مجاورة



على بعدنحو كيلو متر واحد من منطقة أهرام الجيزة ، اكتشفت حديثاً جبانة واسعة تحتوى على حوالى ٣٠ مقبرة كبيرة ونحو ٦٠٠ مقبرة صغيرة دفن فيها الفنانون والمهندسون والبناؤون والعمال الذين اشتركوا فى عمليات بناء أهرام الجيزة .. وذلك على غرار جبانة دير المدينة بغرب الأقصر التى دفن فيها المشتركون فى انشاء مقابر وادى الملوك فى عصر الدولة الحديثة

لبيوت السكان الذين كانوا يعيشون فى المناطق نفسها ، وكانوا يذهبون إلى مواقع أعمالهم بصفة يومية منتظمة .

* وبالتالى يقرر هؤلاء المؤرخون والمحللون ان عمال بناء الأهرام لم يكونوا عبيداً ولا أسرى ، وإنما كانوا مصريين أحراراً يشتركون فى عمل قومى ذى طابع دينى عقائدى، ويحصلون على أجورهم العينية أولاً بأول وبصفة يومية .



اكتشافات جديدة : سراديب هضبة الأهرام .. وضريح لأوزيريس

فى بداية السبعينيات جاءنى صديق لى أعرف يقيناً انه من عشاق الآثار المصرية بالرغم من انه متخصص فى « العلوم » . . وقد أتيح له بحكم عمله فى هذا التخصص أن يجوب الديار المصرية طولاً وعرضاً، جنوباً وشمالا وشرقاً وغرباً . . وكان ينتهز هذه الجولات لزيارة ما قد يكون فى تلك المناطق من آثار ترجع إلى كل العصور التاريخية التى مرت بمصر . . وحكى لى هذا الصديق حكاية غريبة جدا عن وجود سراديب سرية فى منطقة هضبة الأهرام بالجيزة ، وان علماء الآثار حاروا فى تفسير وجود هذه السراديب فى هذه المنطقة ، فبعضهم يقول إن أحد هذه السراديب يؤدى إلى بئر ذى مياه نقية صالحة للشرب . . وآخرون يقولون إن بعض هذه السراديب يصل بين الأهرام وأبى الهول . . وآخرون يقولون إنها قد تحتوى على مقابر دفن فيها بعض رجال الدولة المهمين ، إلا أن جميع هذه الأقاويل كانت أقرب إلى التخمين منها إلى الحقائق التاريخية والأثرية . . واختتم صديقى حكايته الغريبة بأنه جازف بالدخول إلى أحد هذه السراديب وسار فيه مسافة طويلة ، ولكنه تراجع فى نهاية الأمر خوفاً من الضياع فى المجهول .

* وهذا السرداب بالذات كان معروفا لدى الأثريين المصريين باسم « البئر » أو «البير » وذكرته بعض المراجع الأجنبية باسم WATER SHAFT وذلك لمعرفة الجميع بأنه ينتهى ببئر عميقة تحتوى على مياه نقية صالحة للشرب . . ويقع هذا السرداب أسفل الطريق الصاعد الخاص بالمجموعة الهرمية لهرم « خفرع » وعلى وجه التحديد فى المسافة بين هذا الهرم وتمثال أبى الهول .

* ومن المعلومات التاريخية الشائعة ما كتبه « هيرودوت » فى حديثة عن مصر حين

زارها فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد من أن الملك خوفو مدفون فى تابوت حجرى موضوع فى سرداب عميق تحت هرمه فى مكان يشبه جزيرة صغيرة تحيط بها مياه النيل التى تصل إلى هذا المكان بطريقة لا يعلمها أحد . وبطبيعة الحال فإن هيرودوت لم يدخل إلى هذا السرداب ، ولم يشاهد تلك الجزيرة ، ولم ير ذلك التابوت ، وانما ردد هذا الحديث بناء على أقوال مجموعة الأدلاء الذين كان يستعين بهم فى حشو دماغه بالمعلومات المثيرة والغريبة عن قدماء المصريين .

* وبالرغم من مرور آلاف السنين على وجود سرداب « البئر » فى مكانه إلا أن أحداً لم يحاول معرفة سر هذا البئر ولا سر السرداب معرفة موثقة أكيدة . . كما أن أحداً من الأثريين المصريين أو الأجانب لم يقدم لنا دراسة علمية موثقة عن هذا الموضوع .

* ولكن منذ بداية عام ١٩٩٩ وضع الدكتور زاهى حواس هذا السرداب ضمن دائرة اهتماماته بالتاريخ المصرى القديم وعشقه الواضح لعمليات الحفائر الأثرية بقصد اكتشاف المزيد من الآثار المصرية ، فقرر أن يميط اللثام عن سر هذا السرداب وسرْ بئر المياه إن كانت لهما أسرار . . وأعلن الدكتور زاهى حواس ان السرداب يتكون من مراحل ثلاث على مستويات وأعماق مختلفة ويصل عمقها الاجمالى نحو ٣٢ متراً .

* وفى المرحلة الأولى لم يتم العثور على شىء . . وفى المرحلة الثانية كانت هناك بعض الحجرات المنحوتة فى جدران السرداب ، وكان بها تابوت من الجرانيت وجدت به قطع من العظام الآدمية وكسرات من الفخار تبين بفحصها انها ترجع إلى عصر الأسرة ٢٦ [القرن السابع قبل الميلاد] . . أما فى المرحلة الثالثة والأخيرة فقد تبين ان عمق مياه البئر حوالى ٦ أمتار ، فقام بازاحة كميات هائلة من هذه المياه فعثر على تابوت ضخم كما عثر على بعض القطع الأثرية من العظام البشرية والأخشاب وتبين من فحصها علميا أن تاريخها يرجع إلى عصر الدولة الحديثة [حوالى القرن الخامس عشر قبل الميلاد] . . أما التابوت الضخم فقد كان خاليا وتبين انه تابوت « رمزى » للإله أوزيريس إله العالم السفلى فى عقيدة قدماء المصريين . . وكان هذا هو الاكتشاف الجديد الذى ظل سراً مكنوناً حتى الآن .

* ومعنى ذلك أن هذا السرداب والتابوت الذى تم اكتشافه كان عبارة عن «ضريح» رمزى للإله أوزيريس مثل الضريح الرمزى المماثل والموجود فى منطقة أبيدوس [حالياً العرابة المدفونة بمحافظة سوهاج] . . ومن المحتمل والمفترض أن قدماء المصريين كانوا يحرصون على إقامة مثل هذه الأضرحة الرمزية لأوزيريس فى معظم الأقاليم المصرية . . فقد كان هذا الإله يرمز أيضا إلى فكرة الخصب والنماء وتجدد الحياة بعد الموت . . وكانت هذه الأضرحة أماكن مقدسة ـ خصوصاً الضريح الموجود فى العرابة المدفونة – يحج إليها المصريون القدماء من كافة الطبقات والمستويات الاجتماعية بدءاً من ملوك مصر إلى أبناء الشعب العاديين .



الهرم الأكبر .. وأكذوبة اكتشاف مراكب الشمس

لى مع هذه الأكذوبة عدة حكايات ووقفات استمرت بصفة متقطعة خلال فترة طويلة تجاوزت أربعين عاماً بدأت فى شهر يونيو من عام ١٩٥٤ . . وكنت حينذاك طالباً بالسنة الثالثة بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وقد اسعدتنى الأخبار التى نشرت بالصحف عن مهندس مصرى اسمه كمال الملاخ استطاع اكتشاف « مراكب الشمس » الخاصة بالملك خوفو . . وقد وصف هذا الاكتشاف أيامذاك بأنه أعظم الاكتشافات الأثرية فى القرن العشرين ، بل وأعظم من اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون التى اكتشفت عام ١٩٢٢ . كانت فرحتى شديدة بظهور عالم آثار مصرى نسب إليه هذا الاكتشاف الأثرى العظيم ، بينما كانت معظم - إن لم يكن كل - الاكتشافات الأثرية فى مصر منسوبة إلى علماء أجانب . . وانطلاقا من هذا الحس الوطنى قررت الذهاب إلى منطقة هذا الاكتشاف بجنوب الهرم الأكبر لتهنئة المهندس كمال الملاخ الذى ذاعت شهرته فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى ذلك الوقت باعتباره « مكتشف مراكب الشمس » . . ولكنه لم يكن موجوداً بالموقع فلم يتم اللقاء المنشود .

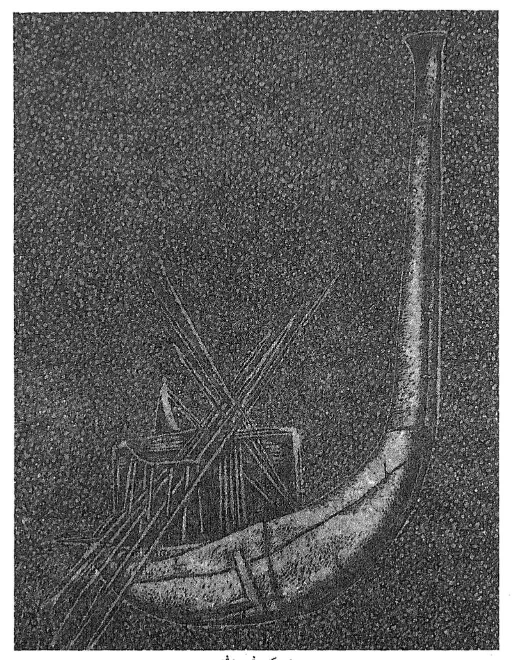
* وفى هذه الزيارة الأولى لموقع الاكتشاف تعرفت على « الريس تهامى » رئيس العمال الذين كانوا يعملون فى الموقع ، وهو رجل صعيدى وقور ذو ملامح مصرية خالصة وكأنه خرج من النقوش المصرية القديمة بعد أن دبت فيه الحياة . . وعندما عرف الرجل انى جئت لتهنئة المهندس كمال الملاخ باعتباره أول عالم مصرى يقوم بمثل هذا الاكتشاف الأثرى العظيم ، قال بطريقة أهل الصعيد حين يحسمون الأمور : إذا كنت تريد حقا أن تهنىء مكتشف المركب ، فاذهب وهنىء « المعلم جرس ينى » فهو

المكتشف الحقيقى لهذا المركب ، وأشار إلى رجل كهل كان يقف بعيداً ويرتدى جلباباً بلدياً ويضع على رأسه طربوشا أحمر .

* وعندما سألت « المعلم جرس ينى » عن حقيقة ما قيل لى من انه المكتشف الحقيقى للمركب ، أجابنى بصوت هادىء وبلهجة صعيدية خالصة وقال ما معناه : يا بنى لم يكن هناك اكتشاف أثرى ولا يحزنون . . وكل ما فى الأمر اننا كنا نزيل طبقات وأكوام الرمال والأتربة المتراكمة على مدى آلاف السنين فى هذه المنطقة بجنوب الهرم عثرنا على ما يدل على وجود هاتين الحفرتين المتجاورتين ، فذهبت فوراً إلى بيت الاستاذ محمد زكى نور رئيس تفتيش منطقة آثار الأهرام باعتباره رئيسنا كلنا لأبلغه بذلك ، ولكنه لم يكن موجوداً بالبيت ، وقيل لى انه فى مستشفى قصر العينى لأن ابنته الصغيرة مريضة جداً ، فاضطررت إلى الذهاب إلى الجرنال الذى يعمل فيه المهندس كمال الملاخ الذى كان معينا من قبل مصلحة الآثار للإشراف على العمال بمنطقة آثار الهرم لأبلغه بأمر هاتين الحفرتين ، فقيل لى انه موجود هو والاستاذ أنيس منصور فى مقهى اسمه الاكسلسيور بشارع سليمان باشا . . فذهبت إليه هناك وأبلغته بالأمر فقام فوراً وأخذنا تاكسيا وجئنا إلى هنا ، وكان معه الاستاذ أنيس وشخصان آخران لا أعرفهما . . وكان ما كان !

* وكان هذا الحديث مع المعلم جرس ينى سبباً فى اهتزاز ثقتى فيما كان يدعيه المهندس كمال الملاخ من انه « مكتشف مراكب الشمس » . . وظل هذا الاهتزاز كامناً فى نفسى إلى أن تأكدت منه تماماً بعد أن بحثت هذا الموضوع بحثا دقيقا مدعماً بالوثائق الرسمية عندما شرعت فى تأليف كتابى الوثائقى « مراكب خوفو . . حقائق لا أكاذيب» بعد مرور أكثر من ثلاثين عاماً على لقائى مع « المعلم جرس ينى » .

* وفى شهر مايو ١٩٥٨ ذهبت أنا وصديقى المرحوم الاستاذ محمد العزب موسى إلى مقر الجمعية الجغرافية المصرية بشارع قصر العينى لحضور محاضرة علمية ألقاها العالم الكبير المرحوم الاستاذ الدكتور عبد المنعم أبو بكر وكان عنوانها « مراكب الشمس » . . وفى هذه المحاضرة أثبت سيادته باستاذية العالم المتمكن والمتمرس بأسرار التاريخ وعلم



مـركب خـــوفو

الآثار إن إطلاق صفة « مراكب الشمس » على « مراكب خوفو» وبالذات على المركب الذى عثر عليه مدفوناً بجنوب الهرم الأكبر يعتبر بكافة المعايير عملاً غير علمى ، وان هذا المركب لا يمت بأدنى صلة إلى طبيعة تصميم مراكب الشمس ، وان الغرض من مراكب خوفو هذه يختلف تماماً وكلية عن الغرض الذى كان يقصده المصريون القدماء بمراكب الشمس .

* وخرجت من تلك المحاضرة العلمية القيمة وقد تأكد اهتزاز ثقتى فى لقب «مكتشف مراكب الشمس » الذى أطلقه المهندس كمال الملاخ على نفسه ، فلا هو الذى اكتشفها . . ولا هى مراكب شمس ! . . وهكذا بدأت منذ ذلك الحين استجمع كل العناصر العلمية التى عثرت عليها فى المراجع المصرية والأجنبية حول هذا الموضوع توثيقاً للمعلومات والموضوعات التى تناولها فى كتابى سالف الذكر والذى صدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٩ وطبعته الثالثة عام ١٩٩٩ .



زيارة علمية لمتحف « مركب خوفو »

فى تصورى ان زيارة هرم خوفو لا تكتمل إلا بزيارة المتحف الذى يعرض فيه المركب الجنائزى الخاص بهذا الملك العظيم ، والذى يقع مجاوراً للضلع الجنوبى للهرم . . ومن المعروف أن جميع متاحف الدنيا قد تتضمن عشرات أو مئات التحف الفنية أو الأثرية ، إلا أن متحف « مركب خوفو » لا يتضمن سوى قطعة أثرية واحدة ، ولكن هذه القطعة تفوق فى أهميتها وقيمتها الفنية والأثرية ما قد تعرضه عشرات المتاحف ، فهى أقدم مركب عثر عليه الانسان حيث يتجاوز عمره ستة وأربعين قرناً من الزمان !

* وزائر هذا المتحف يعامل كما لو كان سيدخل إلى محراب فى مكان طهور . . فهناك عمال سيغطون حذاءه بغلاف من قماش سميك نظيف قبل أن يبدأ أولى خطواته إلى داخل المتحف . . وعندما يصل إلى صالة العرض الرئيسية سيجدها صالة ضخمة عالية السقف واسعة الأرجاء ومكيفة الهواء . . وأول ما سوف تقع عليه عيناه هو قاع المركب وشكله العام بكل جسامته وروعته . . وسيلاحظ أن المركب محمول على قاعدة من الأعمدة والقوائم الحديدية ترتفع عن مستوى الأرض بنحو ٧,٧٠ مترا . . ثم يواصل الزائر السير فيصعد سلماً يؤدى إلى « تراس » طويل يمتد بطول المركب ويرتفع عن مستوى الأرض بنحو ١١,٦٠ متراً .

* ومن هذا « التراس » يستمتع الزائر برؤية المركب بكامله . . ويستطيع أن يرى «المقصورة الملكية » التى تتكون من حجرتين متداخلتين ، الحجرة الأولى صغيرة ومفتوحة فى اتجاه المقدمة ، والحجرة الثانية كبيرة واسعة يفصلها عن الحجرة الأولى باب يمكن إغلاقه « بالترابيس » وسقفها مزدوج ومحمول من الداخل على ثلاثة من الأعمدة الخشبية مخروطة على شكل النخيل ، ويحمل السقف من الخارج ٣٦ عموداً خشبيا على

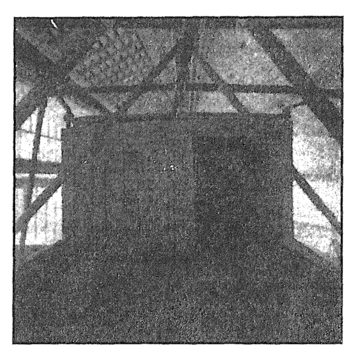
شكل أوتاد الخيام . . وقد عثر ضمن أجزاء المركب على مجموعة كبيرة من مختلف أنواع الحصير . . كان بعضها يستعمل لتغطية سقف المقصورة الملكية من الخارج إتقاءً لحرارة الشمس ، أو لترش بالماء فتقوم مقام أجهزة الترطيب والتكييف .

* وفى مقدمة المركب مقصورة صغيرة كانت مخصصة للربان المشرف على تسيير المركب أثناء إبحاره فى النيل . . وعلى جانبى المركب عشرة مجاديف خمسة منها على كل جانب . . وهى مجاديف طويلة ضخمة تتراوح أطوالها ما بين ٥ , ٦ مترا و ٥ , ٨ مترا . . بالإضافة إلى مجدافين آخرين فى مؤخرة المركب كانا يقومان مقام الدفة التى تتحكم فى اتجاهات المركب أثناء الابحار . . كما أن هناك عصا طويلة كانت تستعمل «كمدراة » لقياس عمق المياه ، ووتدين لربط المرساة ، ومطرقةخشبية ضخمة لدق الأوتاد .

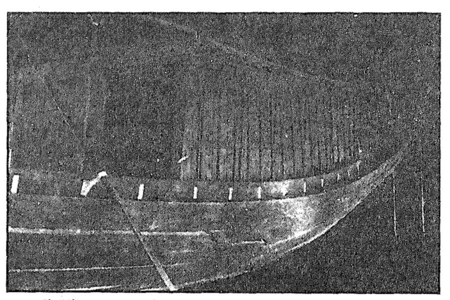
* ويبلغ طول المركب ٤٣,٤ مترا ، ويبلغ أقصى عرضه ٥,٩ مترا وأقصى ارتفاع لمقدمته ٦ أمتار ، وترتفع مؤخرته إلى ٧,٥ مترا ، وعمق غاطسه ١,٧٨ مترا . . وقد تم قياس هذه الأطوال بعد إعادة تركيب المركب حتى أخذ شكله النهائى طبقا لما هو عليه الآن ، حيث عثر عليه فى بداية الأمر وكان مفككا إلى ٦٥٠ جزءاً ، وتتكون هذه الأجزاء من ١٢٢٤ قطعة من أخشاب الأرز وبعض أنواع من الأخشاب الأخرى . . ويبلغ متوسط طول القطع الكبيرة من هذه الأخشاب نحو ٢٣ متراً ، ويصل وزن القطعة الواحدة منها نحو طنين ونصف طن . . كما أن هناك قطعاً أخرى لا يتجاوز طولها ١٠ سنتيمترات . وكانت جميع هذه القطع والأجزاء مرصوصة ومرتبة بنظام دقيق وعناية شديدة داخل الحفرة التى كانت مدفونة فيها .

* والمركب فى شكله وتصميمه الهندسى النهائى الذى نراه الآن يختلف تماماً عن شكل وتصميم مراكب الشمس ، حيث أن هذه المراكب الأخيرة تعتبر مراكب رمزية ذات تصميم هندسى خاص سواء فى شكل المقدمة والمؤخرة ومنشآتها العلوية ، وهو تصميم هندسى يختلف عن تصميم مركب خوفو ، الأمر الذى يجعل وصف هذا المركب بأنه من مراكب الشمس يعتبر وصفاً غير علمى ولا يعبر عن الحقيقة .

* أما الحفرة التى عثر فيها على أجزاء مركب خوفو فمازالت فى مكانها ، وهى الآن



مدخل المقصورة الملكية بمركب خوفو



الجانب الأيمن للمقصورة الملكية .. وإلى اليمين تظهر مؤخرة المركب ومجدافا الدفة

بداخل مبنى المتحف ، وهى حفرة عميقة مستطيلة الشكل ومحفورة فى بطن الصخر . . ويبلغ طولها ٣١ متراً وعرضها ٢,٦٠ مترا وعمقها ٣,٥ متراً . . ومازالت مغطاة ببعض الكتل الحجرية التى كانت تغطيها . وكان عدد هذه الكتل ٤١ كتلة ، ويبلغ متوسط وزن الكتلة الواحدة حوالى ١٨ طناً ويبلغ طولها ٤,٥٠ مترا وسمكها ٨٥، - من المتر .

* وأخيراً يستطيع الزائر أن يشاهد مجموعة من الصور الفوتوجرافية المكبرة عن بعض مراحل العثور على المركب وعن حالته وهو مفكك وقبل رفع اجزائه من داخل الحفرة . . كما توجد بعض « الفتارين » الزجاجية عرضت فيها بعض الحبال وقطع الحصير الأثرية التى وجدت مدفونة ضمن أجزاء المركب . كما يعرض بداخل المتحف نموذج خشبى طبق الأصل للمركب [مصغر بنسبة ١ : ١٠ من الحجم الطبيعى] ليتسنى للزائر مشاهدة أجزاء المركب ومكوناته عن قرب .



زيارة لهرم خفرع وملحقاته

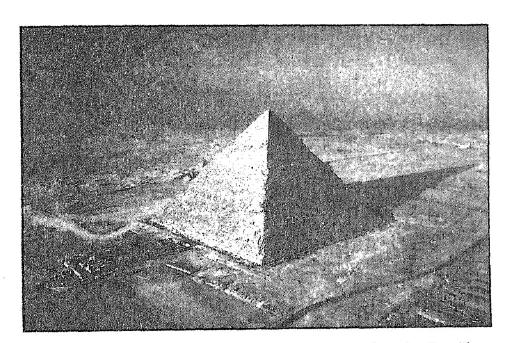
يعتقد الكثيرون أن الملك « خفرع » هو الذى خلف أباه خوفو فى الجلوس على عرش مصر . . ولكن هناك أدلة تاريخية وشواهد أثرية تدل على أن الذى خلف خوفو هو ابنه « جد دف رع » وهو الذى تولى عملية الاشراف على دفن أبيه ودفن أثاثه الجنائزى . . كما توجد أيضا بعض الشواهد التاريخية التى تدل على حدوث بعض المنازعات بين أبناء خوفو بعد وفاته ، الأمر الذى يؤيد قيام ابنه « جد دف رع » الذى اعتلى العرش لفترة تجاوزت ٨ سنوات بترك هضبة الجيزة وبناء هرمه فى منطقة « أبو رواش » . . ولكن بعد أن انتهينا من دراسة هرم خوفو وملحقاته فمن الأفضل أن نبقى فى هضبة الجيزة ونقوم بزيارة سريعة لهرم « خفرع » وملحقاته على أن نعود إلى زيارة هرم أبو رواش فيما بعد .

* وهرم خفرع معروف بأنه ثانى أهرام الجيزة من ناحية الحجم . . ومع ذلك فهو يبدو من بعيد كما لو كان حجمه مساوياً لحجم الهرم الأكبر . . وإذا عقدنا مقارنة لمقاييس هذين الهرمين لوجدنا ان الارتفاع الأصلى لهرم خفرع يبلغ من ٥ ,١٤٣ مترا، فى حين كان الارتفاع الأصلى لهرم خوفو ٦ ,١٤٦ مترا . أما الارتفاع الحال لهرم خفرع فهو ٤ ,١٣٦ مترا ، أما الارتفاع الحالى لهرم خوفو فهو ١٣٨,٧٥ مترا . . ويبلغ طول ضلع قاعدة هرم خفرع ٢٥ ,٢١٥ مترا بينما طول ضلع قاعدة هرم خوفو ٣٧ ,٢٣٠ مترا . . ومع ذلك فإن هرم خفرع أصغر حجما من الهرم الأكبر بنحو ٨٦٢ ألف متر مكعب إذ يبلغ حجمه التقديرى نحو ٢٠٠ ,١,٦٥٩ متر مكعب بينما يبلغ الحجم التقديرى لهرم خوفو نحو ١٠٠ ,٢,٥٢١ متر مكعب .

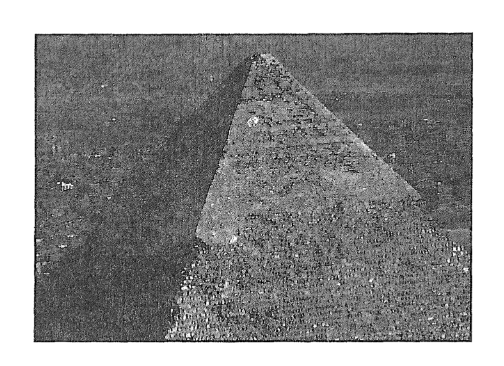
* وهرم خفرع هو الهرم الوحيد الذى مازال محتفظا فى قمته بجزء كبير من كسوته الخارجية المصنوعة من الحجر الجيرى المستجلب من محاجر طره التى تقع على الضفة

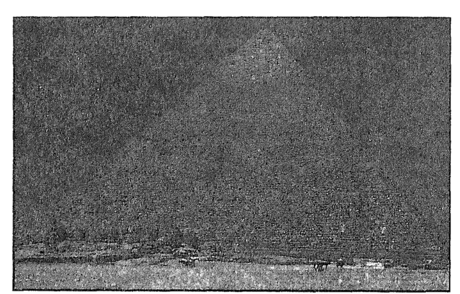


الجزء العلوى لتمثـــال الملك خفـــرع المصنوع من حجر الديوريـت وقد عثر عليـه ماريت مـدفونا فى أرضية معبد الوادى الملحـق بهرم خفرع .. وخفرع هو ابن الملك خوفو من زوجته « حنوت سن » وتولى عرش مصر بعد أن أزاح أخاه غير الشقيق « جددف رع» الذى تولى العرش بعد موت خوفو مباشرة



منظر من الجو لهرم خفرع .. كان ارتفاعه الأصلى ١٤٣,٥ مترا وارتفاعه الحالى ١٣٦,٤ مترا وطول كل ضلع من أضلاع قاعدته ٢١٥,٢٥ مترا وزاوية ميله ٥٠ درجة و ١٠ دقائق .. ويبلغ حجمه الكلى ١,٦٥٩,٢٠٠ مترامكعبا

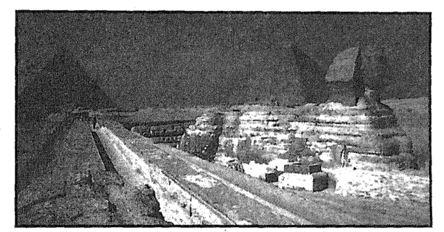




هرم خفرع هو الهرم الوحيد الذى مازال محتفظا بجزء من كسوته الخارجية من الحجر الجيرى المستجلب من محاجر طرة التى تقع فى الضفة الشرقية للنيل ويعتبر أكثر نعومة وبياضاً من الحجر الجيرى المستخرج من هضبة الجيزة والذى استعمل فى بناء الهرم



المغامر الإيطالى « جيوفانى باتيستا بلزونى » الذى قام بعدة اكتشافات للآثار المصرية منها :معبد أبو سمبل، ومقبرة سيتى الأول بوادى الملوك ، ومدخل هرم خفرع ، وكان بذلك أول من دخل إلى غرفة الدفن فى ٢ مارس ١٨١٨م [الصورة من معروضات الناشيونال جاليرى بلندن]



الطريق الصاعدالذى كان يصل بين المعبد الجنائزى ومعبدالوادى لهرم خفرع الذى يظهر فى يسارالصورة .. وعلى الجانب الأيمن للصورة نرى تمثال أبو الهول وهرم خوفو

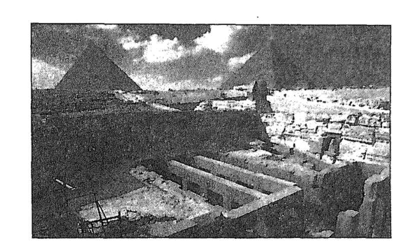
الشرقية للنيل بجبل المقطم ، ونوعية هذه الأحجار أفضل بكثير جدا من نوعية الأحجار الجيرية المستجلبة من محاجر هضبة الجيزة .

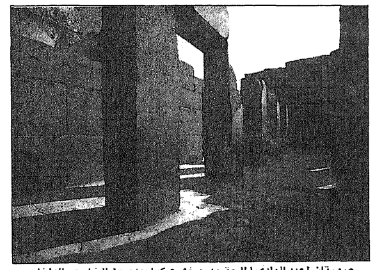
* وفى عام ١٨١٨ م استطاع المغامر المكتشف الإيطالى « جيوفانى باتيستا بلزونى» الوصول إلى غرفة الدفن بهرم خفرع ، وكان بذلك أول من اكتشف هذه الغرفة فى العصر الحديث . . وفى هذه الغرفة عثر بلزونى على تابوت ضخم من حجر الجرانيت ، وكان التابوت خالياً ولا يحتوى على أية نقوش أو كتابات . . وعلى أحد جدران تلك الغرفة سجل بلزونى اسمه وتاريخ اكتشافه للغرفة فى ٢ مارس ١٨١٨م .

* وفى منتصف الستينيات تقدم علماء أمريكيون من جامعة بيركلى بكاليفورنيا ومن معهد لورانس للاشعاع بمشروع للبحث عن وجود أو عدم وجود أية حجرات أو فراغات أو ممرات مازالت مجهولة بداخل هرم خوفو ، وذلك باستخدام « الأشعة الكونية » على أساس قياس مدى امتصاص هذه الأشعة عند اختراقها الكتل الحجرية بجسم الهرم . وقد تمت الموافقة على مشروع هذه التجربة على أن يشترك مع هؤلاء العلماء مجموعة مصرية من خبراء هيئة الآثار المصرية وأساتذة قسم الطبيعة النووية بكلية العلوم بجامعة عين شمس ، وتولى الاشراف على هذا المشروع البروفيسور «لويس ألفاريز » الحائز على جائزة نوبل فى علوم الطبيعة .

* ولكن الهرم الأكبر استعصى على هذه الوسيلة التكنولوجية الحديثة فى البحث العلمى نظراً لضيق ممراته التى منعت دخول الأجهزة العلمية لكبر حجمها . . ولذلك فقد قرر العلماء المشتركون فى المشروع الاتجاه إلى هرم خفرع الذى تسمح ممراته وحجراته الواسعة باستيعاب هذه الأجهزة . وقد تم فحص نحو ١٩ ٪ فقط من اجمالى حجم هرم خفرع ، وكانت النتيجة عدم العثور على أية فراغات مجهولة ، وقصور هذا الأسلوب العلمى وعدم كفايته للأبحاث الهرمية ، واقتنع العلماء فى نهاية الأمر بأن هذه الأبحاث تتطلب أجهزة أخرى أكثر كفاءة وتقدماً وأعلى حساسية .

* ومن ملحقات هرم خفرع المعبد الجنائزى ومعبد الوادى . . أما المعبد الجنائزى فهو مجاور للواجهة الشرقية للهرم ، وللأسف الشديد فقد اعتبره الأهالى محجراً فاستولوا





صورتان لمعبد الوادى الملحق بهرم خفرع كما يبدو من الخارج والداخل

على أحجاره ولم يبق منها سوى آثار قليلة وإن كانت تدل على انه كان أكبر وأوسع من المعبد الجنائزى الذى كان ملحقا لهرم خوفو . . ومن الغريب أن أحد الأحجار التى استخدمت فى بناد هذا المعبد يصل وزنه إلى ٤٠٠ طن . وقد اكتشف هذا المعبد سنة ١٩١٠ م .

* ويربط المعبد الجنائزى ومعبد الوادى طريق صاعد يصل طوله الى ٤٩٤ مترا وقد اكتشف « أوجست ماربيت » معبد الوادى عام ١٨٥٢م ، وهو مبنى من أحجار الجرانيت المستجلبة من محاجر أسوان . . وقد عثر فى هذا المعبد على قواعد لأربعة وعشرين تمثالاً للملك خفرع كانت منحوتة من حجر « الديوريت » ولم يبق من تلك التماثيل سوى تمثال واحد اكتشفه ماربيت ، وهو معروض حالياً بالمتحف المصرى .



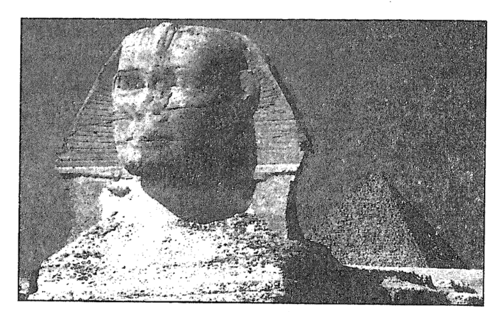
أوجست ماربيت مؤسس المتحف المصرى بالقاهرة والذى قام بعدة اكتشافات أثرية فى منطقتى الجيزة وسقارة

أبو الهول العظيم .. واسماؤه عبر التاريخ

هو أعظم وأضخم وأقدم تمثال أثرى فى تاريخ العالم . . استهوى خيالات الشعراء فنظموا فيه القصائد بمختلف اللغات ، كما كان موضوعاً أثيراً لدى المؤرخين والدارسين الجادين فكتبوا فيه العديد من البحوث والدراسات ، كما كان محلاً لأقاويل المضللين وهواة الشهرة الكاذبة فأطلقوا عليه أقوالاً على عواهنها وخرافات ليس لها أساس فى التاريخ أو أكاذيب مغرضة تجرد هذا التمثال العظيم من جنسيته المصرية . وظل هذا الأسد الذى يرمز إلى القوة ، برأسه الانسانى الذى يرمز إلى العقل والحكمة ، وابتسامته الصامتة الغامضة رابضاً ناظراً نحو الشرق ليستقبل شروق الشمس كل صباح على مدى آلاف السنين .

* والتمثال فى حقيقة الأمر كان عبارة عن كتلة صخرية ضخمة بارزة من الحجر الجيرى الذى تتكون منه هضبة الجيزة . . وهذا الحجر مكون من ثلاث طبقات مختلفة الصلابة والهشاشة ، ويرجع تاريخه الجيولوجى إلى عصر الأيوسين . . ولأن هذه الكتلة الصخرية تقع بين المعبد الجنائزى ومعبد الوادى لهرم خفرع ، فإن أرجح الآراء ترجع تاريخ نحت التمثال إلى عصر هذا الملك ، وبالرغم مما قيل فى تشكيل هذا التمثال فى عصور أخرى سابقة على هذا العصر . . وعلى سبيل المثال فقد قيل إن بناء التمثال قد تم قبل بناء أهرام الجيزة بعدة آلاف من السنين بواسطة حضارة غير مصرية لم تترك أثراً سواه . . كما قيل إن قوماً من قارة أطلانتس هم الذين بنوه وشيدوه وتركوا ملفاتهم التى تؤكد ذلك وتحكى عن تاريخهم المفقود مدفونةً فى حجرة سرية تحت جسم التمثال . . إلى آخر تلك الأقاويل والخزعبلات المضللة .

* ومنذ بناء التمثال وحتى الآن أطلقت عليه عدة أسماء . . فقد سمى فى بداية



أبو الهول العظيم متجهاً بوجهه نحو مشرق الشمس فى كل صباح

الأمر باسم « شسب عنخ » ومعناه « الصورة الحية » وهو الاسم الذى حرفه الإغريق القدماء إلى « سفنكس » . . وأطلقوا هذا الاسم الأخير على كائن خرافى ذكر فى الميثولوجيا الإغريقية له جسم أسد ورأس وصدر امرأة . . وقد شاعت تسمية تمثال « أبو الهول » باسم « سفنكس » فى معظم اللغات الأجنبية منذ ابتداع هذا الاسم وحتى الآن .

* ومنذ بداية عصر الاسرة الثامنة عشرة [نحو عام ١٥٥٠ ق م] أطلق على التمثال اسم جديد هو « حور إم آخت » ومعناه « حورس فى الأفق » وأصبح التمثال بالتالى معبوداً مقدساً باعتباره رمزاً للشمس . . وقد حور الإغريق القدماء اسم « حور إم آخت» إلى « حرماخيس » وظل هذا الاسم مستعملاً طوال العصر اليونانى الرومانى فى مصر ، وأصبح الناس من المصريين والأجانب يحجون إلى التمثال ويدورون حوله متعبدين .

* وقد يثور التساؤل : من أين إذن جاء اسم « أبو الهول » الذى أطلقه العرب على هذا التمثال ؟ . . ومن المعروف فى اللغة العربية أن « الهول » معناه الفزع أو الخوف الشديد ، مع ان التمثال لا يثير فزعاً ولا خوفاً . . ولكن أرجح الآراء ترجع هذا الاسم إلى حكاية تاريخية لا بأس من الاشارة إليها . . ففى خلال الفتوحات والتوسعات التى قامت بها الامبراطورية المصرية فى عصر الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ، وفدت إلى مصر مجموعات من الآسيويين الكنعانيين أقاموا فى منطقة بالقرب من مكان التمثال . . وكان هؤلاء الكنعانيون يعبدون إلها اسمه « حور حورون حول » وهو إله كبير يرمز إلى الصحراء وكانت عبادته منتشرة فى المناطق السورية . . وقد أطلق الكنعانيون اسم «بوحول » على المكان الذى كانوا يعيشون فيه بمصر بالقرب من التمثال . . وعندما فتح العرب مصر كان هذا الاسم مازال مستخدماً بالرغم من خلو المكان من جماعات الكنعانيين الذين كانوا يعيشون فيه . . وقد حرف العرب اسم «بوحول » إلى « أبو الهول» وأطلقوا هذا الاسم الجديد على التمثال وحده باعتباره أهم الموجودات التى بقيت فى تلك المنطقة .

أبو الهول .. وصراع طويل مع عاديات الزمن

على مدى أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة سنة ، ظل هذا التمثال العظيم صامداً أمام عاديات الزمن . . يصارعها وتصارعه . . تهب عليه عوامل التعرية من أمطار وعواصف رملية تنحر فى جسمه وكتفيه وذراعيه ، فتتفتت أحجاره وتتآكل ، وتغطيه أكوام الرمال حتى عنقه . . ومنذ العصور القديمة بعد بناء التمثال ، كان الحكام وكهنة المعابد يهرعون لنجدته ، فيزيلون ما تراكم عليه من رمال ، ويرممون ما تآكل من أحجاره وتلف . غير أن هذه الترميمات القديمة لم يرد لها ذكر ولا توثيق مكتوب إلا فى عصر الأسرة الثامنة عشرة [١٥٥٠ - ١٣٩٧ ق م] أى بعد حوالى ألف سنة من بناء التمثال .

* وكان التمثال فى تلك الفترة قد تحول إلى رمز لإله معبود باسم « حور إم آخت » أو « حور ماخيس » ومعناه « حورس فى الأفق » وكان الناس بمختلف طبقاتهم من حكام ومحكومين يحجون إليه للتبرك به وللصلاة فى معبده . وبالرغم من ذلك فقد كانت الرمال تزحف إليه وتغطى جسمه فلا يظهر سوى ر أسه .

* وأول ذكر مكتوب عن عملية إزالة الرمال التى كانت تغطى التمثال جاء منقوشاً على لوحة من حجر الجرانيت تم العثور عليها مدفونة بين ذراعى التمثال ويرجع تاريخها إلى عهد الملك تحوتمس الرابع [من الأسرة ١٨] وتحكى قصة عن الأمير تحوتمس قبل أن يعتلى العرش ، حيث كان فى رحلة صيد بالمنطقة المجاورة وغلبه النعاس فنام فى ظل التمثال الذى كان مدفوناً فى رمال الصحراء ، ورأى الأمير فى الحلم أن التمثال جاءه فى هيئة الإله « حور إم آخت » وبشره باعتلاء عرش مصر إذا وعده بإزالة الرمال المتراكمة

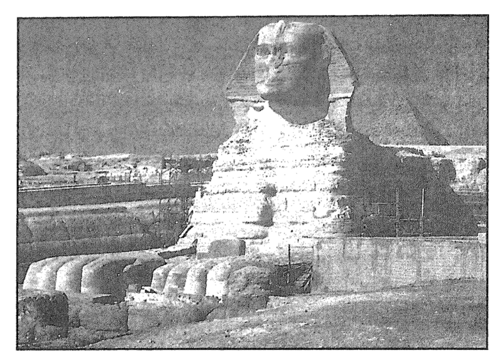
عليه والتى جعلته لا يستطيع التنفس بسهولة . وأوفى الأمير بوعده عندما أصبح ملكا على مصر .

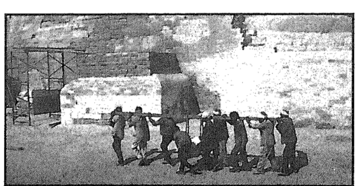
* ولكن سرعان ما تراكمت الرمال على التمثال مرة أخرى فى عهد رمسيس الثانى [الأسرة ١٩ - القرن ١٤ ق م] فأزيلت ورممت بعض أجزاء التمثال التى تعرضت للتلف . هذا ولم يتم العثور حتى الآن على أية كتابة أو توثيق يحكى لنا ما حدث للتمثال من حالات الظهور والاختفاء تحت أكوام الرمال ، لدرجة ان هيرودوت الذى زار مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد لم يذكر شيئا عن التمثال فى كتابه . . وظلت هذه الحالات مجهولة حتى العصر اليونانى الرومانى حيث تم العثور على ما يؤكد إجراء عمليات لإزالة الرمال وعمليات ترميم مازالت آثارها باقية حتى الآن ، خصوصاً تلك العمليات التى تمت فى عهد الامبراطورين الرومانيين ماركوس أورليوس ، وسبتيموس سفيروس فى الفترة بين عامى ١٦٠ - ٢١١ بعد الميلاد .

* وبمرور الزمن عادت الرمال إلى تغطية جسم التمثال فيما عدا رأسه الذى ظل ظاهراً ، وقد أشار إلى ذلك الرحالة الطبيب الفرنسى « بيير بيلون » الذى زار مصر عام ١٥٥٥م ووصف رأس التمثال وصفاً جيداً .

* أما المؤرخ « المقريزى » فقد وصف رأس التمثال وذكر أن تحته سرداباً سرياً يحتوى على جزء من كنوز الملك سليمان « ! » . . ومن أطرف ما حكاه المقريزى عن التمثال ان أحد المتصوفين واسمه « صائم الدهر » قام بتشويه وجه التمثال ، وقال إن فى أعقاب هذا التشويه زحفت الرمال على الأراضى الزراعية بالجيزة ، ونسب الأهالى هذه الكارثة إلى تكسير وجه « أبو الهول » وتشويهه . . وهذه الحكاية فى حدا ذاتها تعارض الإشاعة الكاذبة التى قيلت عن أن نابليون وجنوده هم الذين كسروا أنف أبو الهول . . ومن المعروف أن علماء الحملة الفرنسية [١٧٩٨ - ١٨٠١ م] هم الذين قاموا باجراء أول دراسات وقياسات علمية لهذا التمثال ووصفوا عظمته وخلوده .

* وفى عام ١٨١٦م وصف عالم الآثار جيوفانى كافيليا معالم التمثال واكتشف جزءاً من ذقنه المستعارة المنحوتة من الحجر . . وهذا الجزء معروض الآن فى المتحف

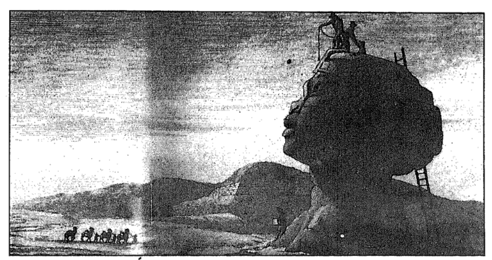




أبوالهول .. أثناء إجراء علميات ترميمه

البريطانى بلندن . . وظل جسم التمثال مدفونا فى الرمال حتى عنقه إلى أن قامت بعثة جامعة القاهرة باشراف الدكتور سليم حسن خلال فترة الثلاثينيات بالحفائر الأثرية وأعمال التنظيف والترميم التى أعطت للتمثال شكله ومظهره الحالى .

* ثم تعرض أبو الهول لأكبر مصيبة فى تاريخه وهى ارتفاع مستوى المياه الجوفية التى أدت بالتالى إلى ارتفاع رطوبة أحجاره فتلفت وتآكلت وسقط بعضها إلى أن أجريت للتمثال ترميمات صحيحة استخدمت فيها كتل صغيرة مناسبة من الحجر الجيرى المماثل تماماً للأحجار الأصلية للتمثال . . وأجريت هذه الترميمات الحديثة تحت إشراف عالم الآثار المدقق الدكتور زاهى حواس الذى اكتشف سرداباً فى الجانب الشمالى للتمثال ، وهو سرداب يؤدى إلى حجرة خالية ، الأمر الذى يؤكد لنا أن أبو الهول مازال يحتفظ بأسراره .



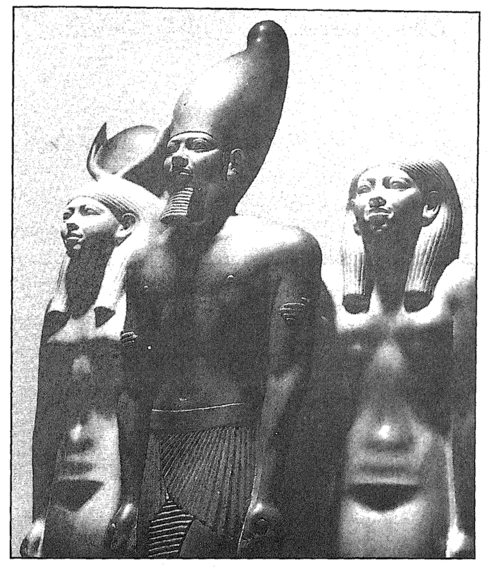
علماء الحملة الفرنسية أثناء قيامهم بعمل قياسات للجزء الذى كان ظاهراً من تمثال أبو الهول ـ من أعمال الفنان دينون المنشورة فى الكتاب الضخم الذى صدر فى فرنسا بعنوان « وصف مصر »

زيارة لهرم منكاورع .. وأهرامه الصغيرة الثلاثة

فى البداية أود أن أشير إلى أن صحة كتابة ونطق اسم هذا الملك هى «منكاورع» - بكسر حرف الميم وسكون حرف الواو - وليست « منقرع » كما هو شائع . . وهو صاحب الهرم الثالث من أهرام الجيزة . . وذكر هيرودوت فى حديثة عن مصر ان ذكرى هذا الملك فى العصور المتأخرة من التاريخ المصرى القديم ، وبعد مرور نحو ألفى عام على عصره ، كانت طيبة بين أبناء الشعب المصرى ، على عكس ذكرى أبيه خفرع وجده خوفو اللذين كانا يعتبران من الملوك الأشرار المستبدين . . وعلى أية حال فإن مثل هذه الأقوال كانت تلقى على عواهنها دون أن تستند إلى أساس يؤكدها . وقد تولى منكاورع عرش مصر خلفاً لأبيه خفرع واستمرت فترة حكمة نحو ١٨ سنة .

* وكان الاسم القديم للهرم الثالث هو « منكاورع المقدس » أو « منكاورع المؤله » . . وكان الارتفاع الأصلى لهذا الهرم ٦٥, ٦٦م ، أما ارتفاعه الحالى فهو ٥, ٦٥ م . وهو مقام على قاعدة مربعة يبلغ طول كل ضلع من أضلاعها ٤, ١٠٣ م أما زاوية ميله فتبلغ ٥١ درجة .

* ويتميز هرم « منكاورع » عن هرمى خوفو وخفرع بأن الثلث الأسفل من واجهاته مكسو بكتل من حجر الجرانيت الوردى المستجلب من محاجر أسوان ، أما الثلثان العلويان فهما مكسوان بالحجر الجيرى . . ومازال جزء كبير من الكسوة الجرانيتية باقياً حتى الآن خصوصاً فى الواجهة الشمالية للهرم حيث نرى تلك الفتحة المستطيلة المشوهة التى حفرت فى عصر المماليك كمحاولة للوصول إلى داخل الهرم . . أما المدخل الحقيقى للهرم فقد اكتشفه « فايس » و « بيرينج » أثناء قيامهما بالحفائر الأثرية لدراسة الهرم وملحقاته عام ١٨٣٧ م وأصبحا بذلك أول من دخل إلى هذا الهرم فى العصر الحديث .



تمثال ثلاثى للملك منكاورع وسط إلهتين من الآلهة المصرية .. حيث نرى الإلهة حتحور إلى يمينه وإحدى إلهات الأقاليم إلى يساره

* ويختلف التصميم الهندسى الداخلى لممرات هرم منكاورع وحجراته الداخلية عن التصميمين الهندسيين الداخليين لهرمى خوفو وخفرع ، فقد لوحظ وجود حجرة دفن ثانوية داخل هرم منكاورع عثر فيها على تابوت خشبى وجدت به بعض بقايا عظام بشرية . ويرجع تاريخ هذا التابوت إلى عصر أحدث كثيراً من عصر بناء هذا الهرم ، الأمر الذى يستدل منه أن الهرم قد اقتحم فى الأزمنة القديمة التالية على عصر بنائه .

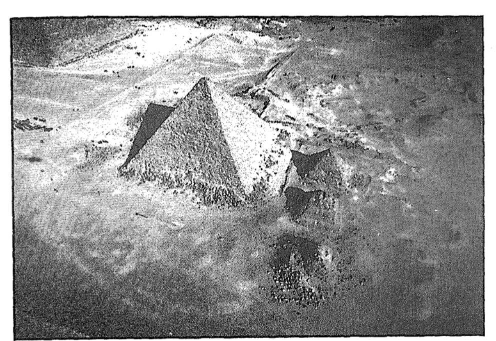
* أما حجرة الدفن الرئيسية التى دفن فيها الملك فقد عثر فيها على تابوت جميل من حجر البازلت الأسمر زينت واجهاته بنقوش محفورة على شكل بوابات القصور الملكية . وللأسف الشديد فقد غرق هذا التابوت بالقرب من شاطىء اسبانيا مع غرق السفينة التى كانت تنقله إلى انجلترا عام ١٨٣٨ م . . وفى داخل الهرم أيضا نرى بهوا يتضمن مجموعة من الفجوات الواسعة التى كانت مستخدمة لحفظ وتخزين الأثاث الجنائزى الذى دفن مع الملك .

* وبالقرب من الواجهة الجنوبية لهرم منكاورع نرى ثلاثة من الأهرام الصغيرة يقع أكبرها فى الطرف الشرقى ، وهو مقام على قاعدة مربعة يبلغ طول ضلعها ٣٦ متراً ويبلغ ارتفاعه نحو ١٠ أمتار ، وهو مبنى بكتل كبيرة من الحجر الجيرى ، وجزء منه كان مكسوراً بالجرانيت الوردى . . ويقول بعض الأثريين إن هذا الهرم كان مخصصا لدفن الملكة « خع مرر نبتى الثانية » التى كانت تعتبر الزوجة الملكية الرئيسية لمنكاورع .

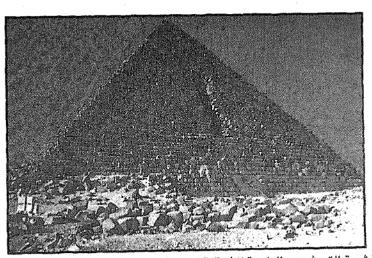
* أما الهرم الأوسط فيبلغ ارتفاعه نحو ٩ أمتار ويبلغ طول ضلع قاعدته المربعة ٣٦ متراً . . وعثر بداخله على تابوت من الجرانيت وجدت به بقايا عظام من مومياء شابة صغيرة ربما كانت أميرة أو إحدى الزوجات الثانويات للملك . كما عثر بداخل هذا الهرم على اسم الملك منكاورع مكتوباً بالمغرة الحمراء .

* أما الهرم الصغير الثالث فلا يعرف لمن أقيم .

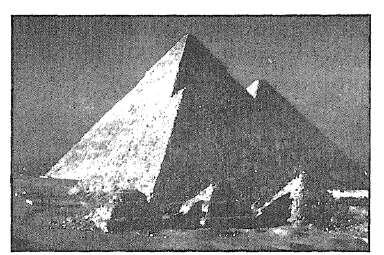
* وفى معبد الوادى الملحق بهرم منكاورع عثر عالم الآثار « ريزنر » على مجموعة من التماثيل الكبيرة والصغيرة تمثل الملك مع الإلهة « حتحور » وإحدى إلهات الأقاليم المصرية .



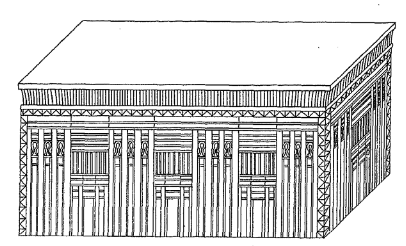
منظر من الجو لهرم منكاورع وتظهر فى الجانب الجنوبى منه الأهرام الصغيرة الثلاثة الملحقة به



الفتحة الغشيمة التى شوهت الواجهة الشمالية لهرم منكاورع والتى أجريت فى عصر المماليك لمحاولة الدخول إلى داخل الهرم .. وفى عام ١٨٣٧م اكتشف العالمان البريطانيان « فايس » و « بيرينج » المدخل الحقيقى للهرم

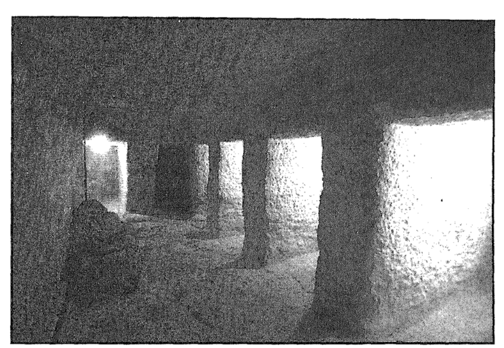


منظر من الجو للجهة الجنوبية لأهرام الجيزة الثلاثة ، ويبدو هرم منكاورع في مقدمة الصورة وأمامه الأهرام الصغيرة الثلاثة التابعة له .



في عـام ١٨٣٧ م تمكن المكتشفان البريطانيـان « هوارد فايس » و « جـون بيرينج » من اكتشـاف مـدخل هرم منكاورع ودخـلا إلى غرفـة الدفن حيث عثـرا على التـابوت الملكي الجميل الذي يرى رسمه في هذه الصورة ، ونقـلاه إلى انجلترا ، ولكن السفينة التي كانت تحمله غرقت أثناء إبحارها .

* وفى عام ١٩٩٦ عثر عالم الآثار الدكتور زاهى حواس أثناء الحفائر التى كانت تجرى تحت إشرافه على تمثال للملك رمسيس الثانى مع أحد الآلهة ، والتمثال منحوت من حجر الجرانيت ولكنه لم يكتمل .



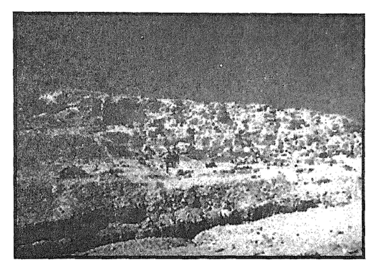
منظر للحجرة الملحقة بحجرة الدفن بهرم منكاورع .. ومن المحتمل أن هذه الحجرة قد استخدمت لتخزين الأثاث الجنائزى الذى دفن مع الملك .

زيارة سريعة لبقايا هرم « أبو رواش »

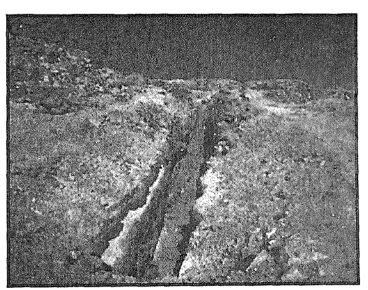
فى أعقاب وفاة الملك خوفو حدثت منازعات عائلية أدت بالتالى إلى منازعات سياسية بين أبنائه وأحفاده وسائر أعضاء الأسرة الملكية وقد انعكست هذه المنازعات على كهنة المعابد وكبار رجال الدولة ، بل وعلى جموع الشعب نفسه ، وحدثت انقسامات بين مؤيد ومعارض لفريق ضد فريق إلى أن انقضى عصر الأسرة الرابعة بأكملها ، وبدأ عصر جديد انتقلت فيه الخلافة على عرش مصر إلى ملوك الأسرة الخامسة .

* ومن المعلومات المغلوطة التى سادت طويلا تلك المعلومة التى تقول إن الملك «خفرع» صاحب الهرم الثانى من أهرام الجيزة هو الذى خلف أباه الملك خوفو على عرش مصر . . ولكن ظهرت حديثاً بعض الشواهد التاريخية والأثرية التى تؤكد ان الذى خلف خوفو فى الحكم هو ابنه الملك « جد دف رع » [بكسر وتعطيش حرف الجيم وكسر حرف الدال] حيث ثبت ان هذا الملك هو الذى أشرف على مراسم دفن أبيه ودفن أثاثه الجنائزى بما فى ذلك دفن وإخفاء المراكب التى سميت خطأ باسم مراكب الشمس ، حيث وجد اسمه مكتوباً على جدران وأحجار الحفرة التى دفن فيها أحد هذه المراكب والتى عثر عليها بالقرب من الواجهة الجنوبية للهرم الأكبر فى مايو عام ١٩٥٤ م .

* ويقول بعض المؤرخين إن « جد دف رع » هذا كان إبناً أنجبه خوفو من زوجة أجنبية غير مصرية ، وهو بذلك يعتبر مغتصباً للعرش حيث كان هناك من هو أولى منه فى الجلوس على عرش البلاد بصفة شرعية . وكان من نتيجة ذلك أن حكم « جد دف رع » لم يستمر أكثر من (٨) سنوات انتهى بعدها إلى مصير مجهول . . وقد عثر رجال الآثار على قفص خشبى للمساجين كان مدفوناً بعناية شديدة فى أسفل بئر عميق



بقايا آثار هرم الملك « جددف رع » بمنطقةأبو رواش .. ولا يزيد ارتفاع هذه البقايا عن ٩ أمتار .. و « جددف رع » هو ابن الملك خوفو وخليفته المباشر على عرش مصر .



فى الجانب الجنوبى الشرقى لهرم أبو رواش اكتشفت حفرة عميقة على شكل مركب طولها ٣٥ مترا وعرضها ٩,٥ مترا .. وعثر فيها على كسرات من التماثيل ومن بينها رأس تمثال للملك « جددف رع » وهو معروض حاليا فى متحف اللوفر بباريس

بالقرب من هرم خفرع . . وهذا القفص يشبه الزنزانة الضيقة التى لا يمكن الجلوس فيها كطريقة من طرق التعذيب . . ويرى عالم الآثار « ريزنر » ان فى هذا القفص سجن « جد دف رع » بعد انتصار خفرع عليه . . وهذا يفسر لنا عنايته بهذه الآله التعذيبية ودفنها بجوار هرمه .

* وكان من نتيجة هذه المنازعات أيضا ان ترك « جد دف رع » منطقة هضبة الجيزة وشرع فى بناء هرمه فى منطقة « أبو رواش » التى تبعد بنحو (٧) كيلو مترات عن منطقة الجيزة . وهذا الموقع كان فى الأصل جبانة واسعة شيدت فيها بعض المدافن التى يرجع تاريخها إلى عصر ما قبل الأسرات وعصر الأسرة الأولى .

* ومن بقايا هرم أبو رواش نستدل على أن الهرم لم يكتمل بناؤه بسبب قصر فترة حكم صاحبه وبسبب آخر هو ان الأهالى قاموا بهدم أجزائه للحصول على ما كانوا يحتاجونه من أحجار لبناء مساكنهم . ويقول عالم الآثار « بترى » الذى زار المنطقة ودرسها فى القرن التاسع عشر إن الأهالى استخدموا الهرم وملحقاته كمحجر ، وكانوا يحملون من أحجاره (٣٠٠) جمل كل يوم .

* ومن بقايا المجموعة الهرمية لهذا الهرم مازلنا نرى بعض كتل من الحجر الجيرى الذى كان مستخدماً فى بناء معبد الوادى الملحق بهذا الهرم وبقايا الطريق الصاعد الذى يمتد نحو (١,٥) كيلو متر . . أما بقايا المعبد الجنائزى فهى تقع فى شرقى الهرم .

* وبجوار الواجهة الجنوبية للهرم نرى حفرة خالية مكشوفة كانت منحوتة فى الصخر لدفن أحد المراكب التى كان يستخدمها الملك جد دف رع . . ويبلغ طول هذه الحفرة (٣٥) مترا وعرضها ٣,٧٥ م وعمقها ٩,٣٠ م . . وعثر تحت الرديم الذى كان يغطى هذه الحفرة على ثلاثة رؤوس تماثيل للملك ، اثنان منها معروضان حالياً فى متحف اللوفر بباريس والثالث معروض بالمتحف المصرى بالقاهرة .

* أما بقايا الهرم نفسه فيمكن أن نستدل منها على انه كان مقاماً على قاعدة مربعة يصل طول ضلعها إلى نحو (١٠٠) متر ، ويبلغ ارتفاعه الحالى نحو (١٢) متراً . . وعلى أية حال فإن المنطقة الأثرية فى أبو رواش مازالت فى حاجة إلى المزيد من الحفائر والبحوث العلمية حتى نتعرف على المزيد من أسرارها .

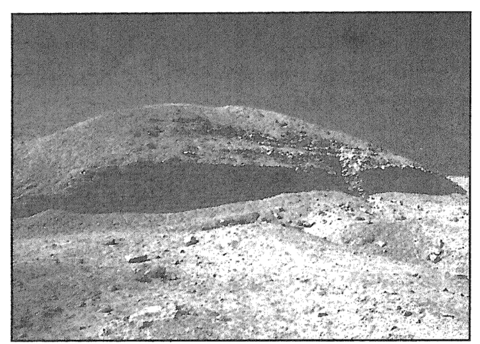
أهرام أبو صير وزاوية العريان

قد يكون من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، أن نقدم فى هذه الدراسات الموجزة أوصافا تفصيلية عن كل هرم من الأهرام التى بناها ملوك مصر اعتباراً من عصر الأسرة الثالثة بالدولة القديمة [٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ ق م] حتى عصر الأسرة الثالثة عشرة بالدولة الوسطى [٢٢٣٤ - ١٦٢٥ ق م] . . ومع ذلك فقد حرصنا على الاشارة إلى بعض الأهرام التى تقع فى بعض المناطق غير الشهيرة والتى قد تغيب عن أذهان الكثيرين من غير المتخصصين فى الآثار المصرية . . ومن هذه المناطق : منطقة «زاوية العريان » ومنطقة « أبو صير » وهما منطقتان تقعان جنوب منطقة أهرام الجيزة .

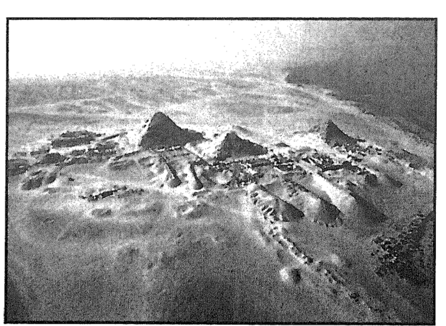
* أما منطقة زاوية العريان فهى تبعد بنحو كيلو مترين جنوب أهرام الجيزة . . وفى هذه المنطقة علينا أن ننسى أو نتناسى روعة وضخامة أهرام الجيزة ، حين نزور بقايا الهرمين غير المكتملين الموجودين فى زاوية العريان .

* الهرم الأول : يسمى « الهرم ذو الطبقات » . . ويقع فى الجزء الجنوبى للمنطقة . . وكان فى الأصل على شكل هرم مدرج ، ولا يزيد ارتفاع بقاياه القليلة الآن عن (١٦) مترا . . . ومن المعتقد ان صاحب هذا الهرم هو الملك « خع با » وهو من ملوك الأسرة الثالثة [٢٧٨٠ - ٢٦٨٠ ق م] . . وقد اكتشفت بقايا هذا الهرم أثناء الحفائر الأثرية التى كان يجريها عالم الآثار الايطالى « إلساندور بارسانتى » فى المنطقة خلال عام ١٩٠٠م .

* أما الهرم الثانى بزاوية العريان فبقاياه قليلة جدا . . ومن الواضح ان بناءه لم يكتمل منذ البداية . وقد اختلف علماء الآثار فى تحديد اسم الملك صاحب هذا الهرم ،



بُقايا آثار هرم مدرج بمنطقة زاوية العريان [التى تقع بين الجيزة وأبو صير] .. وقد اكتشف بقايا هذاالهرم العالم الإيطالى « أليساندرو بارسانتى » عام ١٩٠٠م



منظر من الجو لأهرام ملوك الأسرة الخامسةبمنطقة أبو صير ، ومن اليمين إلى اليسار نرى هرم الملك ساحورع .. ثم هرم نى وسر رع .. ثم هرم نفر إيركارع .

فبعضهم يقولون إن صاحبه هو أحد أبناء الملك « جد دف رع » الذى تولى الحكم لفترة قصيرة جداً [فى عصر الأسرة الرابعة] . . بينما يقول علماء آخرون إن صاحبه هو الملك «نب كا » وهو من ملوك الأسرة الثالثة . . وعلى أية حال فإن آثار منطقة زاوية العريان مازالت فى حاجة إلى المزيد من التنقيب الأثرى والبحث العلمى .

* وقبل أن ننتقل إلى منطقة أبو صير التى تبعد بنحو ٤,٥ كم شمال سقارة حيث نزور آثارها وأهرامها الأربعة التى بناها ملوك الأسرة الخامسة ، وقد يكون من الأفضل أن نلم إلماماً سريعاً بحكاية أسطورة مصرية قديمة مدونة على بردية معروفة الآن ببردية «وستكار » . . وتهدف هذه الحكاية إلى تبرير كيفية انتقال الحكم من ملوك الأسرة الرابعة إلى ملوك الأسرة الخامسة . . وتبدأ الحكاية فى عهد الملك خوفو حيث كان يعيش ساحر اسمه « ددى » . . ذهب هذا الساحر إلى خوفو وأخبره بأن امرأة اسمها « رد - ددت » وهى زوجه لأحد كهنة الإله رع ، زارها هذا الإله واتصل بها فأنجبت منه ثلاثة أطفال ذكور ، واخبرها الإله رع بأن هؤلاء الأطفال سيتولون عرش البلاد واحداً بعد الآخر . . وبطبيعة الحال فقد انزعج الملك خوفو من هذه الحكاية ، ولكن الساحر طمأنه بأن العرش سينتقل بعده إلى أولاده وأحفاده قبل أن ينتقل إلى هؤلاء الأطفال الثلاثة . . ومن المؤكد ان هذه الحكاية مفتعلة ودونت فى عصر الأسرة الخامسة لاقناع الشعب بأن ملوك هذه الأسرة تولوا عرش مصر بناءً على معجزة إلهية .

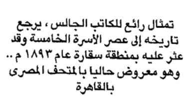
* ومنذ أن تولى الملك « ساحو رع » وهو ثانى ملوك الأسر الخامسة ، شرع فى بناء هرمه فى منطقة « أبو صير » التى أصبحت المنطقة الرئيسية لبناء أهرام الملوك الذين ينتمون إلى هذه الأسرة والذين خلفوه على عرش مصر . وتدل بقايا هذا الهرم على انه كان من طراز الأهرام المدرجة ، وهو مخرب تخريباً شديداً لأنه كان ردىء البناء فى الأصل . . وكان ارتفاعه الأصلى ٤٨ مترا وطول ضلع قاعدته ٧٨ مترا .

* وبجوار هذا الهرم نرى بقايا هرم الملك « نفر - إركا - رع » الذى تولى العرش بعد « ساحو رع » . ويعتبر هذا الهرم أكبر الأهرام التى شيدت فى منطقة أبو صير . وكان ارتفاعه الأصلى ٧٠ مترا وطول ضلع قاعدته ١٠٦ أمتار .



تمثال منحـوت من خشب الجميز للكاهن المصرى « كعبر » الـذى عـــاش فى بدايـة عصر الأسرة الخامسـة ، وقد اكتشف ماربيت هذا التمثـال فى منطقـة سقـارة عـام ١٨٦٠م ـ وقـد أطلق عليـه الأهالى والعمال الذيـن اشتركـوا فى الحفـر اسم «تمثـال شيخ البلد » لشدة الشبـه بين مـلامحه ومـــلامح شيخ البلـد فى تلك المنطقـــة .. وهو معروض حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة .





تمثال رائع للكاتب الجالس ، يرجع تاريخه إلى عصر الأسرة الخامسة وقد عثر عليه بمنطقة سقارة عام ١٨٩٣ م .. وهو معروض حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة

* وعلى مقربة من هذين الهرمين نرى بقايا هرم الملك « نفر إف رع » الذى حكم لفترة قصيرة جدا فلم يكتمل بناء هرمه .

* أما الهرم الأخير من أهرام أبو صير فقد بناه الملك « نوسر رع » . وتدل بقاياه المهدمة على أن ارتفاعه الأصلى كان ٥٢ مترا وطول ضلع قاعدته ٨٠ مترا . . ولأنه كان فى الأصل ردىء البناء فقد تهدم على مدى الزمن .

* أما أول ملوك الأسرة الخامسة وهو الملك « أوسر كاف » فقد اختار منطقة سقارة لبناء هرمه المعروف الآن باسم « الهرم المخربش » لشدة ما تعرض له من تخريب . . وكذلك فعل آخر ملكين من ملوك هذه الأسرة وهما : الملك « جد كا رع - إسيسى » الذى بنى الهرم المعروف الآن باسم « الهرم الشواف » بمنطقة سقارة . . والملك «أوناس» أو « ونيس » الذى بنى هرمه فى منطقة مجاورة لهرم زوسر المدرج بسقارة .



الأسرة السادسة .. وأهرامها الفقيرة رديئة البناء

لم يعرف إلى الآن على وجه اليقين السبب فى انتقال الحكم من ملوك الأسرة الخامسة إلى ملوك الأسرة السادسة . ومع ذلك فإن أرجح الآراء السائدة بين مؤرخى مصر القديمة ان الملك « تيتى » الذى تولى الحكم نحو عام ٢٤٢٠ ق م هو أول ملوك هذه الأسرة . . كما تدل الشواهد التاريخية على أن ملوك الأسرة السادسة تولوا الحكم وكانت البلاد على درجة كبيرة من الرخاء الذى تحقق نتيجة للعلاقات التجارية التى ساهمت فيها الأساطيل المصرية التى كانت تنقل الواردات والصادرات بين مصر ودول وشعوب البحر المتوسط فى الشمال والبحر الأحمر فى الجنوب . . ومع ذلك فقد انتهى حكم ملوك الأسرة السادسة بكارثة سياسية واجتماعية واقتصادية لم تشهدها مصر منذ عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية عصر هذه الأسرة .

* فقد عم الخراب فى أرجاء البلاد ، وفرضت على الشعب ضرائب فادحة شديدة القسوة ، وكان الموظفون المكلفون بتحصيل هذه الضرائب ينهبونها ويستولون عليها لأنفسهم أولاً بأول ، وتخلت الدولة عن واجباتها فى تطهير الترع والقنوات الزراعية ، فقل انتاج الحقول وانتشر الفساد بين حكام الأقاليم وكبار الموظفين والكهنة وقضاة المحاكم ، فلجأ الشعب إلى المعابد مستجيراً بالآلهة لكن تزيح عنه هذا البلاء ، ولكن هذه الآلهة لم يكن لها حول ولا قوة ، ففاض الكيل بالطبقات الفقيرة من الشعب من فلاحين وعمال ، وقاموا على الفور بأول ثورة اجتماعية شعبية فى تاريخ العالم ، ولكنها لم تكن ثورة منظمة بقدر ما كانت هبات من الفوضى الشاملة سادت فيها أعمال السلب والنهب وانعدام الأمن والأمان ، وتم اقتحام أهرام الملوك وقصورهم وقصور النبلاء

والأثرياء والاستيلاء على كل ما كانت تحتويه من ثروات ، كما هوجمت المعابد والمحاكم وبدأ العصر الذى أطلق عليه المؤرخون اسم « عصر الاضمحلال الأول » الذى استمر طوال عصور الأسرات من السابعة حتى الحادية عشرة .

* ومع ذلك فقد واصل ملوك الأسرة السادسة التقاليد الملكية المتوارثة فى بناء الأهرام . . فاختاروا منطقة سقارة لبناء أهرامهم ، ولكنها كانت أهراما فقيرة رديئة البناء ، لذلك فقد تهدمت على مدى الزمن ، وأصبحت بقاياها الآن عبارة عن أكوام من الحصى والرديم . . ولا بأس من أن نقوم بزيارة سريعة نتفحص بقايا هذه الأهرام .

* هرم تيتى : وهو أول ملوك هذه الأسرة . . وبدراسة بقايا هذا الهرم استطاع رجال الآثار معرفة أبعاده الهندسية ، فقرروا ان ارتفاعه الأصلى كان حوالى ٥٢,٥ م وطول ضلع قاعدته كان ٧٨,٥ م وزاوية ميله ٥٣ درجة . . أما بقايا ارتفاعه حالياً فلا تزيد عن ٢٠ متراً . . وفى حجرة الدفن عثر على تابوت من حجر البازلت الاسود ، وسقف هذه الحجرة مصمم على شكل جمالون مزخرف برسوم للنجوم ، وعلى جدرانها نقوش وكتابات من متون الأهرام .

* هرم الملكة « إبيوت » : وهى زوجة الملك تيتى . . وقد تهدم هذا الهرم الصغير ولا يزيد ارتفاع بقاياه عن ٤,٥ م . . وفى حجرة الدفن عثر على تابوت الملكة وبداخله بقايا من مومياتها . ويبدو ان اللصوص القدماء قد ثقبوا التابوت وخلعوا بعض المصوغات والمجوهرات التى كانت تزين مومياءها ، كما تم العثور على بعض الأوانى الرمزية الصغيرة المصنوعة من المرمر ، وعلى بعض الأوانى الأخرى المصنوعة من النحاس المطلى برقائق من الذهب .

* هرم بيبى الأول : وهو مخرب تخريبا كاملاً . . وبقاياه عبارة عن كوم يصل ارتفاعه الحالى نحو ١٢ متراً من فتات الطوب النيىء ورديم من الحصى والرمال .

* هرم مرن رع : وبقاياه مهدمة ومخربة . . وفى سنة ١٨٨١م استطاع عالم الآثار «ماسبيرو » الوصول إلى حجرة الدفن ، وعثر فيها على تابوت يحتوى على مومياء الملك ، وهى أقدم مومياء ملكية عثر عليها حتى الآن . . ومثل بقية أهرام الأسرة السادسة فإن جدران حجرة الدفن مزينة بنقوش وكتابات من متون الأهرام .

* هرم بيبى الثانى : وهو آخر ملوك هذه الأسرة واستمرت فترة حكمه أكثر من تسعين عاماً سادت فى أخرياتها الفوضى التى أدت إلى عصر الاضمحلال الأول فى التاريخ المصرى القديم . . أما بقايا الهرم فهى عبارة عن كوم من الرديم قليل الارتفاع . . ويتميز هذا الهرم بوجود ثلاثة أهرام صغيرة بجواره ، بنيت لدفن ثلاث من الملكات اللاتى تزوجهن الملك أثناء فترة حياته . . وهن الملكة « نيت » والملكة « إبيوت الثانية » والملكة « أوجبتن » . .



أهرام .. فى عصر الاضمحلال

أرجح الآراء التى استقر عليها كثيرون من علماء ودارسى التاريخ المصرى القديم ان عصر الاضمحلال الأول استمر نحو ثلاثة قرون بعد نهاية عصر الأسرة السادسة [٢٢٨٠ ق م] . . وقد شمل هذا العصر الأسرات من السابعة حتى الحادية عشرة ، حيث سادت الفوضى السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى ربوع البلاد من أقصاها إلى أقصاها نتيجة لضعف الملوك والحكام وقلة موارد الدولة وانعدام الأمن والأمان . وعلى سبيل المثال يقول المؤرخ المصرى القديم « مانيتون » الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد خلال عهدى بطلميوس الأول وبطلميوس الثانى ، إن عدد ملوك الأسرة السابعة وصل إلى سبعين ملكا حكموا خلال فترة لا تتجاوز سبعين يوماً ، وهذا قول غريب لا يمكن تصديقه وإن كانت له دلالة على مدى الخلل و الانحدار الذى وصلت إليه أحوال الأسرات الملكية التى حكمت البلاد فى ذلك العصر . . وهى أسرات لم تستطع إحداها أن تفرض سيطرتها على كامل الأرض المصرية فى الوجهين القبلى والبحرى .

* وبالرغم من أن الأهرام التى بناها ملوك الدولة القديمة [من الأسرة الثالثة حتى الأسرة السادسة] أصبحت الهدف الأول لعصابات السلب والنهب للاستيلاء على ما كانت تحتويه تلك الأهرام من كنوز نفيسة وحلى ومجوهرات كانت تزين مومياوات الملوك والملكات الذين دفنوا فيها ، إلا أن بعض ملوك الأسرات فى عصر الاضمحلال الأول حاولوا بناء أهرام لأنفسهم . . ولكن معظم هذه الأهرام لم يكتمل بناؤها ، وربما بسبب قصر فترة حكم أصحابها أو بسبب قلة الموارد الكافية لبناء هذه الأهرام . .

* وهناك الآن عدة أهرام بنيت خلال هذا العصر لا يعرف لها صاحب ، وأصبحت بقاياها عبارة عن أكوام من الرمال والحصى وفتات الطوب النيىء يتعذر معها معرفة ما

كانت عليه من مقاييس أصلية . . وذلك فيما عدا هرمين اثنين هما هرم « إيبى » بسقاره وهرم « خوى » الموجود بالقرب من بلدة « دارا » التى تقع على الضفة الغربية من النيل أمام مدينة « منفلوط » بصعيد مصر .

* هرم الملك « إيبى » : وهو من ملوك الأسرة الثامنة . . ويقع الهرم فى المنطقة الجنوبية من جبانة سقارة . . وقد اكتشفت بقاياه القليلة عام ١٩٣٠ م . . وتدل هذه البقايا على انه كان هرماً متواضعاً منذ البداية . . ويبلغ طول ضلع قاعدته الأصلية حوالى ٥ , ٣١م وطولها الآن حوالى ٢١ م . . ولا تساعدنا تلك البقايا المهدمة على معرفة الارتفاع الأصلى لهذا الهرم بصفة مؤكدة . . أما حجرة الدفن فهى مخربة تخريباً كاملاً . . وقد عثر على بعض البقايا الحجرية من جدرانها وجدت عليها بعض النقوش من متون الأهرام .

* هرم الملك « خوى » : وقد اكتشفه عالم الآثار المرحوم أحمد كمال باشا عام ١٩١١م . . وبالنظر إلى أن بقاياه مهدمة ومخربة تماماً ولا يزيد ارتفاعها الآن عن أربعة أمتار ، فقد ظن المكتشف فى بداية الأمر انه اكتشف « مصطبة ملكية » ولم يكتشف «هرماً » . . ويبدو أن هذا الهرم كان فى الأصل كبير الحجم بالرغم من انه مشيد بالطوب النيىء . وبالرغم من حالته المهدمة فإن طول ضلع قاعدته يصل الآن إلى حوالى ١٣٠ متراً . . وعندما تم الوصول إلى حجرة الدفن بداخل الهرم ، لوحظ انها تحت مستوى سطح أرضية قاعدته بنحو ٨,٨ م ، وهى حجرة مربعة يصل طول كل جانب من جوانبها نحو ٢,٩ م . . ووجدت خالية تماماً .

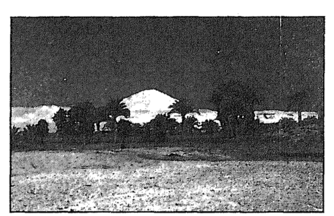
* وهناك من الشواهد التاريخية والأثرية ما يدل على انه فى أثناء حكم الأسرتين التاسعة والعاشرة ، ظهرت فى « طيبة » أسرة ملكية أخرى هى الأسرة الحادية عشرة ، وقد استطاع بعض ملوك هذه الأسرة التغلب على ملوك الأسرتين السابقتين وأعادوا توحيد كل الأقاليم المصرية فى الوجهين القبلى والبحرى ، وبدأ بذلك عصر جديد هو عصر «الدولة الوسطى » الذى يعتبره المؤرخون من أمجد عصور التاريخ المصرى القديم .

أهرام الأسرة الثانية عشرة

ليست هناك مبالغة فى أن الكثيرين من المؤرخين يصفون عصر « الأسرة الثانية عشرة» بأنه العصر الذهبى فى التاريخ المصرى القديم . ولم يكن هذا الوصف نتيجة لما قام به ملوك هذه الأسرة فحسب ، بل يرجع بصفة أساسية إلى الانجازات الهائلة التى حققها الشعب المصرى فى أعقاب انتصاره فى الثورة الشعبية العارمة التى قام بها خلال عصر الاضمحلال الأول ، حيث انتهت تلك الثورة بحصول الشعب على حق المساواة بينه وبين ملوكه وحكامه فى الحياة الآخرة ، بعد أن كان الاعتقاد السائد أن هذه الحياة الأخرى بما فيها من نعيم الجنة هى حق قاصر على الملوك وحدهم ، ثم امتد هذا الحق ليشمل طبقة الأمراء والنبلاء وكبار موظفى الدولة دون غيرهم من طبقات الشعب الأخرى .

* وعندما نال الشعب حقه فى العدالة الدينية والاجتماعية تفانت طبقات الشعب المختلفة فى خدمة الأهداف القومية للبلاد ، فسارت البلاد بخطى سريعة واسعة نحو الازدهار والتقدم فى ميادين الزراعة والصناعة والتجارة والفن ، وازدهر الأدب المصرى ازدهاراً عظيما وبلغ درجة من السمو لم يبلغها من قبل . . بل وبدأ تفكير المصريين فى تكوين جيش قوى موحد لحماية حدود البلاد والقيام بحملات تأديبية وفتوحات عسكرية مظفرة فى شمال البلاد وغربها وجنوبها .

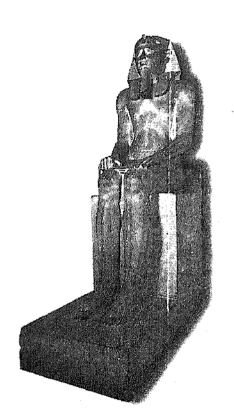
* ويتميز عصر الأسرة الثانية عشرة بنقل عاصمة البلاد إلى موقع فى الشمال بالقرب من مفرق الدلتا . . وأطلقوا على عاصمتهم الجديدة إسم « إث تاوى » [وتقع الآن فى بلدة اللشت التابعة لمحافظة الفيوم » . . وحولوا إقليم الفيوم بأكمله إلى منطقة زراعية



بقايا هرم امنمحعت الأول بمنطقة اللشت



تمثال خشبى للملك سنوسرت الأول وعلى رأسه تاج الوجه القبلى - عثر عليه بالقرب من هرمه بمنطقة اللشت



أثناء اجراء الحفائر الأثرية التى كان يقوم بها علماء المعهد الفرنسى للأثار الشرقية عام ١٨٩٤م بمنطقة اللشت تم العثور على ١٠ تماثيل بالحجم الطبيعى للملك سنوسرت الأول .. ونرى فى الصورة أحد هذه التماثيل المعروضة حالياً با لمتحف المصرى بالقاهرة

من أخصب مناطق مصر ، حيث أقاموا المشروعات الكبرى للرى والصرف . . كما أقاموا فيها أهرامهم الشبيهة بأهرام الدولة القديمة شكلاً ولكنها لا تعادلها من حيث الضخامة وفخامة البناء . . ولنقم الآن بزيارة سريعة لتلك الأهرام .

* هرم أمنمحعت الأول : ويقع فى منطقة اللشت ، ويبلغ ارتفاعه الآن حوالى ٢٠ متراً وكان ارتفاعه الأصلى ٥٨ متراً وطول ضلع قاعدته ٨٤ متراً .

* هرم سنوسرت الأول : ويقع فى منطقة اللشت . . وكان ارتفاعه الأصلى ٦١ متراً وطول ضلع قاعدته ١٠٥ أمتار . . وبجوار هذا الهرم توجد تسعة أهرام صغيرة كانت مخصصة لدفن سيدات الأسرة المالكة . . وفى حفرة عميقة بجوار الهرم عثر عام ١٨٩٤م على عشرة تماثيل للملك بالحجم الطبيعى وفى وضع الجلوس ، وهى معروضة الآن فى المتحف المصرى .

* هرم أمنمحعت الثانى : ويقع فى دهشور وهو مخرب تخريباً كاملاً بحيث تستحيل معه معرفة مقاييسه الأصلية .

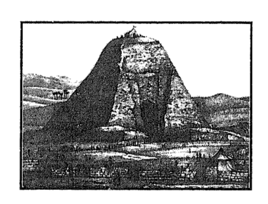
* هرم سنوسرت الثانى : ويقع فى منطقة اللاهون عند مدخل الفيوم . . وكان ارتفاعه الأصلى ٤٨ مترا وطول ضلع قاعدته ١٠٦ أمتار وبقاياه الآن عبارة عن كوم من فتات الطوب النيىء .

* هرم سنوسرت الثالث : وهو الملك المعروف باسم « سيزوستريس » وشيد هرمه فى منطقة دهشور . وبجوار الهرم تم العثور على عدد من مقابر سيدات الأسرة المالكة عثر بداخلها على مجموعة كبيرة من الحلى والمجوهرات الثمينة رائعة الصنع ، كما عثر أيضا على بعض السفن المصنوعة من خشب الأرز والتى يبلغ طول الواحدة منها نحو ١٠ أمتار . وهذه السفن معروضة حالياً فى المتحف المصرى وواحدة منها معروضة فى متحف التاريخ الطبيعى فى شيكاجو .

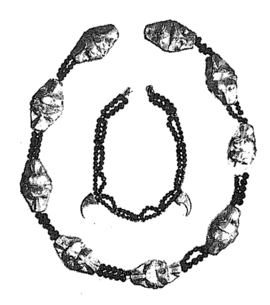
* هرما أمنمحعت الثالث : هو الملك الوحيد من ملوك الأسرة الثانية عشرة الذى بنى لنفسه هرمين ، أحدهما فى منطقة دهشور وبقاياه الآن مهدمة وعبارة عن كوم من الرديم وفتات الطوب النيىء . . أما الهرم الثانى فقد بناه فى منطقة « هواره » بمحافظة

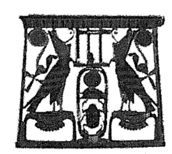


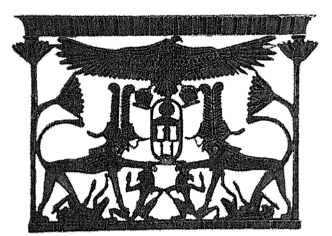
عالم الآثار المصرية جاك دى مورجان الذى عين مديراً لمصلحة الآثارعام ١٨٩٤ أثناء اكتشافاته ودراساته لأهرام الدولة الوسطى فى منطقة دهشور والتى تتضمن أهرام سنوسرت الثالث وامنمحعت الثانى وامنمحعت الثالث .. وكانت أهم اكتشافاته الأثرية العثور على مقبرتى الأميرتين « حنوميت » و « إيبتى » وما دفن فيهما من كنوز المجوهرات الخاصة بهاتين الأميرتين والمعروضة حالياً بالمتحف المصرى .



رسم لهرم هوارة ـ من أعمال الفنان الفرنسى «جين جاك ريفود » الذى زار مصر عام ١٨٠٥





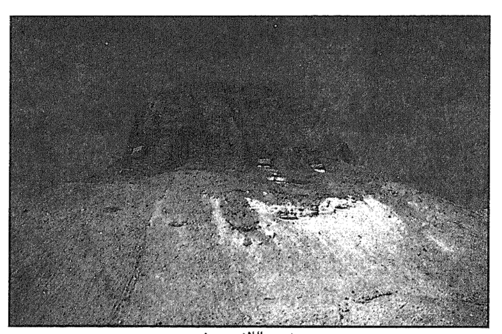




بعض قطع المجوهرات التى عثر عليها بمقبرتى الأميرتين « مرى ريت » و « ست حتحور » [عصر الاسرة الثانية عشرة بالدولة الوسطى]

الفيوم . وكان ارتفاعه الأصلى ٥٨ متراً وطول ضلع قاعدته ١٠٠ متر . . وبجوار هذا الهرم توجد البقايا القليلة المهدمة من « قصر التيه » الذى أطلق عليه اسم « قصر اللابرنت » والذى وصفه هيرودوت حين زاره بأنه أعظم بناءً من الهرم الأكبر وقال إنه كان يتكون من ثلاثة آلاف حجرة !

* ومن الغريب انه بالرغم من حالة الازدهار الاقتصادى التى تحققت فى عهد أمنمحعت الثالث فإن شمس الأسرة الثانية عشرة مالت إلى الأفول بعد مماته ، فقد تولى ابنه أمنمحعت الرابع عرش البلاد لفترة قصيرة ، ثم تولت بعده الملكة « سوبك نفرو» التى حكمت البلاد لمدة ثلاث سنوات ، وانتقل الحكم بعدها إلى ملوك الأسرة الثالثة عشرة . . وقد بنى كل من أمنمحعت الرابع والملكة سوبك نفرو هرماً فى منطقة «مزغونة» التى تقع على بعد حوالى ٤ كيلو مترات جنوب دهشور .



هــرم اللاهـــــون

أكثر من ١٠٠ هرم .. فى شمال السودان

ما أن انتهى عصر الأسرة الثانية عشرة حتى بدأت فكرة تخلى الملوك عن بناء الأهرام ، فيما عدا بعض ملوك الأسرة الثالثة عشرة [١٧٧٨ - ١٦٢٥ ق م] الذين يعتقد بعض علماء الآثار انهم بنوا أهراماً صغيرة الحجم رديئة البناء كادت بقاياها أن تختفى تماماً ، لدرجة أصبح من المستحيل معها معرفة أصحابها . . إلا أن هناك هرماً واحداً اكتشف بقاياه القليلة عالم الآثار الفرنسى « جيكييه » عام ١٩٢٩ فى منطقة جنوب سقارة ويعزى بناؤه إلى ملك يسمى « خنجر » وهو من ملوك الأسرة الثالثة عشرة . . وبسبب ضعف الملوك والحكام بدأت مصر فى التعرض إلى غزوات متتابعة من الأجانب وخصوصاً من جانب قبائل الهكسوس . . وانتهى بذلك عصر بناء الأهرام فى مصر .

* وغنى عن الذكر أن نشير إلى أن العلاقات الثقافية قد تواصلت بين مصر وشمال السودان منذ بداية التاريخ المصرى . . وظلت هذه العلاقات متواصلة وتزداد قوة ورسوخاً إلى أن وصلت إلى نوع من الوحدة الثقافية والسياسية فى بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة [حوالى ١٥٥٠ ق م] . . وتدل الشواهد الأثرية على أن المعابد المصرية كانت تبنى فى جميع أرجاء السودان الشمالى حتى وصلت إلى ما بعد منطقة « شندى » شمال الخرطوم حالياً . . وكان أهالى هذه المنطقة يعبدون الآلهة المصرية ويمارسون الكثير من العادات والتقاليد المصرية .

* ولذلك فقد كان الكهنة السودانيون القدماء يمارسون أعمالهم الكهنوتية طبقا للطقوس والمراسم العقائدية التى تمارس فى المعابد المصرية ، وكانت الصلوات تقام باللغة المصرية القديمة ، وخصوصاً بعد أن أصبح الإله « أمون رع » سيداً على جميع الآلهة الأخرى فى مصر وفى شمال السودان .

* وعلى مدى مئات السنين التى مرت على هذه التأثيرات الثقافية والعقائدية المصرية

فى شمال السودان ، انتقلت إلى هناك أيضا فكرة تقديس الشكل الهرمى . . وكان هناك جبل مخروطى الشكل بالقرب من منطقة الشلال الرابع ، فاعتقد قدماء السودانيين انه جبل مقدس اختاره الإله « أمون رع » ليكون مسكناً له . . وهو الجبل المعروف الآن لاسم « جبل برقل » بينما كان الاسم الذى أطلقه عليه السودانيون القدماء هو « دو - واعب » وهو اسم باللغة المصرية القديمة ومعناه « الجبل المقدس » أو « الجبل الطاهر » . . وبالقرب من هذا الجبل بنوا عاصمتهم القديمة « نبتا » كما بنوا مجموعة كبيرة من الأهرام الصغيرة يترواح طول ضلع قاعدتها المربعة ما بين ٧ - ١٩ مترا ، كما يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠ - ١٨ متراً .

* وطوال الفترة الزمنية الطويلة التى شغلها تاريخ مملكة « كوش » [وهو الاسم الذى أطلق على مملكة شمال السودان] . . وعلى امتداد المسافة ما بين منطقة الشلال الثالث والشلال السادس ، بنى قدماء السودانيين عشرات من تلك الأهرام الصغيرة الحجم سواء على الضفة الشرقية أو على الضفة الغربية لنهر النيل . . ولم يقتصر بناء تلك الأهرام كمدافن للملوك والملكات كما كان الحال فى مصر ، بل بنيت الأهرام أيضا لدفن أمراء وأميرات وأعضاء عائلات الأسرات المالكة التى توالت على حكم «مملكة كوش » بشمال السودان .

* وتدل بقايا الأهرام السودانية على أنها كانت مبنية بالحجر الرملى ، ولم تكن حجرات الدفن بداخلها ، وانما كانت تقع تحت قاعدتها ، ولذلك فلم تكن هناك مداخل أو ممرات أو أبهاء داخلية كما هو الحال فى عديد من الأهرام المصرية .

* ويقول علماء الآثار الذين درسوا تلك الأهرام السودانية إن أقدمها هو الهرم الذى بناه الملك « بيعنخى » وإن حجرة الدفن بهذا الهرم تقع تحت قاعدته ، وهى حجرة صغيرة مستطيلة الشكل يبلغ طولها نحو ٥ أمتار ويبلغ عرضها نحو ٣ أمتار . .

* وعندما عثر عليها عالم الآثار « ريزنر » عام ١٩١٨ م ، لاحظ أن لصوص المقابر القدماء قد نهبوها ، وبالرغم من ذلك فقد عثر فى الرديم على بقايا بعض القطع الأثرية

مثل أوراق الذهب ، والأوانى المرمرية ، وبعض قطع من الحلى المصنوعة من الفضة والبرونز والمطعمة ببعض الأحجار شبه الكريمة المختلفة الألوان ، الأمر الذى ندرك معه مدى فخامة الأثاث الجنائزى الذى دفن مع هذا الملك .



عمليات بناء الأهرام : بالسخرة .. أم عبادة دينية ؟

منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة ، بعد أن استقرت جماعات المصريين الأوائل على ضفاف النيل ، بدأ نوع من الاستقرار الحضارى تميزت به الحياة الاجتماعية لهؤلاء الأوائل . . فها هو النهر العظيم الذى سكنوا ضفافه يفيض على أراضى الضفتين كل عام فى مواعيد محددة ، ثم تنحسر مياه الفيضان تاركة وراءها أراض مخصبة صالحة للزراعة بأقل مجهود ، الأمر الذى أدى بالتالى إلى استقرار هذه الجماعات الانسانية بجانب الأرض التى اختارتها للزراعة . . وأدت هذه الزراعة الموسمية إلى نوع من التنظيم الاجتماعى تمثل فى ظهور واستقرار فكرة نظام « العائلة » المكونة من زوجين وأبناء .

* وبمرور السنين تجمعت هذه العائلات وكونت « قرية » تتضافر جهود أفرادها لمواجهة ما تتطلبه الحياة الجماعية من شئون وواجبات . وبطبيعة الحال فقد ظهر فى كل قرية من تلك القرى شخص ذو شخصية قوية يستطيع أن يوجه جهود أهالى القرية لما فيه صالحها العام . ومن الطبيعى أن يصبح هذا الشخص ذا مركز ممتاز وذا كلمة مسموعة مطاعة تسمح له باصدار الأوامر والنواهى التى يمتثل لها جميع الأهالى الذين يعيشون فى تلك القرية .

* وأدت طبيعة الحياة والمصلحة المشتركة للقرى المتقاربة إلى أن تتجمع هذه القرى وتكوّن « إقليما » يحكمه حاكم يجمع فى يديه كل السلطات الخاصة بتنظيم قواعد التعاون بين جميع الأهالى الذين يعيشون فى حدود هذا الأقليم ، وأن يتولى أيضا تحديد حقوق الأفراد وواجباتهم وفرض قواعد العدالة فى المنازعات التى قد تنشب بينهم ، سواء فى ذلك أن يتولى الحكم فى هذه المنازعات بنفسه أو بواسطة أشخاص [قضاة] يقوم باختيارهم ، كما يتولى الاشراف على بناء و إدارة المعابد وممتلكاتها ، والاشراف على شئون

الكهنة والخدم العاملين فيها . . كذلك فقد كان فى استطاعة حاكم الإقليم أن يكوّن جيشا محلياً من شباب الإقليم : ليتولى الدفاع عن سيادة الإقليم وصد أى عدوان سواء من الأجانب أو من الأقاليم الأخرى .

* وبمرور السنين بدأت تلك الأقاليم فى الاتحاد مع بعضها سواء بالتراضى والاتفاق لتحقيق المصالح المشتركة أو بطريق الغزو والفتح من أجل السيطرة وبسط النفوذ . . وتكونت بذلك « دويلات » صغيرة تضم كل منها بعض الأقاليم المتحدة ، ويتولى رئاسة الدويلة أقوى حكام الأقاليم المتحدة نفوذاً ومقدرة .

* وكما اتحدت العائلات فى شكل قرية ، واتحدت القرى فى شكل إقليم ، واتحدت الأقاليم فى شكل دويلة ، فقد اتحدت الدويلات فى شكل « مملكة » . . وبالنظر إلى أن المملكة التى نشأت فى دلتا [الوجه البحرى] قد وصلت إلى درجة لا بأس بها من الرقى والتقدم فى كثير من مرافق الحياة ، فقد فرضت هذه المملكة نفوذها على دويلات الوجه القبلى وأقامت أول حكومة مركزية شملت كل الأراضى المصرية من أقصى جنوبها إلى أقصى شمالها . . وهناك من الشواهد التاريخية ما يدل على أن هذه «الوحدة » قد حدثت فى حوالى عام ٤٢٤٢ قبل الميلاد ، أى قبل الوحدة التى فرضها الملك مينا بنحو ألف سنة . . وأصبحت مدينة « أون » [التى تقع فى منطقة هليوبوليس القديمة أو عين شمس الحالية] عاصمة للديار المصرية .

* غير أن هذه الوحدة لم تدم طويلاً وعادت البلاد إلى الانقسام إلى مملكتين إحداهما فى الوجه البحرى والثانية فى الوجه القبلى إلى أن خرج الملك مينا من الوجه القبلى لتوحيد المملكتين فى مملكة مركزية واحدة ذات حكومة قوية ليبدأ بها التاريخ المصرى [حوالى عام ٣٢٠٠ ق م] وليصبح الملك فيها أشبه ما يكون بالآلهة .

* وما أن بدأ عصر الدولة القديمة [من الأسرة الثالثة حتى نهاة الأسرة السادسة] حتى رسخت فى أذهان الشعب فكرة تأليه الملوك الذين يحكمون مصر ، وذلك بتأييد من السلطة الدينية ممثلة فى كبار الكهنة ورجال الدين فى جميع المعابد المصرية الذين ادعوا أن الملوك ليسوا بشراً سوياً ، وإنما هم أبناء الإله « رع » إله الشمس .

* وتطبيقا لهذا الاعتقاد الذى اكتسى بصبغة دينية يمكن القول بأن اشتراك العمال المصريين فى عمليات بناء الأهرام - وهى من أشق العمليات - كان أقرب ما يكون إلى عبادة الإله ولم يكن بالسخرة كما ادعى بعض المؤرخين القدماء من أمثال هيرودوت وبلليني وغيرهما .

* وإذا كان قدماء المصريين هم الذين ابتدعوا فكرة تأليه الملوك والحكام ، فقد شاعت هذه الفكرة بين شعوب العالم الأخرى فى مختلف عصور التاريخ . وعلى سبيل المثال فقد كان معظم ملوك أوربا يدعون انهم يحكمون شعوبهم باعتبارهم « ظل الله فى الأض » وذلك بتأييد من الكنيسة .

* أما فى مصر الحديثة فقد اختفت فكرة تألية الملوك والحكام باعتبارها نوعاً من الكفر ، وتحولت إلى نوع من « النفاق » المبالغ فيه .





المراجــع

● أولاً : المراجع العربية :

١ ـ العمارة فى مصر القديمة — تأليف : د . محمد أنور شكرى

٢ ـ حضارة مصر والشرق القديم — تأليف : الدكاترة : إبراهيم رزقانه، محمد أنور شكرى ، عبد المنعم أبو بكر، حسن محمود ، عبد النعيم حسنين

٣ ـ الحضارة المصرية — تأليف جون ولسون — ترجمة : د أحمد فخرى

٤ ـ الماضى الحى — تأليف : إيفار ليسنر — ترجمة : شاكر إبراهيم سعيد

٥ ـ الرمز والأسطورة فى مصر القديمة — تأليف : رندل كلارك — ترجمة : أحمد صليحة

٦ ـ تاريخ مصر القديمة [جزءان] — تأليف : د . رمضان السيد

٧ ـ فن الرسم عند قدماء المصريين — تأليف : وليم بيك — ترجمة : مختار السويفى

٨ ـ تاريخ العمارة المصرية القديمة — تأليف : د . اسكندر بدوى

٩ ـ هردوت يتحدث عن مصر — تأليف : هرودت — ترجمة : د . محمد صقر خفاجة

١٠ ـ نمو الحضارة — تأليف : و . ج . برى — ترجمة : لويس اسكندر

١١ ـ علماء الآثار — تأليف : تشارلز مايكل دورتى — ترجمة : محمد عبد الفتاح ابراهيم

١٢ ـ فن التصوير المصرى القديم — تأليف : نينا ديفز — ترجمة : د . حسن صبحى بكرى ، وعبد الغنى الشال

١٣ ـ أهرام مصر — تأليف : إ . إ . س . إدواردز — ترجمة مصطفى عثمان

١٤ ـ أسرار الهرم الأكبر — تأليف : محمد العزب موسى

١٥ ـ المواد والصناعات عند قدماء المصريين — تأليف : ألفريد لوكاس — ترجمة : د . زكى اسكندر ومحمد زكريا غنيم

١٦ ـ فى رحاب المعبود توت — تأليف : د سامى جبره — ترجمة : عبد العاطى جلال

١٧ ـ مصر الفراعنة — تأليف : سير ألن جاردنر — ترجمة : د . نجيب ميخائيل ابراهيم

١٨ ـ عندما حكمت مصر الشرق — تأليف : جورج شتايندورف ، وكيث سيل — ترجمة : محمد العزب موسى

١٩ ـ آثار الأقصر — تأليف : د . محمد عبد القادر محمد

٢٠ ـ الآثار المصرية فى وادى النيل — تأليف : جيمس بايكى — ترجمة : لبيب حبشى ، وشفيق فريد

٢١ ـ وادى الملوك	تأليف : عزيز مرقص منصور	
٢٢ ـ الفن المصرى [جزءان]	تأليف : د . ثروت عكاشة .	
٢٣ ـ مصر فى عيون الغرباء [جزءان]	تأليف : د . ثروت عكاشة .	
٢٤ ـ مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية	تأليف : مختار السويفى .	
٢٥ ـ المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية	تأليف : د . أحمد قدرى [بالانجليزية]	ترجمة : مختار السويفى ومحمد العزب موسى
٢٦ ـ نفرتيتى الجميلة التى حكمت مصر فى ظل ديانة التوحيد	تأليف : جوليا سامسون	ترجمة : مختار السويفى
٢٧ ـ سرقة ملك مصر	تأليف : محسن محمد	
٢٨ ـ مجوهرات الفراعنة	تأليف : سيريل ألدريد	ترجمة : مختار السويفى
٢٩ ـ المجمل فى تاريخ مصر	تأليف : د . ناصر الأنصارى	
٣٠ ـ على هامش التاريخ المصرى	تأليف : عبد القادر حمزة	
٣١ ـ الموسوعة الأثرية العالمية	تأليف : مجموعة من علماء الآثار الأجانب	ترجمة : محمد عبد القادر محمد ود . زكى اسكندر
٣٢ ـ تاريخ الحضارة المصرية [العصر الفرعونى]	تأليف : نخبة من المؤرخين وعلماء الآثار المصريين	
٣٣ ـ تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى	تأليف : جيمس هنرى برستيد	ترجمة : د . حسن كمال
٣٤ ـ فى موكب الشمس [جزءان]	تأليف : د . أحمد بدوى	
٣٥ ـ موسوعة الفراعنة	تأليف : باسكال فيرنوى ، وجان يويوت	ترجمة : د . محمود ماهر طه
٣٦ ـ الأدب الثورى عبر التاريخ	تأليف : محمد مفيد الشوباشى	
٣٧ ـ مصر القديمة [١٦ جزءاً]	تأليف : د . سليم حسن	
٣٨ ـ الأدب المصرى القديم [جزءان]	تأليف : د . سليم حسن	
٣٩ ـ معجم الحضارة المصرية القديمة	تأليف : مجموعة من المؤرخين وعلماء الآثار الأجانب	ترجمة : أمين سلامة
٤٠ ـ الحضارة المصرية	تأليف : سيريل ألدريد	ترجمة : مختار السويفى
٤١ ـ حتشبسوت : الملكة الفرعون	تأليف : سوزان راتييه	ترجمة : فاطمة عبد الله محمود مراجعة : د . محمود ماهر طه
٤٢ ـ رمسيس الثانى : فرعون المجد والانتصار	تأليف : كنت كتشن	ترجمة : د . أحمد زهير أمين مراجعة : محمود ماهر طه
٤٣ ـ الفن المصرى القديم	تأليف : سيريل ألدريد	ترجمة : د . أحمد زهير أمين
٤٤ ـ إيمحوتب : إله الطب والهندسة	تأليف : ج . هارى	ترجمة : محمد العزب موسى
٤٥ ـ خطوات الإنسان الأول على أرض مصر	تأليف : عزت السعدنى	

العنوان	التأليف	الترجمة والمراجعة
٤٦ ـ المدخل إلى علم التاريخ	تأليف : د . عبد الرحمن عبد الله الشيخ	
٤٧ ـ أعمال الحفر الأثرى	تأليف : ليونارد وولى	ترجمة : د . حسن الباشا
٤٨ ـ انتصار الحضارة	تأليف : جيمس هنرى برستيد	ترجمة : د . أحمد فخرى
٤٩ ـ مصر القديمة : دراسات فى التاريخ والآثار	تأليف : مختار السويفى	
٥٠ ـ الحياة اليومية فى مصر	تأليف : بيير مونتيه	ترجمة : عزيز مرقس منصور
٥١ ـ مرحلة التعليم العالى فى مصر القديمة	تأليف : سمير أديب	
٥٢ ـ الأسرة المصرية فى عصورها القديمة	تأليف : د . عبد العزيز صالح	
٥٣ ـ أبيدوس	تأليف : د . عبد الحميد زايد	
٥٤ ـ آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية	تأليف : تأليف : محرم كمال	
٥٥ ـ الطب المصرى القديم	تأليف : د . حسن كمال	
٥٦ ـ تاريخ الصيدلة والعقاقير	تأليف : الأب ج . شحاتة قنواتى	
٥٧ ـ التداوى بالأعشاب فى مصر القديمة	تأليف : ليز مانكه	ترجمة : د . أحمد زهير أمين مراجعة : د . محمود ماهر طه
٥٨ ـ قدماء المصريين والاغريق	تأليف : جان فركرتيه	ترجمة : د . كمال الدسوقى ومحمد على كمال الدين مراجعة : د . محمد صقر خفاجة
٥٩ ـ فى المعرفة التاريخية	تأليف : أرنست كاسيرر	ترجمة : أحمد حمدى محمود مراجعة : على أدهم
٦٠ ـ العادات المصرية بين الأمس واليوم	تأليف : وليم نظير	
٦١ ـ فن النحت	تأليف : صبحى الشارونى	تقديم : د . ثروت عكاشة
٦٢ ـ المسرح المصرى القديم	تأليف : اتيين دريوتون	ترجمة : د . ثروت عكاشة مراجعة : د . عبد المنعم أبو بكر
٦٣ ـ الرقص المصرى القديم	تأليف : إيرينا لكسوفا	ترجمة : د . محمد جمال الدين مختار مراجعة : د . عبد المنعم أبو بكر
٦٤ ـ المرأة الفرعونية	تأليف : كريستيان نوبلكور	ترجمة : فاطمة عبد الله محمود مراجعة : د . محمود ماهر طه
٦٥ ـ فجر التاريخ	تأليف : ج . ل . مايرز	ترجمة : على عزت الأنصارى مراجعة : د . عبد العزيز كامل
٦٦ ـ دور المرأة فى المجتمع المصرى القديم	تأليف : د . عبد الحليم نور الدين	

٦٧ـ الدور السياسى للملكات فى مصر القديمة	تأليف : د . محمد على سعد الله	تقديم : د . محمد جمال الدين مختار
٦٨ـ أساطير فرعونية		ترجمة كمال الخناوى
٦٩ـ أبو الهول	تأليف : د. سليم حسن [بالانجليزية]	ترجمة : جمال الدين سالم مراجعة : د . أحمد بدوى
٧٠ـ الديانة المصرية القديمة	تأليف : ياروسلاف تشرنى	ترجمة : د . أحمد قدرى مراجعة : د . محمود ماهر طه
٧١ـ معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية	تأليف : د . سيد توفيق	
٧٢ـ الموتى وعالمهم فى مصر القديمة	تأليف : أ . ج . سبنسر	ترجمة : أحمد صليحة
٧٣ـ حديث الفنون	تأليف : أحمد شفيق زاهر وآخرين	
٧٤ـ فى الأدب المصرى القديم	تأليف : د . أحمد عبد الحميد يوسف	
٧٥ـ نهاية مدينة فرعونية	تأليف : الحسينى صالح	تقديم : د . ضياء أبو غازى
٧٦ـ التاريخ والسير	تأليف : د . حسين فوزى النجار	
٧٧ـ أساطير مصرية	تأليف : د . عبد المنعم أبو بكر	
٧٨ـ الآلات الحجرية وعصور ما قبل التاريخ	تأليف : د . على على السكرى	
٧٩ـ الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين	تأليف : وليم نظير	
٨٠ـ الأزياء فى مصر القديمة	تأليف : د . محمد جمال الدين مختار ومحمد عبد اللطيف الطنبولى	مراجعة : د . أحمد بدوى

● ثانياً المراجع الأجنبية :

81 - GREATPYRAMID
BY : PETER TOMPKINS .
82 - THE EGYPTIANS.
BY : CYRIL ALDRED.
83 - EGYPT TO THE END OF THE OLD KINGDOM.
BY : CYRIL ALDRED.
84 - THE EGYPT OF THE PHARAOHS - AT THE CAIRO MUSEUM.
BY : JEAN - FRANCOIS GOUT.
PREFACE BY JEANLECLANT. TRANSLATED BY ANTHONY ROBERTS
85 - IN THE SHADOW OF THE PYRAMIDS.
BY : JAROMIR MALEK.
86 - ANCIENT EGYPT .
BY : GEORGE HART .
87 - SUNRISE OF POWER .
BY : JOYCE MIL TON .
88 - EGYPT DRAWINGS .
BY : DAVID ROBERTS (1839) .
89 - VALLEY OF THE KINGS .
BY : JOHN ROMER .
90 - ATLAS OF ANCIENT EGYPT .
BY : JOHN BAINES & JAROMIR MALEK .
91 - THE TOMBS OF THE NOBLES ATLUXOR .
BY : LISE MANNICHE .
92 - WARRIOR PHARAOHS .
BY : P.H. NEWBY .
93 - DEATH IN ANCIENT EGYPT .
BY : A.J. SPENCER .
94 - ARCHAIC EGYPT .
BY : W . B. EMERY .
95 - THE ANCIENT EGYPTIANS .
BY : JILL KAMIL .

● ثالثا: من مصادر الصور والأشكال الداخلية :

٩٦ ـ متحف الأقصر للفن المصرى القديم [كتالوج] ـ أصدار : مركز البحوث الأمريكى بمصر ، والمعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية . ترجمة :عبد العزيز صادق .

٩٧ ـ الماضى يبعث حيا ـ تأليف : إدنا مجوير . ترجمة : إبراهيم زكى خورشيد .

٩٨ ـ مجلة « شل» [١١ عددا] .

٩٩ ـ المتحف المصرى ـ موجز فى وصف الآثار الهامة ـ إصدار ١٩٥٤ .

100 - EGYPT - 1900 : SHELL COMPANIES IN EGYPT .

101 - ART THROUGH THE AGES .

102 - EGYPT REVEALED - SCENES FROM NAPOLEON ' S DESCRIPTION DE L ' EGYPT

BY : ROBERT ANDERSON AND IBRAHIM FAWZY.

103 - THE SPLENDERS OF EGYPT .

BY : MICHAEL DAVISON .

104 - WONDERS OF TUTANKHAMUN.

BY : DAVID P. SIL VERMAN .

105 - UPPER EGYPT .

BY : DINO SASSI .

106 - DAS ALTE REICH - Ä GYPTEN IM ZEITAL TER DER PYRAMIDEN. [KATALOG].

107 - VALLEY OF THE KINGS [CATALOGUE] .

108 - DENDERAH - KARNAK - LUXOR [CATALOGUE] .

109 - EGYPT [CATALOGUE] .

BY : A.BBAS CHALABY .

● مراجع إضافية خاصة بالجزء الثانى :

١ ـ موسوعة مصر القديمة ـ ١٦ جزءاً سليم حسن

٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة مجموعة من العلماء

٣ ـ موسوعة تاريخ الحضارة المصرية مجموعة من العلماء

٤ ـ الموسوعة الثقافية مجموعة من العلماء

٥ ـ تاريخ الصيدلة والعقاقير فى عهد القديم والعصر الحديث الأب جورج شحاته قنواتى

٦ ـ هيرودوت يتحدث عن مصر ترجمة : د . محمد صقر خفاجة

٧ ـ إيمحوتب إله الطب والهندسة تأليف : جيميسون هارى ترجمة : محمد العزب موسى

٨ ـ التداوى بالأعشاب فى مصر القديمة تأليف : ليز مانكه ترجمة : د . أحمد زهير أمين

٩ ـ الطب المصرى القديم تأليف : د . حسن كمال

١٠ ـ طب وسحر تأليف : د . بول غليونجى

● مراجع إضافية خاصة بالجزء الثالث :

١ ـ حضارة مصر الفرعونية تأليف : فرانسوا دوما ترجمة : ماهر جويجاتى

٢ ـ مومياء رمسيس : مساهمة علمية فى علم المصريات تأليف : مجموعة من العلماء الفرنسيين

٣ ـ الفرعون الذى يطارده االيهود تأليف : سعيد أبو العينين .

4 - PREHISTORIC SOCIETIES

By : GRAHAM CLARK AND STUART PIGGOTT.

5 - GUIDE TO THE PYRAMIDS OF EGYPT.

BY : ALBERTO SILIOTTI AND Dr, ZAHI HAWASS

6 - EGYPTOLOGY

By : JAMES PUTNAM .

7 - THE OFFICIAL CATALOGUE : THE EGYPTIAN MUSEUM - CAIRO .

By : Dr, MOHAMED SALEH AND HOURIG SOUROUZIAN



المؤلف

● وكيل الوزارة بقطاع النقل البحرى سابقا . من مواليد باب الشعرية بالقاهرة عام ١٩٣٣ . ليسانس فى القانون والاقتصاد ١٩٥٥ ، ودبلوم عال فى القانون البحرى ١٩٧٥ .

●محاضر فى الاقتصاد والعلوم البحرية والنقل الدولى فى مراكز التدريب والتنمية الادارية بمصر والدول العربية . وتعتبر مؤلفاته ومترجماته فى علوم النقل البحرى من الكتب الرائدة غير المسبوقة باللغة العربية .

● كتب العديد من سيناريوهات الأفلام الثقافية التسجيلية عن التاريخ المصرى القديم ، والآثار الاسلامية بمصر ، وأعلام العرب ، وقصص القرآن . . بالاضافة إلى العديد من البرامج الثقافية بالتليفزيون والإذاعة المصرية وهيئة الاذاعة البريطانية بلندن .

● نشرت له عشرات من القصص القصيرة المؤلفة والمترجمة منذ الخمسينيات وحتى الآن فى مجلات : روزاليوسف وصباح الخير ونصف الدنيا والكاتب والقوات المسلحة والاذاعة والتليفزيون وكتب للجميع ومجلة حورس التى تصدرها مصر للطيران . . كما كتب عشرات المقالات المتخصصة فى مجلات الهلال والعربى والمسرح والقاهرة والثقافة والأوبرا وإدارة الأعمال ، وجرائد الأهالى والوفد والجمهورية والأخبار والأهرام .

● عضو اللجنة الدائمة بالمجلس الأعلى للآثار المصرية . . وعضو لجنة الآثار بالمجلس الأعلى للثقافة . . وعضو منتسب بالمجمع العلمى المصرى . . وعضو باتحاد الكتاب . . وعضو بالجمعية التاريخية المصرية . . ومستشار التحرير بالدار المصرية اللبنانية . . ورئيس تحرر سلسلة « روائع الأدب العالمى للناشئين » التى تصدرها هيئة الكتاب .

كتب للمؤلف

● **فى الاقتصاد والعلوم البحرية :**

١ ـ اقتصاديات النقل البحرى .

٢ ـ أساسيات النقل البحرى والتجارة الخارجية

٣ ـ المصطلحات الفنية البحرية .

٤ ـ المصطلحات التجارية الدولية .

٥ ـ دراسة تحليلية عن عقد البيع البحرى « فوب» [محاضرات] .

٦ ـ عمليات نقل البضائع على سفن الخطوط المنتظمة [محاضرات] .

٧ ـ عمليات نقل البضائع على السفن المستأجرة [محاضرات] .

٨ ـ عمليات الموانى وعمليات الشحن والتفريغ [محاضرات] .

٩ ـ سند الشحن « دراسة تحليلية » [محاضرات] .

١٠ ـ قطاع النقل البحرى فى مصر .

١١ ـ محاضرات فى البيوع البحرية .

١٢ ـ القانون البحرى « ترجمة » ـ تأليف : إيمانويل دفورسكى .

١٣ ـ تأجير السفن «ترجمة » ـ تأليف : بيرجر نوسوم

١٤ ـ انتاجية الرصيف « ترجمة » ـ تأليف : دى مونيه .

١٥ ـ الرقابة على الأعمال البحرية عن طريق الميزانية « ترجمة » تاليف : ج سيموندز.

١٦ ـ سفن الحاويات والموانى المعدة لاستقبالها « ترجمة » ـ تأليف : أ . إيفانس .

١٧ ـ مصطلحات التجارة الدولية والنقل البحرى وأنواع النقل الدولى الأخرى .

١٨ ـ حساب الوقت والعوامل المؤثرة فيه [فى عمليات شحن وتفريغ السفن]ـ تحت الطبع .

فى الأدب والفن :

١٩ ـ ألوان من النشاط المسرحى فى العالم .

٢٠ ـ خيال الظل والعرائس فى العالم .

٢١ ـ الرقص والحضارة « دراسة تاريخية . فولكلورية . إثنولوجية » .

٢٢ ـ زرع النوى « رواية أدبية » .

٢٣ ـ مساخر من العاصمة والأقاليم « مجموعة قصصية » .

٢٤ ـ عذراء سرابيوم « مجموعة قصصية » ـ تحت الطبع .

٢٥ ـ الضحك بسبب « من الأدب الساخر » .

٢٦ ـ الضحك بالراحة « من الأدب الساخر » .

٢٧ ـ الضحك علينا « من الأدب الساخر » ـ تحت الطبع .

٢٨ ـ روائع الأدب العالمى فى كبسولة ـ الجزء الأول .

٢٩ ـ روائع الأدب العالمى فى كبسولة ـ الجزء الثانى .

٣٠ ـ روائع الأدب العالمى فى كبسولة ـ الجزء الثالث .

٣١ ـ روائع الأدب العالمى فى كبسولة ـ الجزء الرابع .

● روايات ومسرحيات مترجمة :

٣٢ ـ أوليفر تويست ـ تأليف : تشارلس ديكنز .

٣٣ ـ الآمال الكبرى ـ تأليف : تشارلس ديكنز .

٣٤ ـ ثورة على السفينة بونتى ـ تأليف : وليم بلاى .

٣٥ ـ توم سوير ـ تأليف : مارك توين .

٣٦ ـ مغامرات هكلبرى فين ـ تأليف : مارك توين .

٣٧ ـ رجال عظام ونساء عظيمات ـ تأليف : ليزلى ليفيت .

٣٨ ـ دافيد كوبر فيلد ، ـ تأليف : تشارلس ديكنز .

٣٩ ـ جزيرة الكنز ـ تأليف : روبرت لويس ستيفنسون .

٤٠ ـ دكتور جيكل ومستر هايد ـ تأليف : روبرت لويس ستيفنسون

٤١ ـ كنوز الملك سليمان ـ تأليف : سير هنرى رايدر هاجارد .

٤٢ ـ نجمة الصباح ـ تأليف : سير هنرى رايدر هاجارد .

٤٣ ـ مون فليت ـ تأليف : ميد فوكنر .

٤٤ ـ المفتش العام ـ تأليف : نيكولاى جوجول

٤٥ ـ روبنسون كروزو ـ تأليف : دانييل ديفو .

● **فى الآثار والتاريخ المصرى القديم :**

٤٦ ـ المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية « مترجم » تأليف الدكتور أحمد قدرى [بالانجليزية] . مراجعة : الدكتور محمد جمال الدين مختار ـ نشرته هيئة الآثار المصرية .

٤٧ ـ فن الرسم عند قدماء المصريين « مترجم » تأليف : وليم بك . مراجعة : الدكتور أحمد قدرى ـ نشرته هيئة الآثار المصرية .

٤٨ ـ مصر والنيل [فى أربعة كتب عالمية] ـ نشرته الدار المصرية اللبنانية .

٤٩ ـ مراكب خوفو [حقائق لا أكاذيب] ـ نشرته الدار المصرية اللبنانية .

٥٠ ـ الحضارة المصرية من عصور ماقبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة «مترجم» ـ تأليف : سيريل ألدريد . مراجعة : الدكتور أحمد قدرى ـ نشرته الدار المصرية اللبنانية .

٥١ ـ نفرتيتى : الجميلة التى حكمت مصر فى ظل ديانة التوحيد « مترجم » ـ تأليف : جوليا سامسون . مراجعة : الدكتور محمد جمال الدين مختار ـ نشرته الدار المصرية اللبنانية .

٥٢ ـ مجوهرات الفراعنة « مترجم » ـ تأليف : سيريل ألدريد . مراجعة : الدكتور أحمد قدرى ـ نشرته الدار الشرقية .

٥٣ ـ صفحات من تاريخ الاسكندرية ـ تحت الطبع .

٥٤ ـ كليوباترا ـ تحت الطبع .

٥٥ ـ مصر القديمة ـ دراسات فى التاريخ والآثار

٥٦ ـ أم الحضارات ـ الجزء الأول .

٥٧ ـ أم الحضارات ـ الجزء الثانى

٥٨ ـ أم الحضارات ـ الجزء الثالث

الفهرس



عـربيـة للطباعة والنشر
7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين
تليفون : 3256098 - 3251043

أم الحضارات

يسعد الدار المصرية اللبنانية أن تقدم إلى القراء الكرام هذا الجزء الثالث من الكتاب القيّم «أم الحضارات» للأديب المؤرخ الاستاذ الكبير «**مختار السويفى**».

ويتضمن هذا الجزء « ٦٩ » دراسة تفصيلية موجزة تتناول موضوعين رئيسيين من الموضوعات الغزيرة المتشعبة عن الحضارة المصرية القديمة . . وهى حضارة متفردة متميزة يعتبرها المؤرخون وعلماء الآثار أول حضارة راقية صنعها الانسان .

الموضوع الأول يتناول مجموعة من الدراسات عن نشأة «**المؤسسة العسكرية**» فى مصر القديمة ، حين جيّشت مصر جيوشها لمواجهة شرور الطامعين فى الاستيلاء على خيرات أراضيها .

وفى الموضوع الثانى يصحبنا المؤلف لزيارة مجموعة من «**الأهرام المصرية**» المنتشرة فى مناطق الجيزة وأبو روّاش ودهشور وزاوية العريان واللشت واللاهون وغيرها من المناطق والأقاليم المصرية .

ويقول «**الاستاذ الدكتور محمد إبراهيم بكر**» الرئيس الأسبق لهيئة الآثار المصرية فى تقديمه لهذا الجزء الثالث من «أم الحضارات» **إن الأديب والمؤرخ الاستاذ مختار السويفى** يتناول باسلوبه الأدبى الرفيع دور الشعب المصرى فى إبهار العالم قديمه وحديثه بانجازاته الحضارية فى شتى مجالات الحياة الفكرية والمادية منذ أن كانت الانسانية تمشى خطواتها الأولى على أرض وادى النيل . . وقدم ذلك كله بأسلوب بليغ لا تنقصه البساطة ، فأرضى المتخصصين فى علوم التاريخ والآثار والحضارة دون أن يغفل القارىء العام الذى يسعى إلى التزود بالثقافة فى أرقى وأوسع معانيها ومجالاتها .

« **الناشر** »

١٦٫٠٠ ج

